THE TRAVELING YEARS

A Memoir of Puppets, Porno & Penury

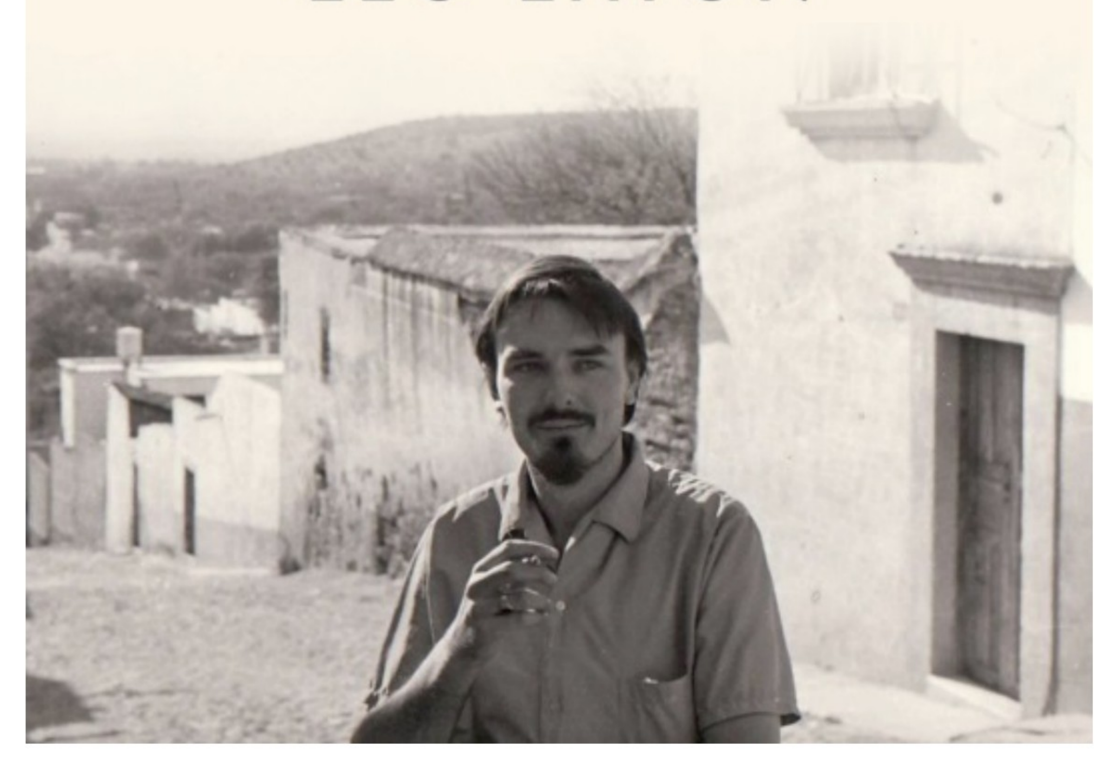
LEO EATON





A Memoir of
Puppets, Porno & Penury

LEO EATON



THE TRAVELING YEARS

A MEMOIR OF PUPPETS, PORNO & PENURY

Leo Eaton

لجيري وأليكس

سنوات السفر

مذكرات من الدمى، الإباحية والفقراء

ليو إيتون

ISBN: 9781483563084 طباعة رقم

ISBN: 9781483563091 الكتاب الإلكتروني رقم

محتويات

مقدمة

سنوات السفر هي مذكرات شخصية عن حياتي من عام 1964 إلى عام 1980، وخلال هذه الفترة (بالترتيب الزمني) كنت واحدًا من أصغر مخرجي التلفزيون في بريطانيا، وآكل اللوتس المنقوع في التكيلا في المكسيك، وباني القوارب في كندا، ومصورًا إباحيًا. في لوس أنجلوس، وروائي ناشئ في المكسيك، وأستاذ مساعد في جامعة تكساس، وكاتب فقير وسباك في اليونان والبرتغال. خلال هذه الفترة نفسها، اكتسبت وخسرت عددًا من الصديقات، بما في ذلك نجمة هوليوود الفاتنة وأم من الهيبي المشهورة بأنها كانت واحدة من موردي المخدرات للشاعر الشهير ألين جينسبيرج. كما حصلت على زوجة، جيري، التي تمكنت من الاحتفاظ بها لأكثر من 40 عامًا. لقد كان وقتًا مثيرًا ودراميًا ومضحكًا ورائعًا ومتواضعًا ومخيفًا، وقد ساعد في بناء الشخصية، وهو ما ساهم بشكل عميق في تشكيل صانع الأفلام الوثائقية الذي أصبحت عليه بعد ذلك.

بدأت بكتابة هذه المذكرات بعد أن طلب ابني أليكس معرفة المزيد عن حياة والديه قبل ولادته. على الرغم من أنه مصمم في المقام الأول للعائلة والأصدقاء وزملاء العمل في التلفزيون حول العالم، إذا وجدت نفسك تقرأه دون أدنى فكرة عن هويتي، آمل أن تجد شيئًا في هذه الصفحات يجعلك تبتسم (أو ترتجف)) وفكر في الوقت الذي كنت فيه صغيرًا وأحمقًا، كما كنا جميعًا. إنه مأخوذ من مجموعة من المقالات، ومدخلات اليوميات، والرسائل المحفوظة من تلك الفترة، إلى جانب الذكريات الشخصية التي تم فحصها (حيثما أمكن) مع ذكريات أولئك الذين شاركوني العديد من هذه المغامرات. هناك أيضًا صور فوتوغرافية نجت من التحركات العديدة التي قمنا بها أنا وجيري على مر السنين.

لقد كنت محظوظًا لأنني وصلت إلى مرحلة البلوغ والسفر خلال سنوات الشفق لعالم اختفى معظمه. نشأت في سلسلة من المدارس الداخلية للبنين (والمسرح البريطاني أثناء الإجازات)، ودخلت صناعة السينما البريطانية في نهاية نظام الاستوديو القديم عندما كانت أفضل المواهب الإبداعية لا تزال في كثير من الأحيان بموجب عقود طويلة الأجل، مما يسمح للشباب وعديمي الخبرة مساعدي المخرجين للتعلم من أفضل مخرجي الأفلام في هذا المجال.

لقد أبحرت إلى المكسيك على متن سفينة شحن قديمة في السنوات التي سبقت جعل النقل بالحاويات مثل هذه السفن مفارقة تاريخية، وعشت في مكان صغير

بلدة جبلية مكسيكية قبل أن تغير عصابات المخدرات والسياحة البلاد إلى درجة لا يمكن التعرف عليها. عشت مع صانع قوارب في حظيرة قديمة خارج تورونتو حيث روى جاره القديم قصصًا عن السنوات التي قضاها في إدارة الويسكي والروم عبر بحيرة أونتاريو أثناء الحظر.

في لوس أنجلوس، شاركت مكتبًا مع صانع الأفلام الشهير إد وود جونيور (الذي لعب دوره جوني ديب في فيلم السيرة الذاتية لتيم بيرتون إد وود) حيث كنا نكتب مواد إباحية لدار نشر تديرها المافيا بينما حاولت دون جدوى اقتحام هوليوود. وفي نهاية سنوات السفر، عشت أنا وزوجتي لمدة ثلاث سنوات في قرية صغيرة في جزيرة كريت باعتبارنا الأجانب الوحيدين، قبل أن ننتقل إلى البرتغال وننجو من فصل الشتاء الأكثر بؤسًا وبؤسًا في حياتنا في مزرعة فلاحية مهجورة على إحدى الجزر. سفح الجبل في الغارف.

لقد علمتني هذه السنوات قيمة عيش الحياة على أكمل وجه، وهو درس حاولت أن أحمله في صناعة الأفلام. باعتباري منتجًا للأفلام الوثائقية، كان لي شرف قضاء حياتي في القيام بشيء أحبه، وهو رواية القصص وفتح النوافذ على عوالم فريدة وغير عادية حتى يتمكن مشاهدو التلفزيون في جميع أنحاء أمريكا وحول العالم من تجربتها وتوسيع آفاقهم الخاصة. لقد كانت "سنوات السفر" هي التي أعطتني الشجاعة للقيام بذلك. أتمنى أن تستمتعوا بالقصص

ليو إيتون، 2016

الجزء الأول

انجلترا 1969 – 1964

من أنا؟ إنه سؤال يطرحه معظمنا على أنفسنا عدة مرات في العمر. هل أنا مخرج الأفلام الوثائقية الأمريكي الحائز على جوائز والذي أنتج على مدى الخمسة والثلاثين عامًا الماضية مئات الساعات من برامج الأطفال وبرامج أوقات الذروة للشبكات الأمريكية والعالمية؟ هل أنا أيضًا الرحالة المولود في لندن والذي عاش لأكثر من عقد من الزمان حياة متجولة عبر أوروبا والأمريكتين، وأحلم بأن أصبح الكاتب البريطاني العظيم التالي؟ أم أنني لا أزال في قلبي صبي المدرسة العامة الإنجليزية الذي ولد في آخر بقايا الإمبراطورية البريطانية المتميزة مع أم ممثلة، وأب غائب، وطفولة قضاها في سلسلة من المدارس الداخلية النخبوية حيث يعتمد جذب الانتباه على قدرة المرء على الوقوف من حشد من الأولاد الآخرين؟

كل مرحلة من مراحل الحياة هي الأساس للمرحلة التي تليها. إذا نظرنا إلى الوراء عبر سبعين عامًا، تنقسم حياتي إلى ثلاثة أجزاء متميزة. الجزء الأول يشمل أول ثمانية عشر عامًا من حياتي. نتاج زواج فاشل في زمن الحرب بين ممثلة شابة وجندي سابق شاب بنفس القدر، بدأ للتو بحثه عن معنى الحياة، وكان مقدم الرعاية الرئيسي لي مربية أطفال حتى أرسلني أجدادي إلى مدرسة داخلية في سن الرابعة.

أمضيت الأربعة عشر عامًا التالية مسجونًا في سلسلة من المدارس الداخلية المختلفة للبنين، وأطلق سراحي مشروطًا لبضعة أسابيع قصيرة كل عام، والتي كنت أقضيها عادةً في جولة مع والدتي الممثلة، محاطًا بسحر ودراما وفوضى حياتها المسرحية خلف الكواليس. وعندما كنت مراهقًا، تم إرسالي (مرتين) لزيارة والدي الدبلوماسي وعائلته الجديدة في جامايكا لأجد نفسي مسحورًا ومذهولاً بالإثارة الغامرة لمنطقة البحر الكاريبي، والتي تختلف تمامًا عن تقشف الحياة في المدارس الداخلية الإنجليزية.

طوال أيام الدراسة كانت المدرسة الداخلية هي مصدر الاستقرار الوحيد بالنسبة لي.

لقد جاء إحساسي بذاتي من الأقنعة التي صنعتها للبقاء على قيد الحياة في المؤسسات التي قضيت فيها الكثير من طفولتي، خاصة أثناء العطلات المدرسية عندما لم تكن جولات والدتي تسمح بوجود طفل.

لا عجب أن الجزء الثاني من حياتي كان إلى حد كبير رد فعل ضد كل ما حدث من قبل، وخاصة توقع أن الأولاد من المدارس العامة النخبة يجب أن يذهبوا إلى أكسفورد أو كامبريدج ويصبحوا أعمدة المؤسسة البريطانية. في فترة طويلة من الخمسينيات، كان رؤساء المدارس يذكروننا في الكنيسة الصباحية بأنكم "أنتم الـ 3%المختارون وولدتم للحكم". كانت مثل هذه الآثار من بريطانيا الإمبراطورية قبل الحرب قد بدأت في ذلك الوقت فقط

ابتعد عن الطريق.

لذا فإن سنوات السفر هي مذكرات هذا الجزء الثاني من حياتي، سنوات التمرد والتجربة والاستكشاف بين عامي 1964 و0891 عندما حاولت طرد العديد من شياطين الطفولة واكتشاف من وماذا كنت قبل أن أبدأ الجزء الثالث، حياة مخرج أفلام وثائقية أمريكي يستمر حتى يومنا هذا.

عذراء في سوينغ لندن

كنت في الثامنة عشرة من عمري عندما هربت للمرة الأخيرة من إحدى المدارس العامة الرائدة في بريطانيا، والتي تأسست لأول مرة في أوائل القرن التاسع عشر لأبناء رجال الدين. كان هناك العشرات من رجال الدين والأساقفة وحتى رئيس الأساقفة في شجرة عائلة والدتي. لم يكن لدي الكثير لأظهره خلال أيام دراستي باستثناء القليل من اللغتين اللاتينية والفرنسية، وكراهية الطبخ المؤسسي، وثلاثة مستويات متوسطة "A"ورغبة شديدة في صناعة الأفلام؛ وهو الأمر الذي كان شغفي منذ حصولي على كاميرا Bolex 8mm مستعملة قبل ثلاث سنوات.

كان ذلك في عام 1963، في الستينيات المتأرجحة، وكانت التنانير القصيرة هي الموضة الجديدة وكانت أغنية Loving All My هي أحدث أغاني فرقة البيتلز. لقد عشت في قلب سوينغينغ لندن ولكن بعد أن كنت منعزلاً في المدارس الداخلية للبنين لفترة طويلة، لم أستطع حتى التحدث إلى فتاة دون أن يحمر خجلاً.

التحق العديد من أصدقائي بالجامعة، لكني كنت أنوي الحصول على وظيفة في مجال صناعة الأفلام، الأمر الذي تبين أنه أصعب من المتوقع. كانت صناعة السينما البريطانية آنذاك متجرًا مغلقًا. كان عليك أن تكون عضوًا في اتحاد السينما للحصول على وظيفة، لكن لا يمكنك الحصول على وظيفة إلا إذا كنت عضوًا في اتحاد السينما. لقد كان كاتش 22.

لقد حلت جدتي غريبة الأطوار المشكلة بالنسبة لي، على الرغم من غطرسة الشباب، كنت أرفض فكرة أن تجد لي سيدة عجوز ليس لديها أي معرفة في مجال صناعة الأفلام وظيفتي الأولى. أخذت الجدة بانتظام

شاي بعد الظهر (تعبير فيكتوري جميل) مع سيدة مسنة أخرى كان ابنها يدير قسم الأفلام بالمكتب المركزي للمعلومات، وهو قسم التسويق والاتصالات التابع للحكومة البريطانية. وبعد بضعة أسابيع، تم استدعائي لإجراء مقابلة وعرضت عليّ نقطة انطلاق في سلسلة مستمرة من الأفلام القصيرة بعنوان "هذا الأسبوع في بريطانيا"، للترويج للمملكة المتحدة في جميع أنحاء العالم. وبما أن المكتب المركزي للمعلومات لم يكن كذلك

Unionizedوأراد اتحاد الأفلام أن يجعله متجرًا نقابيًا، فإن أي موظف يتقدم بطلب يحصل على الفور على بطاقة نقابة مع فترة اختبار مدتها ستة أشهر لم يُسمح له خلالها بتغيير وظائفه.

نظرًا لأن الغرض من هذا الأسبوع في بريطانيا هو عرض أفضل ما في بريطانيا لبقية العالم (قمنا بتصوير إصدارات مختلفة مع مضيفين أستراليين وكنديين وبرازيليين وإسبان)، فقد ركزت العديد من مقاطع الأفلام الأسبوعية على صناعة الموسيقى والأزياء المتفجرة. . شارع كارنابي، قلب لندن المتأرجحة، هو المكان الذي قمنا فيه بتصوير عروض الأزياء والنوادي العصرية والمعارض الفنية، وأجرينا مقابلات مع العديد من المشاهير الشباب الذين بدأت مآثرهم في تصدر عناوين الأخبار حول العالم. بعد أشهر فقط من تواجدي في المدرسة الداخلية، كنت أتسكع وتم قبولي من قبل أمثال أيقونة الموضة ماري كوانت، والمصور ديفيد بيلي، وعارضة الأزياء الشهيرة جان شريمبتون. وبينما كنت لا أزال غير قادر على التحدث مع فتاة دون أن أشعر بالخجل خارج العمل، تعلمت كيفية إخفاء عدم الأمان الشخصي تحت قشرة من التطور المهني.

غطى برنامج "هذا الأسبوع في بريطانيا" أيضًا السياسة السائدة في ذلك الوقت، لذا تلقيت تعليمات ذات مرة بترتيب جلسة تصوير مع السياسية المحافظة الصاعدة ورئيسة الوزراء المستقبلية مارغريت تاتشر.

عند وصولها مبكرًا إلى منزلها قبل الطاقم، أصرت على طهي وجبة الإفطار بنفسها قبل أن نبدأ.

في حين أن قصصنا المصورة تمثل أفضل ما في بريطانيا، إلا أن بعض أطقم التصوير لدينا لم تكن كذلك.
كان مطلوبًا من المكتب المركزي للمعلومات في بعض الأحيان تعيين أطقم تعمل بشكل مباشر لصالح النقابة، وفنيين كبار السن الذين لن يحصلوا على عمل بطريقة أخرى. أتذكر إحدى اللقطات التي كان فيها المصور يرتدي نظارة سميكة وكان فني الصوت يرتدي أجهزة سمعية ضخمة في كل أذن. التصوير لم يسير على ما يرام!

لقد صنعت أيضًا أول فيلم شخصي لي منذ المدرسة. أثناء تصوير قصة هذا الأسبوع في بريطانيا في مدرسة عرض الأزياء التابعة لوكالة لوسي كلايتون، وهي وكالة عرض الأزياء الرائدة في بريطانيا في الستينيات، انجذبت جدًا إلى عارضة أزياء شابة متدربة تدعى بات. شعرت بالخجل الشديد من الاعتراف بما شعرت به، فطلبت منها أن تلعب دور البطولة في فيلم كنت أكتبه عن حياة عارضة الأزياء في Swinging London، على أمل أن تزدهر الرومانسية إذا عملنا معًا.

باقتراض المال من عرابي، الناقد الموسيقي لصحيفة الأوبزرفر الذي كان دائمًا يشجع إبداعي، قمت بجمع ما يكفي من النهايات القصيرة -لفات جزئية من مخزون أفلام بالأبيض والأسود مقاس 16 ملم غير مكشوفة متبقية من لقطات أخرى -لعمل فيلم درامي قصير مدته 20 دقيقة مُسَمًّ ى

"شارون، حياة عارضة الأزياء في الماضي"، يتم التصوير ليلاً وخلال عطلات نهاية الأسبوع مع أطقم متطوعين ومعدات مستعارة. كانت بات امرأة جميلة ولكنها لسوء الحظ كانت أيضًا ممثلة سيئة وذات مزاج أسوأ. لم يكن لديها صبر على العمل في الفيلم وكانت تشتكي باستمرار من أن التصوير كان يتعارض مع حياتها الاجتماعية. تلاشى الانجذاب وكنا بالكاد نتحدث في النهاية. كان الفيلم النهائي مروعًا للغاية. ذكّرني أقرب أصدقائي في ذلك الوقت بخطورة الخلط بين العمل والمتعة. لقد كان درسًا لم أكن مستعدًا لتعلمه بعد.

روجر مور والقديس

بعد ثمانية أشهر في هذا الأسبوع في بريطانيا وستة أشهر من المراقبة النقابية، قدمت نفسي إلى Studios Associated British خارج لندن حيث سمعت أنهم يبحثون عن مساعد مخرج ثالث لمسلسل The Saint، بطولة روجر مور، ثم في دورته الثالثة. الموسم على التلفزيون البريطاني. في النهاية، تم إنتاج أكثر من 100 حلقة، وتم عرضها في جميع أنحاء العالم باعتبارها واحدة من أنجح الصادرات البريطانية منذ الستينيات. بالنسبة لأولئك الذين يعتقدون أن روجر مور هو فقط العميل 007 (الأطول عمرًا بين جميع ممثلي جيمس بوند)، يظل القديس هو دوره المميز كمغامر يميل إلى الإجرام سيمون تمبلر من سلسلة الكتب الأكثر مبيعًا من تأليف ليزلي تشارترس.

بعد إجراء المقابلة للحصول على الوظيفة، جلست على الهاتف لمدة يومين، مرعوبًا من أن أفوّت المكالمة. عندما عرضت علي الوظيفة، شعرت بسعادة غامرة. كنت في طريقي وأخيراً حيث أنتمي. لكن خلال تلك الأسابيع الأولى في فيلم The Saint، تساءل العديد من أفراد الطاقم عما إذا كنت أنتمي إلى هناك. في 1960s،

كانت بريطانيا أكثر وعيًا طبقيًا مما هي عليه اليوم، وكان غالبية العاملين في الاستوديوهات من الطبقة العاملة بشدة، بما في ذلك بعض المخرجين الأكثر نجاحًا. لقد قيل لي في كثير من الأحيان أنني كنت في المكان الخطأ.

حتى ليونيل بينز، مدير التصوير الفوتوغرافي لفيلم The Saint وأحد أفضل المصورين السينمائيين في هذا المجال، كان يعتقد أن هذا ليس المكان المناسب لي.
وقال: "يجب أن تكون في هيئة الإذاعة البريطانية، فهذا هو المكان الذي ينتمي إليه تلاميذ المدارس العامة مثلك".

في أول يوم لي، ألقى بات كيلي، مساعد المخرج الأيرلندي القديم القاسي، نظرة واحدة علي وأخبرني بشيء لم أنساه أبدًا. قال: "لا أريد رؤيتك أبدًا، لكن عندما أعود خطوة إلى الوراء، أريد أن أدوس عليك". إنه أفضل وصف وظيفي لمدير مساعد ثالث سمعته على الإطلاق.

وظيفة مساعد المخرج الأول تشبه وظيفة رقيب في الجيش، حيث يدير موقع التصوير ويضمن بقاء الإنتاج في الموعد المحدد. الثالث هو مساعد الأول، ويبقى بعيدًا عن الطريق ولكنه يحاول دائمًا تخمين الأول من خلال التأكد من أن كل شيء جاهز في جزء من الثانية قبل أن يحتاجه المخرج. كان الحصول على المركز الثالث في تلك السنوات الأخيرة من نظام الاستوديو البريطاني القديم بمثابة تدريب رائع لطفل صغير. كان مخرجو فيلم Saint The من عمالقة صناعة الأفلام البريطانية، رجال مثل روي وارد بيكر، وليزلي نورمان، وجون جيلينج، وبوب ترونسون. اكتسب البعض شهرة من خلال العمل في استوديوهات إيلينغ، التي اشتهرت بين جميع الاستوديوهات البريطانية في الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي، ورأوا في مسلسلات مثل The Avengers وGideon's Way و The Saint وسيلة ممتعة لإنهاء حياتهم المهنية. قام آخرون بإخراج حلقات لهذه المسلسلات التلفزيونية بين الأفلام ولكن جميعها كانت تتمتع بسمعة مذهلة. إن مشاهدتهم، ومحاولة تخمين ما كانوا يفعلونه حتى لا ترتفع "الأرضية" أبدًا، كانت بمثابة شهادة عليا في السينما.

بعض الأوائل كانوا أسطوريين مثل المخرجين، وخاصة بات كيلي. كان هذا هو الوقت الذي كان فيه كونك مساعد مخرج أول هو ذروة مسار وظيفي معين في الأفلام، مثل كونك رقيبًا في الجيش. كان بات حينها في أواخر الأربعينيات من عمره، رجلًا قويًا وصغير الحجم يمكنه تخويف أكبر النجوم والمخرجين الأكثر نجاحًا بنظرة واحدة فقط.

تضمنت مهمة الثالث أكثر من مجرد استدعاء الممثلين عند الحاجة. لقد خدمت بناءً على رغبة الأول، حيث ساعدت الإضافات المباشرة (وظيفة أخرى قام بها الأول)، وأحضرت له لفائف الشاي واللحم المقدد، وأرسلت له التعليمات، وأفعل أي شيء آخر مطلوب لمواصلة التصوير في الموعد المحدد. لكن الاتصال بالممثلين على المسرح (وخاصة روجر مور) جعلني أصرخ في وجهي أكثر من أي شيء آخر.

كان روجر في كثير من الأحيان يعقد جلسة مع الزوار في غرفة تبديل الملابس الخاصة به ويكره أن تتم مقاطعته.

كانت وظيفتي هي أن أضعه في موقع التصوير في جزء من الثانية قبل أن يحتاجه المخرج. كان موقفه، مثل كل نجم منذ بداية الأفلام وحتى الوقت الحاضر، هو قضاء أقل وقت ممكن في موقع التصوير قدر الإمكان.

كنت سأطرق بابه. سيقول أنه كان في طريقه.
سأعود إلى المجموعة. لم ينزل روجر وكان الأول يصرخ في وجهي. سأطرق باب غرفة ملابس روجر مرة أخرى. كان يصرخ في وجهي لأنني أزعجته. والأسوأ من ذلك أنه كان يأتي في مكالمتي الأولى ثم يصرخ في وجهي لأنني اتصلت به في وقت مبكر جدًا.

يتوق كل ثالث إلى الترقية إلى المركز الثاني وفي النهاية الأول حتى يتمكن من الصراخ في وجه الثالث. يطور الثلث جلدًا سميكًا ويتعلم بسرعة أن أفضل طريقة للبقاء بعيدًا عن المشاكل هي معرفة ما يحدث في كل مرة

لحظة على المجموعة.

ولكن كانت هناك متعة، وكان من أعظمها التعرف على العديد من الممثلات الشابات الجميلات اللاتي لعبن دور البطولة في الحلقات المختلفة. أي شخص يتذكر القديس سيعرف أن سيمون تمبلر كان دائمًا يساعد الفتيات في محنتهن. في حين أن بعض هؤلاء الممثلات الشابات كن معروفات جيدًا، إلا أن معظمهن كن في وقت مبكر من حياتهن المهنية واتجهن نحو الجمال بقدر ما ركزن على القدرة على التمثيل (على الرغم من أن العديد منهن أصبحن ممثلات رئيسيات في السينما والمسرح البريطاني). كانت مهمة الثالث هي التأكد من أنهم يعرفون مكالمتهم وكان من المتوقع أن نكون معهم في الاستوديوهات في الساعة 7.00 صباحًا كل صباح للتأكد من انتهائهم من الماكياج وخزانة الملابس في الوقت المناسب ليكونوا جاهزين للتصوير في الساعة 8.30 صباحًا.

بمجرد أن اشتريت سيارة، وهي سيارة بوند ذات ثلاث عجلات ومغطاة بالقماش لا يمكن الاعتماد عليها على الإطلاق، كنت أقودها في كثير من الأحيان إلى الاستوديوهات في الصباح. في كثير من الصباح قبل الفجر، كنت أتوقف خارج المنزل في هامبستيد أو بيلسايز بارك أو نوتنج هيل جيت، في انتظار ظهور مخلوق رائع. هذه تصل-

جعلت الممثلات الصاعدات والقادمات من الاستيقاظ مبكرًا أمرًا ممتعًا، حتى لو لم تكن أجمل امرأة في العالم جميلة جدًا عند الساعة 6.15 صباحًا في صباح شتوي بدون مكياج وشعر متشابك. بعد أن كنت منعزلاً لفترة طويلة في المدارس الداخلية للرجال، كنت لا أزال غير آمن اجتماعيًا. كانت هؤلاء الشابات طيبات وودودات ومهتمات وساعدن في التخلص من خجلي.

الجميع أحب روجر مور. على الرغم من أنك لم ترغب في الشعور بقوة أعصابه وحاولت تجنب أن تكون محور نكاته العملية، إلا أنه كان دائمًا لطيفًا مع الأشخاص في موقع التصوير، حتى مع الأشخاص غير المهمين. مقياسي للمشاهير هو كيفية تعاملهم مع الأشخاص الذين ليس من الضروري أن يكونوا لطيفين معهم. لقد فعل روجر شيئًا مميزًا بالنسبة لي في عيد ميلادي الحادي والعشرين.

لقد حرصت على عدم ذكر ذلك في الاستوديو – أعتقد أنني كنت محرجًا – لكن روجر اكتشف الأمر بطريقة ما. كان أيضًا يقوم بإخراج تلك الحلقة وعادةً ما ينتهي يوم التصوير الساعة 5.50 مساءً. دعا روجر إلى حفل الختام في الساعة 4.30، وبينما كان رجال الدعم يقودون عربة مليئة بالشمبانيا إلى موقع التصوير، أعلن: "إنه عيد ميلاد ليو الحادي والعشرين ونحن نحتفل به بشكل صحيح." أنت لا تنسى أبدا شيئا من هذا القبيل.

لقد قلت إن مهمة الثالث هي مساعدة الأول في توجيه الإضافات في الخلفية. كان فنانو الجماهير بمثابة عالم خاص بهم مع اتحادهم الخاص وتسلسلهم الهرمي الاجتماعي. جعل الكثيرون من العمل مهنة إضافية بدوام كامل، خاصة أولئك الذين يرتدون "لباسهم الخاص" وبالتالي يكونون قادرين على الاحتفاظ بملابسهم الخاصة في مشاهد عن المجتمع الراقي. تعتمد القوة والتأثير الذي يمارسه كل فنان جمهور في هذا التسلسل الهرمي على العلاقات مع بعض الأقوياء الأوائل (والثوانيين، الأشخاص الذين حجزوا الإضافات). إذا كان لديك ما يكفي من النفوذ لضمان العمل للآخرين، فستكون لديك قوة حقيقية. كانت الإستراتيجية هي ضمان معاودة الاتصال بك في اليوم التالي، أو اتخاذ إجراء خاص، عندما يمنحك الأول شيئًا محددًا للقيام به في مقدمة اللقطة. لقد حصلت على أجر أكبر مقابل ذلك، وإذا كان عليك أن تتحدث سطرًا، فهذا كان ذهبيًا. تواطأ الجميع للحصول على أكثر من الأجر الإضافي الأساسي وكان الكثير للبيع.

عندما كنت لا أزال جديدًا على القديس، أرسلني الأول إلى غرفة تبديل الملابس الخاصة بفنانة حشد مثيرة للغاية والتي تم منحها جزءًا صغيرًا من التحدث. أنا

طرقت الباب وأخبرتها أن هناك حاجة إليها في موقع التصوير. دعاني صوت أجش للدخول.

كانت مستلقية عارية تمامًا على الأريكة، وذراعيها مفتوحتين في الدعوة.
عندما كنت في التاسعة عشرة من عمري وما زلت خجولًا جدًا، احمر خجلاً وهربت. عندما عدت إلى المسرح، متلعثمًا
لأنني لم أتمكن من إحضارها إلى الأسفل، انفجر الطاقم بأكمله بالضحك. لقد تم إعدادي.

في عالم الشفق من فناني الحشود، يمكن للأول أو الثاني عديمي الضمير (الأغلبية لم يكونوا كذلك) أن يحققوا نتائج
جيدة لأنفسهم من خلال العمولات والجنس والامتيازات الأخرى. كانت الثلثات عادةً منخفضة جدًا في الترتيب الهرمي بحيث
لا يمكن حسابها، لكن فناني الحشود ما زالوا يبذلون قصارى جهدهم لبناء العلاقات.

عاجلاً أم آجلاً ستصبح شخصًا ثانيًا يتمتع بالقدرة على مساعدتهم بشكل مباشر.
كان لبعض الإضافات روابط وثيقة مع عالم الجريمة في لندن. كان
أدركت أنه إذا كنت تريد معاملة شخص ما بخشونة، فيمكنك ترتيب ذلك من خلال مجموعة معينة من الفنانين. ومع ذلك،
حتى أصعبهم كانوا مخلصين بشدة لأولئك الذين يعرفونهم في الاستوديوهات. بعد أن تعرض ممثل كنت أعرفه من Saint
The للتهديد من قبل البلطجية الذين كانوا يعملون في نادي للتعري في ويست إند، تأكدت مجموعة من الفنانين من أنه
محمي ونجحوا في "تثبيط" رجال العصابات عن التسبب في المزيد من المشاكل.

في حين أن غالبية الإضافات كانت "شرعية"، إلا أن الأعمال الإضافية كان لها جانبها السيئ. في بعض الأحيان كانت
تصلنا أخبار من المكتب الأمامي مفادها أن أشخاصًا مهمين (افترضنا داعمين ماليين) كانوا يصلون من الولايات المتحدة
ويحتاجون إلى الرفقة. كانت هناك فتيات في القوائم الإضافية سعداء بالإلزام لأنه كان من المفهوم أن عمليات الاسترجاعات
المضمونة هذه في المرة التالية التي تكون فيها هناك حاجة إلى إضافات.

بعد موسمي الأول مع The Saint، توقف المسلسل لمدة ستة أشهر وتم نقلي إلى مسلسل آخر يتم إنتاجه في
Associated British Studios بواسطة نفس فريق الإنتاج. كان هذا فيلم "البارون"، استنادًا إلى سلسلة من الروايات
البوليسية لكاتب الجريمة البريطاني جون كريسي. قام ببطولته الممثل الأمريكي ستيف فورست (شقيق نجمة هوليوود دانا
أندروز).



كان ستيف رجلاً لطيفًا. كان دائمًا يراعي المساعدين الثالثين مثلي، ولكن مثل روجر مور كان أيضًا مزاجيًا، كما رأينا عندما اكتشف أن الكتاب كانوا يعيدون استخدام نصوص القديس لسلسلته الجديدة. تم تسليم نص مكتوب عليه اسم القديس مشطوبًا واستبدال اسم البارون، وصرخ هو والمنتج مونتي بيرمان في وجه بعضهما البعض لمدة نصف ساعة بينما كان الطاقم يقف حوله، ويخلط أقدامه ويبدو محرجًا.

لم يحاول المنتجون أبدًا توفير المال بهذه الطريقة مرة أخرى.

قضيت عامين تقريبًا في .Associated British Studios
تمت ترقيتي إلى مساعد المخرج الثاني بعد عودة القديس من فترة التوقف، وأصبحت صديقًا لفرانك هولاندز، وهو أول أسطوري آخر برز في الأعمال الدرامية والكوميدية الشهيرة في Ealing Studio قبل عقد من الزمن. بعد أن عُرض على فرانك وظيفة مدير الإنتاج في شركة Century 21 Productions التابعة لـ Gerry Anderson، سألني عما إذا كنت أرغب في الانضمام إليه، مع إتاحة الفرصة لي لأن أصبح الأول.

التفوق مع جيري أندرسون

حقق عدد قليل من المسلسلات التليفزيونية البريطانية من الستينيات مكانة العبادة الدائمة لسلسلة الدمى "Supermarionation" عالية التقنية التي أنتجها جيري وسيلفيا أندرسون في استوديوهات القرن 21. تعد Mysterons وCaptain Scarlet وThunderbirds وJoe 90 هي الأكثر شهرة، على الرغم من أن Fireball XL5 وStingray وThe Secret Service لديهم معجبين أيضًا. لا تزال هذه المسلسلات تُبث في جميع أنحاء العالم (لقد شاهدت حلقات Captain Scarlet في

اليابان واليونان والأرجنتين)، يتم تأليف الكتب وإنتاج الأفلام الوثائقية عنها؛ لا تزال مؤتمرات المعجبين المنتظمة تُعقد في أوروبا وأمريكا.

منذ سنوات أجبت على الهاتف وسألني صوت غريب: "هل هذا هو ليو إيتون؟" لقد اعترفت بأنني ليو إيتون ولكني لم أكن أعرف إذا كنت ليو إيتون الذي يريده. "ليو إيتون الذي كتب وأخرج الكابتن سكارليت؟" هو قال. لقد اعترفت بالذنب كما اتهمت.

لم نحلم أبدًا أن تصبح العروض مبدعة جدًا.

كان جيري وسيلفيا أندرسون قد أكملا للتو فيلم Thunderbirds وكانا يقومان بالتجنيد لسلسلة جديدة تسمى Captain Scarlet and the Mysterons. انضم "فرانك هولاندز" إلى "Century 21" كمدير جديد للإنتاج، وقد عُرضت عليّ وظيفة مساعد أول للمخرج، مع فرصة إخراج الحلقات المستقبلية إذا نجحت الأمور. قفزت عليه. كان عمري اثنين وعشرين عامًا فقط.

مثل كل سلسلة Supermarionation لجيري أندرسون، كانت Captain Scarlet قصة مغامرة خيال علمي مستقبلية حيث تدافع منظمة سرية تسمى Spectrum عن الأرض ضد أجهزة الكمبيوتر الواعية الموجودة في المريخ والتي تسمى Mysterons. تتمتع عائلة Mysterons بالقدرة على إنشاء نسخ طبق الأصل من الأشخاص في لحظة الوفاة والتي أصبحت الآن تحت سيطرتهم. بعد أن دمرت Spectrum قاعدتهم المريخية عن طريق الخطأ، أعلن Mysterons الحرب على الأرض، ودائمًا ما يبثون تحذيرًا إلى Spectrum من هجماتهم القادمة مع الموسيقى المخيفة المناسبة وزوج من الدوائر الخضراء غير الأرضية التي تطفو عبر أي شخص أو آلة هم على وشك إعادة إحيائها.

الوكيل الرئيسي لشركة Spectrum هو الكابتن Scarlet (جميع عملاء Spectrum لديهم أسماء رمزية ملونة) والذي "جعله القدر غير قابل للتدمير". في الحلقة التجريبية تم إعادته إلى الحياة عن طريق الخطأ بذكريات وشخصية سليمة.

لا يستطيع Mysterons التحكم فيه ولديه قدرته على التجديد، مما يسمح له بتفجيره أو إطلاق النار عليه أو سحقه بشكل مذهل ولا يزال يعود للحلقة التالية.



بعد أن خرجت من خلفية تلفزيونية حية حيث يدير الأول موقع التصوير، كانت وظيفتي هي تحقيق انضباط مماثل للكابتن سكارليت. على الرغم من أنه كان لديهم مخرجين مساعدين في فيلم Are Go Thunderbirdsالذي كان مبنيًا على المسلسل التلفزيوني Thunderbirds، إلا أن هؤلاء كانوا مساعدين عامين للمخرج. كانت وظيفتي هي إدارة الأمور (كل الأنشطة التي تحيط بموقع تصوير الفيلم) وإبقاء المخرج يتحرك بسرعة كافية لإكمال جدول اليوم. هذا هو الدور الأساسي للأول، مثل رقيب أول في الجيش، حيث يحافظ على سير العمل والطواقم بسلاسة بينما يركز المخرج على المهمة الإبداعية المتمثلة في الحصول على الصور في الفيلم.

لقد كان انتقالاً غريبًا بعد القديس. لم يكن أي من أطقم الدمى في الكابتن سكارليت معتادًا على هذا النوع من مساعدي المخرج وكان علي أن أستمر في إخبار المخرجين "لا، هذه ليست مسؤوليتك؛ إنها مسؤوليتك". هذا ما أنا هنا من أجله". حتى خلال Thunderbirds، كان عليهم أن يفعلوا كل شيء بأنفسهم. مع بداية الكابتن سكارليت، أصبحت العملية أقرب إلى خط تجميع مصنع وكان المديرون المساعدون الأولون جزءًا من هذه العملية التبسيطية.

كأول مسلسل تلفزيوني عادي، تتمثل المهمة الرئيسية في الحفاظ على هدوء الاستوديو أثناء التصوير.
أتذكر أنني كنت أصرخ "اصمت في موقع التصوير" بعد وقت قصير من وصولي إلى "Century 21" ونادي محرك الدمى من على السكة: "لماذا؟"
في موقع التصوير الذي يتم فيه تسجيل كافة الحوارات الخاصة بالدمى مسبقًا، فإن الصمت ليس له أي أهمية.
لقد كان تعديلاً بالنسبة لهم وبالنسبة لي.

بعد الحلقات القليلة الأولى من Captain Scarlet، أوفى جيري بوعده بأن يجعلني مخرجًا. في البداية جعلني أقوم بإخراج إعلانات Thunderbirds التجارية لمصاصات Lyons Maid المثلجة (المصاصات هنا في الولايات المتحدة). قررت بعد ذلك أن الجانب التجاري من العمل لم يكن مناسبًا لي بعد ذلك

الجلوس لساعات في غرفة الاجتماعات مع مجموعة من المديرين التنفيذيين للإعلانات الذين يتقاضون أجورا عالية يتجادلون بلا نهاية حول الزاوية الدقيقة التي يجب أن تحملها الليدي بينيلوب بالمثلجات. لقد قمت سابقًا بالكثير من الكتابة بمفردي وأردت كتابة النصوص من البداية. وافق محرر السيناريو توني بارويك على أنه إذا أعطيته المعاملة التي يحبها، فسوف يسمح لي بكتابة السيناريو. كنت أفكر في كتابة قصة قصيرة من الخيال العلمي عن شخص يطلق السم في خزان مدينة كبيرة لذلك قررت تحويلها إلى نص. كانت حلقة Captain Scarlet "مكان الملائكة" أول نص تم إنتاجه وأول برنامج تلفزيوني أخرجته على الإطلاق.

منذ ذلك الحين، كنت أحد مديري جيري. كانت هناك مجموعة أكبر سنًا وأكثر خبرة مثل ديزموند سوندرز، وبريان بيرجيس، وديفيد لين، وجميعهم كانوا مع جيري لبعض الوقت، ثم كان هناك الشباب الأتراك كما رأينا أنفسنا: كين تورنر، وألان بيري، وأنا، وبعد ذلك بيتر أندرسون. استمرت هذه المجموعة الأساسية مع القرن 21 من خلال سلسلة Supermarionation اللاحقة جو 90 وفي سلسلة الحركة الحية UFO.

في بداية فيلم Captain Scarlet، كانت لا تزال هناك مشاكل في ظهور الدمى الجديدة. في حين أن الدمى نفسها كانت لا تزال بحجم ثلث الحجم البشري، كانت الرؤوس أصغر بكثير وأكثر واقعية من دمى طيور الرعد وظلت الآليات تسبب صعوبات. لقد توصل خبراء التكنولوجيا إلى طريقة محسنة لجعل الدمى "تتحدث". من الناحية النظرية، قام مشغل مزامنة الشفاه، الذي جلس في كشك يطل على مسرح الدمى، بتشغيل شريط من الحوار المسجل مسبقًا. كان من المفترض أن تمر النبضات الإلكترونية عبر أوتار الدمية المعدنية وأن يستجيب الملف اللولبي الذي يشغل الفم تلقائيًا للكلمات المنطوقة. وغني عن القول أنه نادرًا ما نجح الأمر، لذلك انتهى الأمر بمشغلي مزامنة الشفاه إلى تحريك مفتاح التبديل لجعل الأفواه مفتوحة ومغلقة، تمامًا كما فعلوا دائمًا في Thunderbirds. ثم كان هناك رسم على الأوتار، والوقت الذي استغرقه النفخ لا نهاية له

باستخدام مسحوق الطلاء لمحاولة إخفاء الأوتار في الخلفية. كان لدينا منتفخة مليئة بكل لون من مسحوق الطلاء الذي يمكن تخيله، ولكن عندما تأخرت عن الموعد المحدد، كان تعصب محركي الدمى حول جعل الأوتار غير مرئية يمثل دائمًا مشكلة.

كانت مباني الاستوديو تقع في منطقة صناعية قبيحة في سلاو على بعد عشرين ميلاً خارج لندن، ولا يمكن تمييزها عن جميع المصانع والشركات الصغيرة الأخرى في المنطقة. اعتدنا أن نقتبس قصيدة الشاعر الحائز على جائزة جون بيتجمان عن الحرب العالمية الثانية، "تعال أيها القنابل الصديقة واسقط على سلاو". يحتوي أحد المباني على قنابل لأن هذا هو المكان الذي قام فيه مشرف المؤثرات الخاصة ديريك ميدينجز بتشغيل ثلاثة أطقم مؤثرات خاصة في جميع الأوقات. جاء الكثير من نجاح Thunderbirds وسلسلة الدمى اللاحقة من مؤثرات Derek الخاصة؛ الانفجارات والعمل النموذجي وإنشاءه لكل شيء بدءًا من قاعدة القمر وحتى تدمير هرم الأزتك. واستمر في إنشاء المؤثرات البصرية للعديد من أفلام سوبرمان وجيمس بوند.

بجوار مبنى المؤثرات الخاصة كان يوجد مبنى الدمى الرئيسي، الذي يحتوي على مرحلتين مع جميع ورش الدمى وخزانة الملابس المرتبطة بها. كان هناك دائمًا طاقمان يعملان في وقت واحد على حلقتين مختلفتين؛ أثناء أي توقف مؤقت في الإنتاج، ستكون هناك زيارات للخلف والأمام بين المرحلتين. لقد عرفنا جميعًا في مراحل الدمى أن حركة الدمى كانت جوهر كل فيلم بينما كانت المؤثرات الخاصة موجودة فقط للأجراس والصفارات. وبطبيعة الحال، بعد مرور أربعين عامًا، فإن المؤثرات الخاصة هي التي تولد أكبر قدر من الاهتمام.

كان العمل في Century 21 بمثابة جزء من أعظم لعبة في المدينة. كنت أرغب في صناعة الأفلام منذ أن كان عمري 15 عامًا (قبل سبع سنوات فقط) والآن تحققت أمنيتي؛ كنت مثل طفل في متجر للحلوى. كان الجو أكثر حرية وأقل تنظيمًا مما كان عليه في الاستوديو "الحقيقي" حيث تم إنتاج مسلسلات مثل The Saint. لقد أتيت من بيئة يعتبر فيها المخرجون في المرتبة الثانية بعد الله، وكان يتعين التعامل مع نجوم مثل روجر مور وستيف فورست وباتريك ماكني بقفازات صغيرة، خاصة من قبل المخرجين المساعدين الشباب. الآن، في عمر 22 عامًا، كنت أنا نفسي مخرجًا (مع سيناريو تم إنتاجه لصالحي) ولكني شعرت وكأنني مجموعة من الأصدقاء يجتمعون معًا لتقديم عرض. لقد قمت ذات مرة بالتحريض على معركة بمسدس الماء على المسرح

حيث قام محركو الدمى "على السكة" بشن هجوم شامل على طاقم الطابق بينما كنت أستخدم كشك المخرج كحصن لصد جميع الغزاة.

في نهاية المطاف، جاء كبير محركي الدمى ومدير الإنتاج إلى "تأديب الأطفال" وعدنا إلى العمل مبتلين وسعيدين. ربما لم يكن لدى جيري أندرسون وكبار زملائه الصبر على مثل هذه الروح المعنوية العالية؛ لقد كان عملاً جديًا في نهاية المطاف، لكن بالنسبة لي، كان القرن 21 بمثابة بيئة رملية رائعة. أصبح كل شيء أكثر جدية عندما انتقلنا من Slough إلى استوديوهات Elstree التابعة لشركة MGM لتصوير أول مسلسل واقعي لجيري UFO.

في البداية، كان من الممتع العودة إلى الاستوديو المناسب مرة أخرى، والعمل مع العديد من الممثلين وطاقم العمل الذين عرفتهم منذ أيام القديس والبارون. لقد عدت لأكون الأول، حيث عملت مباشرة مع جيري أندرسون الذي كان يقوم بإخراج الحلقة الأولى من برنامج UFO، ولكن كان مفهومًا أن هذا كان مجرد خفض مؤقت لرتبتي وأنني سأعود قريبًا إلى الإخراج مرة أخرى.

يبدو أنني كنت على طريق النجوم، فتى ذهبي في الثالثة والعشرين من عمري فقط وأتيحت لي الفرصة لإخراج ما كان آنذاك أغلى مسلسل تلفزيوني تم إنتاجه في بريطانيا على الإطلاق، وهو الرد على ستار تريك الأمريكي. لكن الأمر لم ينجح بهذه الطريقة.



كانت UFO QUINN أكبر وأغلى سلسلة في مسيرة جيري أندرسون المهنية حتى الآن. لقد كانت مغامرة خيال علمي أخرى تدور حول سر

منظمة تسمى SHADO (المقر الأعلى لمنظمة الدفاع عن الكائنات الفضائية) التي حاربت الكائنات الفضائية التي أتت إلى الأرض في الأجسام الطائرة المجهولة لحصد أجزاء من الجسم للحفاظ على عرقهم المحتضر.

بعد سنوات من العمل مع الدمى، واجه جيري مشاكل في التعامل مع خصوصيات وغرور الممثلين. بعد مشهد صعب قال لي: "التعامل مع الدمى أسهل بكثير لأنه يمكنك تعليقها في نهاية اليوم". كان يحاول أيضًا إدارة سلسلة أحداث حية كبرى بنفس الطريقة التي أدار بها سلسلة الدمى في استوديوهات Slough الخاصة به.

كان الممثلون الرئيسيون غير معروفين في الغالب وتم إنفاق جزء كبير من الميزانية على مجموعات دائمة معقدة ومكلفة ملأت المراحل الصوتية وحدت بشدة من قدرة الكتاب على توسيع القصص في اتجاهات جديدة، وهو مطلب أساسي لإبقاء المسلسلات التلفزيونية جديدة ومثيرة للاهتمام. .

كان المدير الإداري لشركة Associated Television (ATV)، صاحبة امتياز التلفزيون التجاري الرائد في بريطانيا في ذلك الوقت، هو Lew Grade.
لقد كان مؤيدًا لجيري منذ أيام الدمى الأولى ودعم انتقاله إلى العمل المباشر. ولكن مع وجود الكثير على المحك في موضوع UFO والاستثمار الأمريكي على المحك، كان ليو يضغط باستمرار على عنق جيري وكان التوتر مرتفعًا في موقع التصوير خلال تلك الأسابيع القليلة الأولى.



خلال هذا الوقت المبكر المتوتر، اقتحمت حياتي ممثلة أمريكية شابة جميلة تدعى كوين، حيث أمضت وقتًا في لندن لتنتج فيلمين وكانت ضيفة في حلقة قادمة من برنامج UFO.

لقد التقيت بكوين قبل عدة سنوات عندما كنت لا أزال مساعدًا ثالثًا للمخرج وكانت ضيفة الشرف في فيلم The Saint. كنت خجولاً جدًا في تلك الأيام، لكن في عدة صباح كنت أقودها إلى الاستوديوهات لإجراء مكالمة مكياج الساعة 7 صباحًا وكانت دائمًا لطيفة وفضولية وداعمة لطموحي في أن أصبح مخرجة عظيمة. لقد بقينا على اتصال من خلال صديق مشترك واتفقنا على الاجتماع لتناول العشاء بعد وقت قصير من عودتها إلى لندن. لقد كان لقاءً عاطفيًا ولم أعود إلى المنزل خلال الأيام القليلة التالية.

كان كوين في الأصل من اسكتلندا، ذو رأس أحمر مبهر يكبرني بخمس سنوات، وكان نجمًا ناجحًا في هوليوود لعدة سنوات، ويواعد المغني فابيان ويقوم ببطولة عدد من أفلام "حفلة الشاطئ" ذات الشعبية الكبيرة مثل The Ghost In The بيكيني غير مرئي مع بوريس كارلوف ونانسي سيناترا وباسل راثبون والصيف المتأرجح مع الشابة راكيل ويلش.

كوني مع كوين جعلني أشعر وكأنني مليون دولار. لقد قطعت شوطا طويلا من الصبي الخجول والساذج في المدرسة العامة قبل خمس سنوات.
كوني واحدًا من أصغر المخرجين في صناعة السينما البريطانية كان بمثابة دفعة كبيرة لكبريائي، حتى لو كنت أخرج الدمى فقط حتى الآن. لكن كان لا يزال هناك جزء غير آمن مني يتساءل عما إذا كانت هذه مجرد واجهة أخرى، مثل الواجهات التي أنشأتها لحماية نفسي في المدرسة الداخلية. كنت أخشى في أعماقي أن يتم اكتشافي يومًا ما؛ قد ينظر شخص ما خلف القناع ويدرك أنه لم يكن هناك أحد، وبعد ذلك سينهار كل شيء!

لكنني الآن كنت مع أجمل فتاة رأيتها في حياتي، والتي واعدت رجالًا مشهورين في هوليود ويمكنها الحصول على أي شخص تريده. وأرادتني!

وبعد بضعة أسابيع انتقلنا للعيش معًا، واستأجرنا شقة في الطابق السفلي في ميدان تشيستر في قلب بلجرافيا.
اعتقد أصدقائي أنني مجنون ولكني لم أهتم. كنت مغرما.
لأسابيع كنت مفتونًا بكوين لدرجة أنني أهملت وظيفتي في جسم غامض. لقد قمت بالعمل بشكل جيد عندما كنت في موقع التصوير، لكن الإنتاج يتطلب قدرًا كبيرًا من الإعداد المسبق، والتمرين على اللقطات، وتسلسل التخطيط، و،

خاصة بالنسبة للأولى، تصميم أحداث الخلفية بحيث تبدو الشوارع والمطاعم والمواقع الأخرى مأهولة برجال ونساء حقيقيين يقومون بأشياء حقيقية.

قبل أن أعيش مع كوين، كنت أقضي ساعات كل مساء في الاستعداد لليوم التالي. الآن أردت أن أقضي كل لحظة فراغ معها. وبما أننا كنا نخرج للشرب كل ليلة تقريبًا، كنت أصل في كثير من الأحيان إلى الاستوديو مخمورًا دون أن أقوم بأي تحضيرات على الإطلاق، واثقًا من قدرتي على القيام بذلك في موقع التصوير. لقد كنت أيضًا متعجرفًا بما يكفي للاعتقاد بأن أحدًا لن يلاحظ ذلك.

لاحظ جيري ذلك، وعندما أصبح منصب المخرج متاحًا، قام بترقية شخص آخر بدلاً مني. لقد كانت ضربة قوية لكبريائي، لكنها لم تمنعني من أخذ إجازة لعدة أيام للسفر مع كوين إلى اسكتلندا لزيارة منزل طفولتها، الأمر الذي أثار اشمئزاز جيري كثيرًا. في مكان ما لا تزال لدي صورة لها في مؤخرة قارب صغير بينما كنت أجدف عبر بحيرة هايلاند حيث كنا نقيم. خلف كوين، السماء مظلمة مع سحب رعدية بينما يمتد قوس قزح جميل عبر الإطار. هذا

تبين أن التناقض بين الجمال والعاصفة هو استعارة مناسبة لما

كان سيأتي.

كانت حياتنا معًا عاصفة ويغذيها الكثير من الكحول.

كان كوين متطلبًا ومتهورًا وكان مزاجه أحمر عندما كنت صغيرًا، وعديم الخبرة مع النساء، وساذجًا وغير آمن وغارًا بشدة من أي شيء يهدد حبنا. رفضت الاستماع إلى الأصدقاء والعائلة الذين حذروني من أنني ألعب بالنار. في إحدى الأمسيات، عندما تم استدعاء كوين إلى فندق بوب هوب في لندن في إحدى زياراته الدورية إلى لندن (كانا صديقين في هوليوود)، تشاجرنا لساعات، ومرة أخرى وصلت متأخرًا وتوقفت عن العمل في الاستوديو في اليوم التالي.

وكانت الأحداث تتسارع نحو الكارثة. عدنا من اسكتلندا إلى UFOوظهور النجم الضيف كوين. لقد كنت المساعد الأول للمخرج في هذه الحلقة، وقد أمضينا أنا والمخرج كوين وقتًا في العمل على السيناريو. لذلك عندما مرض المخرج، وهو صديق جيد من أيام الدمى، في منتصف التصوير، افترضت بطبيعة الحال أنني سأتولى المهمة. بعد أن قيل لي أن جيري يعتزم تعيين مخرج مختلف، أصدرت إنذاري النهائي؛ إما توليت المسؤولية أو سأستقيل. في الرابعة والعشرين

منذ عام واحد، كان مطلبًا أنانيًا ومتعجرفًا أن يتم اختيار أحد أنجح المنتجين في التلفزيون البريطاني. بعد محادثة مؤلمة مع مدير الإنتاج، اقترح عليّ الاستقالة بحسن نية قبل أن يتم طردي. لقد رفضت قبول أنه كان خطأي.

شعرت بالحرج وكبريائي في حالة يرثى لها، خرجت من الاستوديوهات وقضيت الأسابيع القليلة التالية أتصرف كطفل مدلل، وأنشر قصصًا عن مدى سوء معاملتي لأي شخص يستمع.

رؤى المكسيك

في الأسبوع الذي استقالت فيه من UFO، أصيبت كوين بحالة سيئة من الالتهاب الرئوي، على الرغم من أنها تمكنت من إكمال ظهورها كضيفة في المسلسل. أخبرتني أيضًا أنها تعتقد أنها قد تكون حاملاً. على الرغم من أنه تبين أنه إنذار كاذب، إلا أنني شعرت بالعالم يضيق الخناق علي، خاصة عندما بدأت النسخة الحقيقية من رحيلي عن الجسم الغريب تنتشر في الصناعة. في ذلك الوقت، عاد أندرو، وهو صديق لي فنان، من المكسيك. لقد كان رسامًا تجريديًا إنجليزيًا هاجر إلى كندا قبل عامين وعاد الآن إلى لندن في زيارة قصيرة برفقة زوجته الأمريكية. كان قد التقى بكيرستن وتزوجها في وقت سابق من ذلك العام في بلدة جبلية مكسيكية صغيرة تسمى سان ميغيل دي الليندي وأحضرها إلى منزله لمقابلة عائلته. رتبنا أنا وكوين لمقابلتهما في حانة بالقرب من محطة فيكتوريا، حيث سمعت لأول مرة نداء صفارة الإنذار في المكسيك، وسان ميغيل، وفندق يُدعى كوينتا لوريتو. اشتهرت سفينة Quinta Loreto بين الشباب الأوروبيين والأمريكيين الذين كانوا يتدفقون على ظهورهم إلى المكسيك في ستينيات القرن الماضي بعد أن ظهرت في الدليل الشهير "المكسيك بخمسة دولارات في اليوم".

تحدثنا أنا وأندرو طوال المساء. التقى هو وكيرستن في كوينتا لوريتو. كان هذا هو المكان الذي يبدو أن جميع المغتربين يجتمعون فيه. بدأت الأمور، وانتهت، وتم تبادل الشركاء، وكانت الغرف مليئة بالضحك والحفلات والرومانسية. لقد كانت ملاذًا للشباب وصغار القلب مع أفنية مليئة بالزهور وغرف رخيصة وبسيطة وسمعة متزايدة للمؤامرات الرومانسية.

أعادتني قصص أندرو إلى شهوانية جامايكا التي أحببتها كثيرًا عندما زرت والدي قبل عشر سنوات. كنت عاطلاً عن العمل وقلقًا بشأن العثور على وظيفة أخرى في صناعة السينما بعد وظيفتي

رحيل مخزي من الجسم الغريب. كان أندرو يصف طريقة حياة مختلفة بشغف وأنا متعطشة لذلك. فقط نصف مازحا، اقترحت أن أنضم إليهم عندما يعودون إلى المكسيك. لقد استحوذت Quinta Loreto على مخيلتي.

وفي السنوات اللاحقة أصبح الفندق جزءًا من حياتي. هناك التقيت بعشاق، وبعد ذلك بزوجتي، وهناك التقيت بالعديد من الأصدقاء المقربين، وهناك -إلى منزل صغير خلف الفندق -كثيرًا ما كنا نعود أنا وزوجتي خلال السنوات التي عاشها والداها في سان ميغيل. ولكن هذا كان للمستقبل. في تلك الليلة عندما استمعت إلى أندرو، توهجت كوينتا لوريتو بهالة سحرية. في قلب الشتاء الإنجليزي، انفتح الباب للسماح بدخول الروائح والأصوات والوعد بالجنة الاستوائية.

لقد أصبحنا سكارى كثيرًا ولم أهتم كثيرًا بكوين، المنغمس في قصص أندرو. وبما أن كوين كانت تكره التجاهل، فقد ازدادت غضبها مع تقدم المساء. لاحقًا، ذهبنا نحن الأربعة، ونحن في حالة سُكر شديد، إلى حانة تُدعى "كوينز إلم" في تشيلسي، مما عجل بالأحداث التي ستنتهي بمغادرتي إنجلترا لسنوات عديدة.

كانت The Queens Elm في ذلك الوقت حانة فنية مليئة بالكتاب والموسيقيين والممثلين وأهل السينما. كان مايكل يجلس بمفرده في الحانة، وهو ممثل عملت معه سابقًا في فيلم The Saint. انضم إلى طاولتنا وقدمته إلى كوين قبل مواصلة محادثتي مع أندرو.

كانت كوين غاضبة من إهمالي لها وبدأت في مغازلة مايكل مع استمرار المشروبات في القدوم.

في وقت الإغلاق، انطلق أندرو وكيرستن بالسيارة، تاركين أنا ومايكل وكوين على الرصيف خارج كوينز إيلم، ونتساءل عما يجب فعله بعد ذلك. ذهبنا لتناول العشاء في وقت متأخر، وتناولنا زجاجتين من النبيذ وسكرنا كثيرًا بينما تجاهلتني كوين وركزت كل اهتمامها على مايكل أثناء الوجبة. Turnabout هي لعبة نزيهة، على الرغم من أنني كنت صغيرًا جدًا، وكنت أشعر بالغيرة والألم لرؤيتها بهذه الطريقة في ذلك الوقت.

بعد العشاء أصر كوين على أن نوصل مايكل إلى المنزل؛ كانت هذه الحقبة التي كانت فيها القيادة تحت تأثير الكحول أمرًا طبيعيًا جدًا لدرجة أن أحد رجال الشرطة أخبر ذات مرة زميلًا لي في الجيش مخمورًا كان قد سأل عن اتجاهات العودة إلى لندن من معسكره في وندسور "فقط ابق على الجانب الأيسر من الطريق، سيدي، وستكون بخير." ما زلت أتذكر صورة من محرك الأقراص هذا؛ مايكل يبتسم

كان كوين في حالة سكر في المقعد الخلفي، مدركًا أنه كان يعجل بأزمة ولكنه كان ثملًا جدًا لدرجة أنه لا يستطيع
الاهتمام، كان كوين مشدود الشفتين وعنيدًا، وأصبحت أكثر هدوءًا وأكثر هدوءًا. كنا نلعب أدوارنا إلى أقصى حد.
وبما أن كوين ومايكل كانا ممثلين، وقد استوعبت الدراما تحت ركبة والدتي، فقد كانت كل المشاعر أكبر من الحياة.
كيف يمكن أن يكونوا أي شيء آخر؟

أوصلنا مايكل إلى المنزل وتركناه خارج شقته. بدأنا أنا وكوين القتال على الفور تقريبًا. كانت معاركنا عادة
صاخبة ودرامية ومسرحية للغاية. توقفت عند إشارة المرور وقفز كوين من السيارة وركض على الطريق. تركت
السيارة مسرعة وطاردتها، وكادت أن ألحق بها قبل أن تتوقف عن سيارة أجرة وتنطلق. عدت إلى السيارة وعدت
إلى شقتنا في بلجرافيا. على الرغم من أننا كنا نعيش معًا، إلا أن الشقة كانت باسمها. عندما وصلت إلى المنزل،
كانت قد أغلقت الباب وأغلقته ورفضت السماح لي بالدخول.

نهاية علاقة حب

أنا لست عنيفًا ولكن الكحول والغيرة تغلبت علي في تلك الليلة. أخبرت كوين إذا لم تفتح الباب على
الفور، فسوف أكسره. لقد كان طابقًا سفليًا مسطحًا، لذا فقد أعطتني الدرابزين الموجود على درجات الطابق السفلي
قبضة يد جيدة، مما سمح لي بتأرجح وزني بالكامل على الباب.

لقد كان قويًا ومتينًا ولكني ما زلت أعتقد أنه كان بإمكاني كسره إذا لم يتصل كوين بالشرطة.

اندفع رجال جديون ضخام الحجم يرتدون الزي الأزرق نحوي على الدرج واستدرت لمهاجمة الأشخاص
الذين كانوا يحاولون منعي من الوصول إلى كوين. أخبروني لاحقًا أنني خاضت معركة جيدة جدًا.

هناك شيء نهائي للغاية بشأن صوت إغلاق باب الزنزانة. لقد نسيت أحلام المكسيك وكويننا لوريتو. كل
ما أعرفه هو أن كوين قد فعل شيئًا ربما يكون مقبولًا في أمريكا ولكنه لا يغتفر في إنجلترا، حيث اتصل بالشرطة
بسبب شيء ليس من اختصاصهم. بعد أن خانتني المرأة التي أحببتها، ضربت الباب وصرخت بالشتائم عبر نافذة
الزنزانة حتى أخبرني شرطي أنني إذا لم أصمت، فسوف يسكتني.

في حوالي الساعة الخامسة صباحًا، تم السماح لي بالخروج وتعهدت بأنني لن أزعج كوين مرة أخرى. حتى
الآن كنت معلقًا وأشعر بالأسف الشديد على نفسي. لقد شرحت أنني وكوين نعيش معًا وفي النهاية أطلقوا سراحي.

لقد تم تأديب كوين عندما عدت وتمكنا من التعويض -إلى حد ما. لقد انهارت في السرير ونمت معظم اليوم التالي.

ربما كان من الممكن تجنب الكارثة في ذلك الوقت، لكن القدر كان لديه خطط أخرى.
بعد أن استيقظت، أخبرتني كوين أنها وافقت على مقابلة مايكل لتناول مشروب في ذلك المساء. لم تكن سعيدة بالخروج وتركي، واقترحت عليها إلغاء الموعد، لكنني كنت أشعر بالذنب تجاه سلوكي وطلبت منها المضي قدمًا. ما الضرر الذي يمكن أن يحدثه كوبان من المشروبات؟

لقد وعدتني بالعودة بحلول الساعة التاسعة مساءً ووعدتها بأن أتناول وجبة في انتظارها. ذهبت كوين لمقابلة مايكل في فندق كوينز إلم، وقد ابتلعت غيرتي وأعددت لها عشاءً خاصًا.

التاسعة مساءً ولا كوين! الحادية عشرة مساءً ولا كوين! الواحدة صباحًا ولا يوجد حتى الآن أي أثر لكوين!
لقد كنت غاضبًا ومتألمًا ولكن لم يكن هناك ما يمكنني فعله في تلك الليلة ولكن عندما لم تكن في المنزل في صباح اليوم التالي، كنت على استعداد للانفجار. كان يوم الأحد ولم تكن الحانات تفتح أبوابها حتى الظهر، لكن في تمام الساعة الثانية عشرة وصلت إلى كوينز إلم لبدء عملية تعقب كوين. حتى الآن كنت قلقًا أكثر من الغضب، خائفًا من أن يحدث لها شيء ما. عندما أخبرني النادل كيف غادر مايكل وكوين الحانة معًا في وقت الإغلاق، وصلت غيرتي إلى نقطة الغليان. تناولت عدة مشروبات لأثبت نفسي وأقنعت النادل بإعطائي عنوان مايكل. كانت شقته تقع في حدائق درايتون، بالقرب من كوينز إلم، وتساءلت عما يجب أن أفعله بعد ذلك؛ لا شيء يبدو حقيقيًا تمامًا.

ركنت سيارتي خارج المبنى الذي يضم شقق مايكل وتجولت لفترة من الوقت، حتى أنني صعدت ذات مرة إلى الطابق العلوي وتجاوزت باب منزله الأمامي دون أن أمتلك الشجاعة لأطرق الباب. لا بد أنني بقيت هناك لمدة نصف ساعة قبل أن أتخذ قراري. كان علي أن أعرف، بطريقة أو بأخرى.

طرقت على الباب. فتحت كوين الباب وهي في طريقها للخروج.
خلفها، في الحمام، كنت أرى مايكل يحلق عاريًا باستثناء منشفة الحمام. وتلا ذلك الصمت الذي يسميه الكتاب "وقفة ذات معنى". لماذا في مثل هذه الظروف ينتهي الأمر بقول الأشياء الأكثر حماقة؟ قلت "صباح الخير يا مايكل، وداعًا يا كوين"، واستدارت على كعب قدمي وسرت في الممر دون أن ألقي نظرة إلى الوراء.

أكد لي كوين لاحقًا أنه كان بريئًا تمامًا. كانت هناك حفلة في شقة مايكل، وكانت قد أفرطت في الشرب، فسمح لها مايكل بالنوم على الأريكة. بعد فوات الأوان، كان يجب أن أصدقها، لكنني كنت ساذجًا وغاضبًا وغيورًا جدًا. بالطبع اعتقدت الأسوأ.

قدت سيارتي مباشرة إلى المنزل، وتوقفت لفترة كافية للتوقف عند صندوق الهاتف واتصلت بشركة نقل وأخبرتهم أن يقابلوني في الشقة بشاحنة. وفي غضون ساعة، تم تحميل تلفزيوني الملون (الذي كان الأول من نوعه في المملكة المتحدة في عام 1969)، وسرير مزدوج، وبار جيد التجهيز، ومجموعة التسجيلات وكل شيء آخر أملكه، وتخزينه في منزل أحد الأصدقاء. لقد كانت لفتة مسرحية للغاية وتساءلت كيف سيكون رد فعل كوين عندما عادت إلى المنزل ووجدت أن كل شيء قد اختفى. من الواضح أن مايكل جاء معها، لأنها كانت خائفة مما قد أفعله.

مكثت مع أصدقائي الممثلين في Shepherd's Bush. اكتشف كوين الأمر وقام بالاتصال عدة مرات في اليوم. رد أصدقائي على الهاتف لكنني كنت أرفض دائمًا التحدث إليها، وأقضي معظم الليالي في الحانة المحلية وأغرق أحزاني.

وكما عبرت بيلي هوليداي العظيمة عن الأمر ببلاغة في إحدى أغنياتها: "لذا فإنني أدخن كثيرًا قليلاً، وأشرب كثيرًا قليلاً.
ولكن ماذا يمكنك أن تفعل في نهاية علاقة حب؟

لقد اختفت وظيفتي وذهبت ابنتي. لم يبق لي شيء في إنجلترا. الشيء الوحيد المنطقي هو الانضمام إلى أندرو وكيرستن عندما عادا إلى سان ميغيل. في صباح أحد الأيام، بعد أن كنت أعاني من آثار الكحول بعد ليلة غزيرة من الشرب، ذهبت إلى مكتب شحن بالقرب من الأرصفة وحجزت تذكرة مرور على متن سفينة شحن تبحر إلى المكسيك.

وداعاً يا إنجلترا

لقد تصالحنا أنا وكوين أخيرًا. جمعنا الأصدقاء معًا في حانة محايدة (وليست في كوينز إلم) حيث كانت هناك اتهامات متبادلة والكثير من الدموع. لقد كانت تقيم مع مايكل منذ أن خرجت لكني لا أستطيع إلقاء اللوم عليها. ولم أترك لها حتى سريرًا. وبالتدريج، عادت مجموعتي من التسجيلات والتلفزيون الملون والبار المجهز جيدًا إلى ميدان تشيستر. لسبب ما لم يكن السرير كذلك؛ بدلاً من ذلك اكتفينا بفردين مدمجين معًا. ولكن تم إلقاء الموت وكنت ملتزمًا بالمكسيك.

في كثير من النواحي، كانت علاقتنا أفضل مما كانت عليه في أي وقت مضى خلال تلك الأسابيع القليلة الماضية.
بموجب اتفاق غير معلن، لم تر أو تتحدث عن مايكل أبدًا. لقد بذلت قصارى جهدها لإقناعي بتغيير رأيي بشأن المغادرة.

كانت هناك دموع واتهامات غاضبة بالتخلي عنهم، لكن لم يكن من الممكن فعل أي شيء؛ تم اتخاذ القرار، وتم حجز التذكرة بالفعل.
كان أندرو وكيرستن أولاً يعودان إلى كندا. كنت مسافرًا على متن سفينة شحن نرويجية ستأخذني إلى فيرا كروز. لقد رتبنا للقاء مرة أخرى في سان ميغيل في عيد الميلاد. كنت أعرف أنني كنت أهرب. كنت أعلم أنني أهرب من المسؤوليات، وأترك ضريبة الدخل غير مدفوعة، والديون غير مستقرة. أنا فقط لم أهتم. لقد عُرض عليّ طريق للهروب من حياة أصبحت مستحيلة. وتقع كوينتا لوريتو في نهاية الطريق. بسعر خمسة وعشرين بيزو (دولارين) في الليلة، لم يكن هناك فندق أرخص في المدينة، وأوصى أندرو بالبقاء هناك حتى أجد مكانًا أعيش فيه.

غادر أندرو وكيرستن. لقد وداعتهم في المطار وكان وداعنا غير واقعي. سأراهم في المكسيك في أقل من شهر. في المكسيك! كان كوين أكثر استسلامًا لرحيلي والتخطيط لحفل وداع. جاء الأصدقاء لتقديم احترامهم. توقع الجميع، بما في ذلك كوين، أن أعود إلى لندن في غضون ستة أشهر. كنت أغادر وفي جيبي مائتي جنيه فقط (أقل من 500دولار)؛ وحتى مع وجود "المكسيك بخمسة دولارات في اليوم" ككتاب مقدس، فإن هذا من شأنه أن يوفر أقل من أربعة أشهر من المعيشة. لقد اشتريت تذكرة ذهاب فقط. بمجرد أن ذهب أموالي، كنت على

خاصتي.
رتب كوين حفل وداع لمدة ليلتين قبل مغادرتي.
على الرغم من أنني أخبرتها ألا تهتم، إلا أنها أصرت. وقالت: "سيكون الأمر صغيراً، مجرد عدد قليل من الأصدقاء". كنت غارقًا في الحمام عندما وصل الضيوف الأوائل ولكن تم إقناعي أخيرًا بالانضمام إلى الاحتفالات. كان عدد الأشخاص أكبر بكثير من مجرد "عدد قليل من الأصدقاء"، بما في ذلك اثنان تمكنا من تحويل الأمسية إلى الدراما العالية التي أصبحت شائعة خلال حياتي مع كوين.

أصبح كوين صديقًا لكهربائي أسود شاب يُدعى بيل بعد يوم واحد من قدومه لإصلاح بعض الأسلاك في الشقة. أصبح بيل الآن زائرًا منتظمًا، لطيفًا وساحرًا ومستعدًا لفعل أي شيء من أجل صديق. الأخرى

كان بطل الرواية في الدراما هو جيمي، وهو نادل اسكتلندي من الحانة المحلية لدينا.
لقد كان مفتونًا بكوين وأصبح أيضًا زائرًا منتظمًا بعد أن اكتشف أنني سأغادر إلى المكسيك.

في ليلة الحفلة، أحضر جيمي أخته، وهي فتاة غالية جميلة وسريعة الغضب كان يحميها بفخر غيور. وصل الكهربائي بيل ومعه حوالي عشرين شخصًا غريبًا يبدو أنه التقطهم في وقت سابق من المساء. كما جاء العديد من رجال الشرطة المحليين الذين اعتقلوني لتناول مشروب سريع. مثل كل من قابلوا كوين في ذلك الوقت، كانوا مفتونين بساحرتي ذات الشعر الأحمر.

بدأت المشكلة عندما بدأ بيل بالرقص بشكل حميمي مع أخت جيمي. قال جيمي، وهو مخمور جدًا، إنه لا يريد أن ترقص أخته مع "زنجي". حافظ بيل على هدوئه لكن أخته التفتت نحو جيمي بغضب. تم استدعائي للفصل بين الخصوم لكن الأخت استمرت في مغازلة بيل بشكل استفزازي للتخلص من شقيقها. لقد فقدت رؤيتهم لفترة من الوقت، وأنا أتحدث مع أصدقاء آخرين، حتى اتصل بي كوين بشكل عاجل إلى الحمام. كانت أخت جيمي مستلقية على الأرض فاقدة الوعي بعد قتال آخر مع شقيقها، والدم ينزف من جرح عميق في رأسها حيث اصطدمت بجانب حوض المغسلة. تم استدعاء سيارة إسعاف وقام أصدقاؤنا من الشرطة بزيارة ليلية أخرى.

رافقنا أنا وكوين أختي إلى المستشفى ووقفنا في الممرات الباردة والتيارات الهوائية أثناء إصلاح الضرر. وفي حوالي الساعة الخامسة صباحًا، عدنا إلى الشقة لنجد أن الحفلة مستمرة بطريقة متقطعة. لقد ذهب أصدقاء بيل، وأخذوا معهم جهاز الراديو الخاص بي وجهاز تسجيل باهظ الثمن. لقد قمنا بالزيارة الثالثة في تلك الليلة من الشرطة المحلية التي كانت لطيفة للغاية بشأن الوضع برمته، حيث طلب أحدهم بخجل الإذن مني بأن أطلب من كوين الخروج بمجرد مغادرتي.

اعتقد بيل أنه يستطيع تعقب الجاني وطلبت منه أن يفعل ذلك بسرعة. لقد كنت أغادر في ما يزيد قليلاً عن 24ساعة.
تمت إعادة الراديو ومسجل الكاسيت بعد ظهر اليوم التالي، وتركا في أسفل درجات الطابق السفلي.

من الواضح أن بيل وضع مخافة الله في شخص ما في ذلك اليوم.
الساعات القليلة الماضية كانت سريالية. قضى كوين معظم الليل في تعبئة أمتعتي لكنه نام أخيرًا على السرير.
ذهبت لاتمشى. كانت الساعة الرابعة صباحًا والجو بارد جدًا. كان هناك ثلج في وقت سابق، وهو أمر غير عادي

للندن في تشرين الثاني (نوفمبر)، ولم تكن البطانية البيضاء مكسورة على الرصيف والطرق، ولم تمسها آثار الأقدام أو آثار العجلات. مشيت لأكثر من ميل عبر الشوارع الصامتة حتى محطة فيكتوريا للسكك الحديدية، ونظرت إلى المحطة الفارغة الشاسعة كما لم أرها من قبل. لا شيء يبدو صلبا. شعرت أنني غادرت إنجلترا بالفعل ولم أعد موجودًا في هذا المشهد الطبيعي.

وصلت سيارة الأجرة في الساعة 6صباحًا ورافقني كوين إلى المطار في رحلتي السريعة إلى اسكتلندا للانضمام إلى سفينة الشحن التي ستنقلني إلى المكسيك. بكينا كلانا أثناء القيادة وبدا سان ميغيل بعيدًا جدًا. لم أعد متأكدًا من رغبتي في مغادرة كوين وقد طمأننا أنفسنا بالتظاهر بأنني سأعود قريبًا جدًا. لقد تماسكنا معًا مرة أخيرة عند بوابة المغادرة قبل أن أستقل رحلتي إلى إدنبره، حيث استقل سيارة أجرة إلى ميناء جرانجماوث في فيرث أوف فورث حيث رست سفينتي.

بعد أن تركت المرأة التي أحببتها، لم يفعل جرانجماوث شيئًا لرفع معنوياتي. لقد كان ميناء بناء السفن مظلمًا وكئيبًا، وقد استقبلني بضباب كثيف ورطب كان يخيم فوق الميناء مثل البطانية. كانت الرافعات الموجودة على رصيف الميناء مهجورة وصامتة، تلوح في الأفق بزوايا ثملة من ضباب كثيف مثل أطراف هيكلية؛ مشهد بائس ومحبط. لقد بكيت طوال معظم الرحلة من لندن، وزاد من بؤسي رؤيتي الأولى لسفينة الشحن النرويجية القديمة الصدئة التي كان من المقرر أن تحملني عبر المحيط الأطلسي؛ كان كل شيء رتيبًا وغير مرحب به، وكنت ضائعًا ووحيدًا. وما بدا قبل أسابيع قليلة في لندن مغامرة كبرى، أصبح الآن قمة الغباء. كان الانطلاق إلى المجهول بدون أموال لشراء تذكرة العودة وعدم وجود أي فكرة عما سأفعله عندما وصلت إلى المكسيك أمرًا جنونيًا.

تأخرت السفينة لمدة يومين بسبب إضراب في الرصيف ومشاكل في تحميل البضائع. يومين في غرانجماوث عندما لم ينقشع الضباب أبدًا ولم يتوقف الرذاذ أبدًا. لقد اتصلت بكوين بعد ظهر ذلك اليوم الأول من هاتف عام خارج مركز تسوق مغلق. لقد رحلت منذ بضع ساعات فقط، لكن صوتها، الصغير والرفيع في نهاية خط الهاتف، بدا على بعد مليون ميل. اضطررت إلى إدخال العملات المعدنية باستمرار في صندوق الهاتف لتجنب قطع الاتصال وظلت أصوات التنبيه "إضافة المزيد من المال" تقاطعنا.

كنا في البكاء مرة أخرى عندما أغلقت الخط. لم أخبرها أن السفينة كانت كذلك

تم تأخيره؛ يبدو أنه لا جدوى من ذلك. لقد قيل وداعنا بالفعل ولم يكن هناك عودة إلى الوراء.

قضيت معظم اليومين التاليين في حالة سكر. بعد أن كوننا صداقات مع بعض أفراد طاقم سفينة الشحن الاسكتلندية الراسية في الرصيف التالي، قمنا بجولة في الحانات وبيوت الدعارة في غرانجماوث معًا. لقد رسمت خطًا في بيوت الدعارة. كانت ذاكرة كوين قريبة جدًا، لذلك جلست في الطابق السفلي في الحانة وأشغل الأغاني الحزينة على صندوق الموسيقى بينما كان أصدقائي الجدد مشغولين في الطابق العلوي.

عندما لا أخرج للشرب، اختبأت في مقصورتي على متن سفينة الشحن وسجلت أشرطة كاسيت مودلين لإرسالها إلى كوين.
بعد عدة سنوات من زواجي، اتصل كوين في وقت متأخر من إحدى الليالي ليشغل لي أحد أشرطة غرانجماوث تلك. وضعت الهاتف أمام مسجل الكاسيت، وكنت أسمع صوتي بصوت خافت منذ فترة طويلة. لقد أعاد ذلك بوضوح شعوري بالوحدة والخراب خلال هذين اليومين المروعين بينما كانت سفينة الشحن تنتظر في ميناء غرانجماوث.

ثم أبحرنا. لعدة أيام لم أستطع التفكير في أي شيء سوى مدى البؤس الذي شعرت به. لا يُعرف شمال المحيط الأطلسي في أوائل شهر ديسمبر بطقس معتدل وقد تعرضنا لعواصف رهيبة منذ اللحظة التي قمنا فيها بتطهير فيرث أوف فورث لشق طريقنا شمالاً حول اسكتلندا والخروج إلى المحيط الأطلسي. نظرًا لكونها سفينة نرويجية، كان الطعام الموجود في فوضى الضابط (حيث يأكل الركاب أيضًا) عبارة عن مجموعة متنوعة من المأكولات البحرية المدخنة والمخللة. بعد أيام من الشعور بالمرض لدرجة أنني لم أتمكن من مغادرة مقصورتي في الممر بعيدًا عن فوضى الضابط، خرجت أخيرًا ليستقبلني القبطان الذي لوح بمخلب جراد البحر في اتجاهي ودعاني للانضمام إليه لتناول طعام الغداء. لقد عدت للتو إلى حوض الغسيل في مقصورتي في الوقت المناسب!

لكن في نهاية المطاف، عادت السفينة مرة أخرى إلى الجنوب، وأصبح الطقس صافيًا وهدأت البحار. أثناء المشي على سطح السفينة، بدأت أشعر بمزيد من البهجة تجاه المغامرة القادمة. لقد انقطعت عن حياتي الإنجليزية، وأصبح بإمكاني أن أتطلع إلى الوصول إلى المكسيك، والالتقاء بأندرو وكيرستن، والاستقرار في غرفة في فندق كوينتا لوريتو. شعرت أنه بمجرد وصولي إلى ذلك الفندق، أستطيع أخيرًا أن أضع كل ما حدث خلال الأشهر القليلة الماضية خلفي وأستقر في تلك الحياة السحرية والساحرة في سان ميغيل التي وصفها أندرو بشكل مقنع في إحدى حانات لندن قبل بضعة أسابيع.

الجزء الثاني

المكسيك 1970 - 1969

وبحلول الوقت الذي دخلت فيه سفينة الشحن خليج المكسيك تحت ضوء الشمس الدافئ والدلافين تلعب في أعقابنا،
بدت لندن وكأنها بعيدة وبعيدة.
بينما لم يكن لدي المال للعيش سوى لبضعة أشهر في المكسيك، لم أكن قلقًا عندما رست في فيرا كروز. لقد كنت في المكسيك!
قبل النزول، أحصيت أموالي وأدركت أنه إذا عدت في تلك اللحظة، فسيكون لدي ما يكفي للعودة إلى المنزل. لكنني كنت في
الرابعة والعشرين من عمري وأمامي حياة جديدة وليس هناك سبب للعودة إلى المنزل. مشيت على اللوح الخشبي، واشتريت
لنفسي وجبة غداء من كشك تاكو خارجي وتوجهت إلى محطة الحافلات لألحق بالحافلة شمالاً إلى سان ميغيل حيث رتبت للقاء
أندرو وكيرستن.

سان ميغيل دي الليندي مدينة سان ميغيل جميلة، وهي مدينة استعمارية إسبانية تم
الحفاظ عليها تمامًا في ولاية غواناخواتو وهي أحد مواقع التراث العالمي لليونسكو. لم يكن حجمها يتجاوز ربع حجمها
الحالي في عام ،1969 وهي مدينة مكسيكية حقيقية يبلغ عدد سكانها بضع مئات من الفنانين والكتاب من جميع أنحاء أوروبا
وأمريكا الذين انجذبوا إلى المناطق المحيطة الجميلة والمناخ الدافئ والمعيشة الرخيصة والهدوء. تعود إلى نمط الحياة ومدرستين
للفنون والكتابة تحظى باحترام عالمي، وهما Belles Artes ومعهد الليندي.

وصلت إلى سان ميغيل في وقت متأخر من الليل عشية عيد الميلاد، حيث أوصلتني الحافلة إلى ضواحي المدينة. لقد
وجدت سيارة أجرة محلية لتأخذني إلى Quinta Loreto. كان كل شيء غريبًا وغريبًا، وكان المكتب مغلقًا طوال الليل. أيقظ حارس
نعسان موسيا أجونديس، التي تمتلك عائلتها الفندق، وحصلت على مفتاح معدني ثقيل لغرفة بسيطة للغاية. ريحتها مصارف
ومبيض والفراش على ضيق "الزوجية"

كان السرير صعبًا كالصخرة. لم تكن هذه الجنة الرومانسية التي تخيلتها.
لم أكن أعرف أين يعيش أندرو أو كيف أجده وأمضيت ليلة غير مريحة أفكر في كل الأشياء التي يمكن أن تسوء.

استيقظت على أصوات العصافير وأشعة الشمس المتدفقة إلى الغرفة. كانت الشرفة الواقعة خارج نافذتي مشرقة
بنبات الجهنمية القرمزية، وكان أندرو يطرق الباب، ويلوح بعدة زجاجات من بيرة دوس إكيس. لقد وصل ليحملني إلى منزل أحد
الأصدقاء حيث يوجد خنزير يرضع في عيد الميلاد

تم تحميصها على البصق في الحديقة وكان هناك كميات لا حصر لها من الروم والماريجوانا. لقد مر عيد الميلاد في ضباب. منذ ذلك اليوم الأول، انجرفت إلى عالم بوهيمي يتجاوز أي شيء كنت أتخيله في إنجلترا.

لقد كانت مدينة سان ميغيل كما تخيلت باريس في ثلاثينيات القرن العشرين، أكثر دفئًا فقط. كان لدى أندرو مجموعة واسعة من الأصدقاء الفنانين والكتاب الذين رحبوا بي على الفور في مجموعتهم. كان مكان اجتماعنا المعتاد عبارة عن حانة تسمى Los Dragones del Rey، The King's Dragoons، وبعد أكثر من أربعين عامًا، لا يزال بإمكاني أن أغمض عيني وأتخيل نفسي مرة أخرى في ظلامها البارد.

في ساعة القيلولة، كانت شوارع سان ميغيل المرصوفة بالحصى تحلم في شمس الظهيرة، وكانت المدينة بأكملها كسولة مثل الهنديين اللذين عادة ما كانا ينامان تحت القبعة الصوفية على مقعد خارج الكانتينا أسفل منزل أندرو. كانت الشوارع التي أحرقتها الشمس نعسانًا ومليئة بأصوات الظهيرة الخافتة؛ راديو ترانزستور يعمل من بعيد، قعقعة الزجاجات، التحرك البطيء لرجل عجوز وحماره يتنقل من باب إلى باب، ويقدم حمولته من الخشب لكل من استجاب لنداءه.

وعلى النقيض من تألق الشارع في الخارج، كان الجو باردًا ومظلمًا تحت أقواس لوس دراجونيس. قامت النادلة أنطونيا بنقل زجاجات بيرة دوس إكيس من الظلام الموجود في الخلف إلى الطاولة الأمامية التي تطل على جاردين، وهي الساحة المركزية التي يطلق عليها في مدن مكسيكية أخرى اسم زوكالو ولكن في سان ميغيل كانت ببساطة جاردين -الحديقة.

كانت الطاولة الأمامية لـ Los Dragones هي أرض الكتاب والفنانين المغتربين. نمط متغير باستمرار، البعض ينجرف بعيدًا، والبعض الآخر يصل ليستقر على كراسي أولئك الذين غادروا للتو. تغيرت الوجوه لكن المجموعة والمحادثة استمرت دون انقطاع. عرفت المدينة أن هذا هو مكاننا وقبلت مطالبتنا. قليل من السياح لديهم الجرأة للمطالبة بمطالبهم على الطاولة الأمامية، ولكن إذا فعلوا ذلك، نادرا ما يبقون لفترة طويلة. نحن الكتاب والفنانين عرفنا كيف نحمي أراضينا.

دار الحديث حول آخر لوحة، أو أحدث كتاب، أو من يضاجع من في دائرتنا البوهيمية. كان بعض الكتاب ينتظر دائمًا شيكًا من الناشر. كان بعض الفنانين دائمًا يواجه مشكلة مع أحدث لوحاته الفنية. ارتفعت الكلمات وسقطت والوجوه

تغيرت لكن المحادثة كان لها استمراريتها الخاصة. اجلس لفترة كافية على الطاولة الأمامية لـ Los Dragones وستمر المدينة بأكملها.

كانت المحادثة تتعثر أحيانًا أو تتوقف تمامًا، حتى أن التحدث كثيرًا أثناء ساعة القيلولة. قد يعود رجل شرطة محلي إلى مركز الشرطة المجاور، وهو يذيب مخروط الآيس كريم في يده المتسخة. كان زيه الأزرق دائمًا مغبرًا ومهترئًا عند الحواف، وحذاءه متشقق ومهترئ، ومسدس يرتديه بشكل واعي على الورك. دار الشرطي حول أوسو، الكلب الكبير الذي يملكه مالك Los Dragones، النائم دائمًا في منتصف الطريق. كان أوسو سينام غير مبالٍ لو أن العالم قد انتهى. لقد أوقف حركة المرور وكانت السيارات تسير بحذر من حوله. إذا حثه شرطي بحذائه على التحرك، كان أوسو يفتح إحدى عينيه ليتثاءب بشدة قبل أن يستأنف قيلولته. كان الشرطي يمر، وقد احمر وجهه من تعليقات زملائه المناوبين خارج مدخل سجن البلدة.

زجاجات البيرة المثلجة تتعرق في الحرارة، وقطرات من الرطوبة تتساقط على الطاولة. قد يرسم الفنان بلا مبالاة دوائر رطبة على السطح الخشبي المتصدع بإصبعه. عبر الحديقة، كانت الواجهة الوردية لكنيسة باروكيا، الكنيسة الرئيسية في سان ميغيل، تتلألأ في ضوء الشمس.

تم نسخ تصميم باروكيا من بطاقة بريدية مصورة لشارتر. كان المهندس المعماري هنديًا محليًا ولم يكن يعرف أي تقنية ولكنه كان واثقًا مما يريده، فرسم الخطوط العريضة بعصا في الغبار حتى ارتفع المبنى مثل قلعة أرض الخيال، وكعكة زفاف وردية من الأبراج القوطية والشرفات الجصية.



في لوس دراجونيس، كان الذباب يحلق حول برك من البيرة المسكوبة. في الخارج، في الحديقة، نام رجال كبار السن على المقاعد تحت الأشجار، حيث ترك حتى الصبية الذين يقومون بتلميع الأحذية مواقعهم. خلال ساعة القيلولة توقفت المدينة بأكملها وأخذت أنفاسها. كانت الأصوات مكتومة، وصرخات الأولاد الصغار يلعبون تحت الأقواس على الجانب الآخر من الحديقة، وقعقعة الزجاجات بينما كانت أنطونيا تضع صندوقًا آخر من البيرة في صندوق الثلج القديم الذي يتقاسم مكانة الصدارة مع البدلات المدرعة ومجموعة المالك من المسدسات العتيقة في الجزء الخلفي من الشريط. في بعض الأحيان، كانت حافلة سياحية تصل إلى الحديقة وينزل ركابها حمولتهم، ويلتقطون الكاميرات وينادون بعضهم البعض بأصوات حادة. وتبادل الكتاب والفنانون نظرات الاشمئزاز الصامت.

ومع مرور الساعة، يعود السائحون إلى حافلاتهم، وقد أشبعتهم شهيتهم بعدد كبير من الكنائس والألوان المحلية. عادت المحادثة ببطء إلى الطاولة الأمامية، لتستأنف من حيث توقفت قبل عشرين دقيقة. قد يستيقظ أوسو ويتمدد ببطء، ويفتح فمه في تثاؤب غائر آخر بينما يقف ببطء على قدميه ويتعثر في كآبة لوس دراغونز، فقط ليستقر تحت الطاولة الأمامية مع تنهيدة عميقة قبل أن يعود إلى النوم على الفور. كانت عودة الصبية الذين يقومون بتلميع الأحذية إلى موقعهم إشارة إلى انتهاء ساعة قيلولة أخرى وحان وقت استيقاظ المدينة.

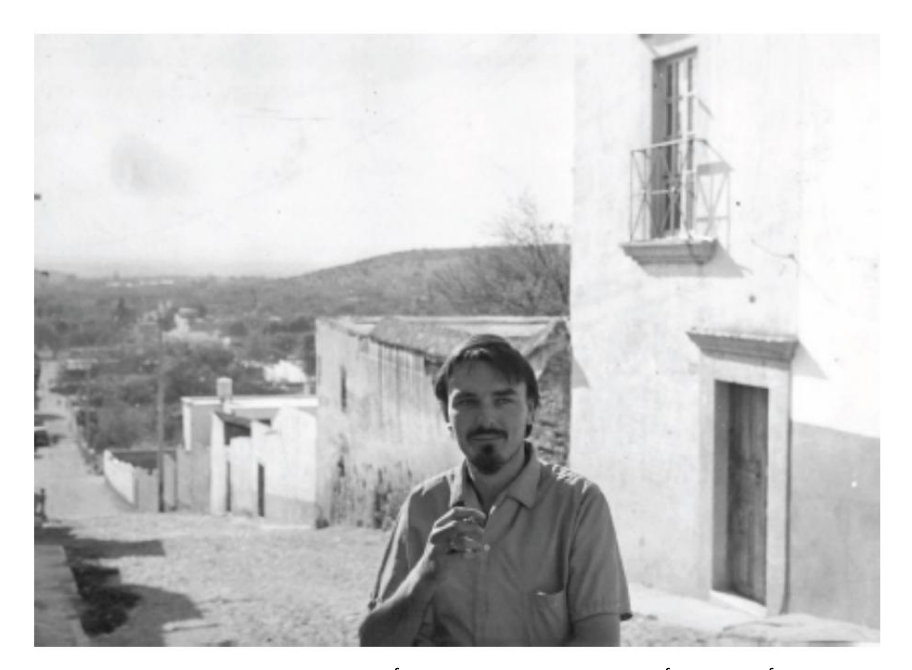
كانت هناك جودة خالدة في قلب سان ميغيل الاستعماري الإسباني. لقد كانت مستعمرة فنية قبل وقت طويل من قيام أندرو وأصدقائه بإثبات مطالبتهم على الطاولة الأمامية في لوس دراجونز، ولا تزال كذلك.

اليوم. ولكن قبل 45عامًا، كانت سان ميغيل هي عصرنا ومدينتنا. ربما كان هناك أشخاص متمنون ومتظاهرون شاركوا ذلك الوقت وتلك الطاولة الأمامية ولكن كان هناك أيضًا العديد من الكتاب والفنانين الموهوبين. أكثر شخص أتذكره هو دان برينون.

الفنان يدعى دان برينون

لقد أطلقنا على دان اسم البدائي وشبهناه بغوغان أو روسو، ونحن فخورون بأن نطلق عليه صديقنا بينما نسخر أيضًا من خصوصياته.
كان دان طويل القامة ونحيفًا. كان وجهه، المغطى بصدمة من الشعر الأسود، مليئا بالزوايا والتجاويف العميقة. في بعض الأحيان، عندما وصلت إلى الاستوديو الخاص به وأمسك به بدون أسنانه، بدا دان تمامًا مثل تقليد فرانكنشتاين الذي كان يفعله في الحفلات عندما كان الناس يسكبون عليه الكثير من الشراب. لم أكن أعرف عمره قط، لكنه ربما كان في منتصف الأربعينيات من عمره. كان دان شخصًا غريبًا، حتى في بلدة مليئة بالشذوذ مثل سان ميغيل.

عرفت دان لأول مرة عندما كان يعيش في منزل في شارع كالي أوميران، وهو شارع يمتد بلطف إلى أسفل التل من جاردان حتى يمر بالخطوات القصيرة المؤدية إلى باب دان. هنا ينحدر الطريق بشكل حاد إلى الجوف حيث تبدأ منازل المكسيكيين الفقراء. عاش دان على الحافة، عند هذا الحد الفاصل بين الثروة والفقر، والطبقة الوسطى والفلاحين. وكانت نوافذ منزله مغلقة دائما. لا أعتقد أنه فتحها طوال الوقت الذي عاش فيه هناك. عادة ما كانت عتبة الباب الأمامية تحمل العديد من الأطفال المكسيكيين، يجلسون ويراقبون المارة في الشارع، في انتظار أن يدعوهم دان إلى الداخل لالتقاط إحدى رسوماته التي لا تعد ولا تحصى. لقد كان شارعًا أعرفه جيدًا.



لقد التقيت بدان من خلال أصدقائي أندرو وكيرستن. كان لدى أندرو منزل على الجانب الآخر من الشارع مباشرة من دان ونشأت صداقة بين الفنانين. كان دان هو النقيض تمامًا لأندرو، حيث كان مندفعًا في استخدامه للألوان حيث كان أندرو مسيطرًا عليه، ودراميًا في استخدامه للخط بينما كان أندرو يخطط لكل ضربة فرشاة وعلامة فحم. أندرو، الذي كان أصغر من دان بكثير، أعجب بعمله لكنه وجده سلسًا للغاية. وقف دان في حيرة أمام لوحات أندرو الصارمة والمنضبطة، ولم يتظاهر بالفهم. ومع ذلك، كان الفنانان يحبان ويحترمان بعضهما البعض.

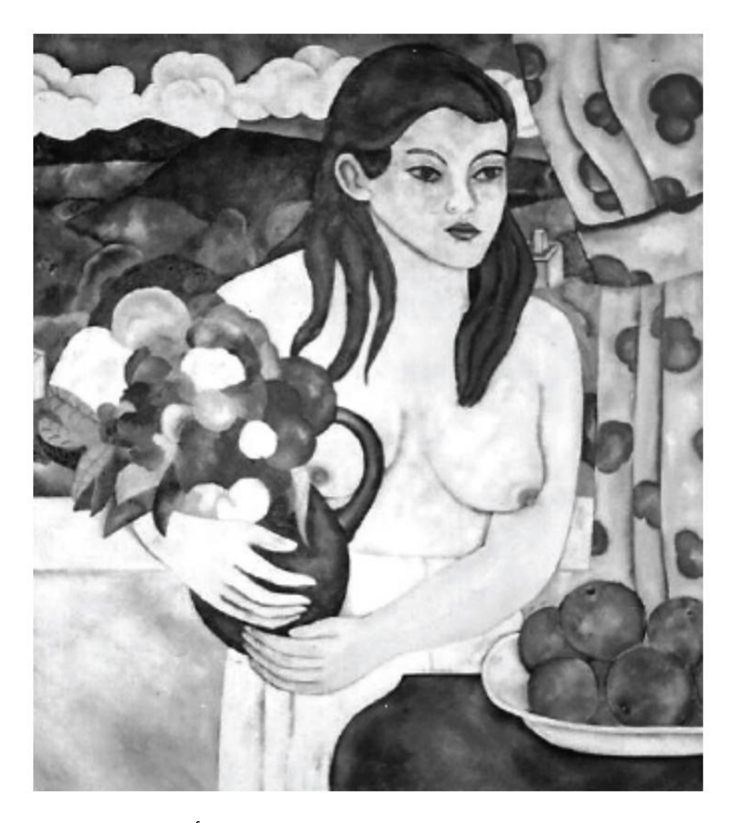
في هذا الوقت كان دان يمر بإحدى فترات النسك. ظل دان في منزله لأسابيع في كل مرة، ولم يخرج إلا لزيارة أحد مطاعم الفلاحين الصغيرة في الشارع الخلفي حيث كان يأكل، وكان يرسم ويرسم، مستلهمًا ونماذجه من الناس والريف من حوله. ثم عندما لم يره أحد لأسابيع، خرج فجأة لزيارة صديق. كان دان، متعطشًا للصحبة والمحادثة، يجلس ويشرب القهوة طوال الأمسية والليلة، ويتحدث في مونولوج عن العمل الذي كان يحاول القيام به، فقط ليغادر عند الفجر ويحصن نفسه في منزله مرة أخرى.

كان أول لقاء لي مع دان بعد أسابيع قليلة من وصولي إلى سان ميغيل. على الرغم من أننا أصبحنا أصدقاء فيما بعد، إلا أن هذا هو اللقاء الأول الذي أتذكره أكثر من أي شيء آخر. وصل دان إلى عتبة أندرو، وهو يتضور جوعا كالعادة

المحادثة والطعام. لا أتذكر ما تحدثنا عنه –الفن، كما أتوقع، لأنه لم يتحدث أحد عن الكثير. أذهلني هذا الرجل ذو المظهر الكئيب الذي بدا على وشك الموت جوعًا. أطعمته كيرستن، كما كان متوقعًا دائمًا، ثم أعادنا دان عبر الطريق لرؤية أحدث أعماله، وفي غرفه القذرة المغلقة رأيت فنه الفريد والمثير لأول مرة.

كانت الغرف فارغة. في الطابق الأرضي، لم يكن هناك سوى كتلة من النفايات المتراكمة في إحدى الزوايا، ومرحاض قذر، ومطبخ به موقد واحد فقط لم يتم تنظيفه منذ أشهر. سلالم خشبية متهالكة بلا غطاء، وغرفتان في الطابق العلوي فارغة باستثناء أكوام من القمامة على الأرض؛ سرير قذر في إحدى الزوايا، وحامل، وجميع أدوات الرسم والرسم، واللوحات، العشرات منها، معلقة على كل جدار ومكدسة في كل زاوية. لم يكن هناك ضوء في أكثر من نصف الغرف، وعادةً ما كان هناك مصباح كهربائي واحد فقط يتدلى من السقف. وقفت وحدقت في عمل دان، وهو أفضل عمل قام به على الإطلاق. لقد كان عمل بدائي نقي حقيقي ذو موهبة هائلة.

صور للفتيات والأطفال الهنود، وصور حية، وعراة، ومناظر طبيعية خيالية، كلها مرسومة بحيوية طفولية تقريبًا، وألوان متوهجة غنية تحترق من اللوحات. كلها غير مؤطرة، والعديد منها مغطى بالغبار، ولا تضاء إلا بمصباح كهربائي واحد متأرجح.



يحتاج كل فنان إلى الحظ والتوقيت وكذلك الموهبة لتحقيق الشهرة والنجاح. بينما أصبح دان ناجحًا في النهاية بطريقة متواضعة، مع لوحاته في العديد من المجموعات الخاصة في جميع أنحاء أمريكا، فقد بدأ الرسم حسب الطلب وكانت النار تنطفئ في عمله. وبعد عقدين من الزمن مات وحيدا في فقر وغموض في منزله في سان ميغيل. ومع ذلك، لم أنس أبدًا اللوحات التي رأيتها تلك الليلة في تلك الغرفة المغلقة. إنهم يظلون في ذاكرتي باعتبارهم من أرقى الفنون وأكثرها صدقًا على الإطلاق

مرئي.

الرواية الأولى

بعد وصولي إلى سان ميغيل، مكثت في فندق Quinta Loreto لعدة أسابيع حتى توفرت شقة رخيصة ومتقشفة في الطابق الثاني في مبنى حديث البناء مكون من 4 وحدات أسفل التل من منزل أندرو في شارع Calle Umeran. بينما كنت قد كتبت العشرات من المقالات غير المنشورة ونصوص البرامج التلفزيونية والأفلام (غير المنتجة) في إنجلترا، إلى جانب فيلم Scarlet Captain المنفرد وسيناريو Mysterons الذي أخرجته أيضًا، شعرت لأول مرة أنني مستعد لأن أصبح ممثلًا حقيقيًا. كاتب. لكنني كنت لا أزال خاملًا من الجسم الغريب والانفصال عن كوين وأحتاج إلى وقت للشفاء. لأكثر من شهرين، استعصت علي الكتابة.

كان ذلك في شهر مارس من عام 1970 قبل أن أحاول تأسيس روتين حقيقي للكتابة، بتشجيع من أندرو وكتاب محليين آخرين. بينما كنت أعتقد دائمًا أنه مقدر لي أن أكتب روايات للبالغين قوية بأسلوب همنغواي أو لورانس دوريل، إلا أنني انجذبت إلى فكرة كتابة رواية للأطفال، تدور أحداثها في ذروة حضارة المايا قبل ألف عام.

خطرت لي الفكرة بشكل كامل تقريبًا، وهي قصة صبي أمريكي من القرن العشرين أعاده إله المايا عبر الزمن لإنقاذ مدينة من الدمار. على الرغم من أن سان ميغيل كانت تقع أقصى شمال مناطق المايا في المكسيك، إلا أنها كانت غارقة في تاريخ ما قبل كولومبوس. لقد حضرت محاضرات في Belles Artes حول كيف تم هجر سكانها بشكل غامض لمدن المايا العظيمة في الغابات المطيرة في المكسيك وغواتيمالا، وفي النهاية كنت على استعداد لكتابة القصة على الورق.

لي، فنانة ورسامة شابة جميلة من كاليفورنيا كانت تدرس للحصول على درجة الماجستير في معهد الليندي، استأجرت الشقة الموجودة أسفل مني. على أمل الحصول على شيء أقرب من صداقة الجيرة، أخبرتها عن كتابي الذي خططت له والذي أسميته مدينة الغابة الهامسة، مما جعله يبدو أبعد بكثير مما كان عليه في الواقع.

على الرغم من أن لي لم تبد أي اهتمام بي، إلا أنها أحبت فكرة الكتاب وأنشأت عدة نماذج من الرسوم التوضيحية بناءً على ما أخبرتها به. لقد كنت ساذجًا جدًا لدرجة أنني لم أعرف أن الناشرين لم يقبلوا كتب الأطفال من كتاب مجهولين مع الرسوم التوضيحية الموجودة بالفعل، لذلك طلبت منها العمل معي في مدينة الغابة الهامسة. كنت آمل أن يؤدي التعاون المهني إلى علاقة عاطفية، وعلى الرغم من أن ذلك لم يحدث أبدًا، إلا أن الصداقة استمرت لفترة أطول من وقتنا في سان ميغيل.

أكل اللوتس

مع حسن النوايا، وعلى الرغم من أن لي يلاحقني دائمًا للحصول على صفحات جديدة، إلا أن نظام الكتابة الخاص بي كان ينهار في كثير من الأحيان. كان من السهل الاستسلام لنداء صفارات الإنذار لسان ميغيل. في حين كان لدى الفنانين مثل أندرو ودان برينون الانضباط الكافي لإنتاج دفق مستمر من اللوحات الجديدة، فقد وجدت أسلوب حياة أكل اللوتس من المستحيل مقاومته.

أتذكر إحدى الليالي الباردة والهادئة في شهر يناير الأول قبل أن أبدأ مدينة الغابة الهامسة عندما كانت سان ميغيل ملاذًا مريحًا لنيران الحطب المشتعلة خلف الجدران الحجرية القديمة ورائحة الأرز التي تملأ الشوارع.

كان الهواء صافيًا تمامًا على هذا الارتفاع وكانت النجوم تبدو دائمًا على مسافة قريبة. اصطفت عدة سيارات في الشارع خارج منزل أصدقاء أندرو، فيل وروزماري، بينما كنا نستعد لحفلة في ينابيع كورتيجو الساخنة القديمة، على بعد ستة أميال خارج سان ميغيل. كان فيل ثملًا كالعادة بينما كان يحمل الحطب في الجزء الخلفي من سيارته، وكان أطفال روزماري سعداء ومتحمسين وأصبحوا تحت أقدام الجميع.

كان كورتيجو في الليل مكانًا ساحرًا. في وقت لاحق تغير. الكثير من مداهمات المخدرات التي يقوم بها الفيدراليون، والعديد من الزوار غير المسؤولين يسيئون استخدام المكان ويفسدونه على الآخرين. ولكن عندما عرفت ذلك في عام 1970، كان لا يزال سحريًا. قامت روزماري بترتيب كل شيء مع الحارس الهندي العجوز الذي كان يعيش في كوخ قريب من الينابيع الساخنة؛ مائتي بيزو وكان حمام السباحة الخاص لنا طوال الليل. كان هناك اثني عشر منا ذاهبين، وتتراوح أعمارنا بين جوش، الابن الأصغر لروزماري البالغ من العمر ست سنوات، إلى جلين وماري، وكلاهما في السبعينيات من العمر. كان جلين أكبر مصور إباحي في سان ميغيل، وكان متزوجًا من امرأة صغيرة جدًا من ولاية كنتاكي بلو جراس التي رفضت كل شيء يتعلق بسان ميغيل. أمضت أيامها في الحياكة بينما كان جلين ينشر روايات إباحية على آلته الكاتبة القديمة من طراز Royal Standard التي كانت تدفع إيجارها وتشتري مشروب الروم الذي يشربونه باستمرار.

تم تحميل السيارات وبدأت المدينة تنبض بالحياة في المساء بينما كنا نخرج عبر الشوارع المرصوفة بالحصى؛ الأرصفة مزدحمة بالناس الضاحكين. كان الأطفال في كل مكان. الموسيقى تتدفق من تحت الأقواس المفتوحة لمطعم Fragua. فرقة ماريتشي تعزف في الشارع خارج مكان الاستراحة American Legion في بار Cucaracha؛ كانت المدينة حيوية وحيوية. كان رجل مكسيكي عجوز يسير بهدوء خلف حماره، وهو يغني لنفسه بلا لحن. انطلقت الضحكات المخمورة من الحانات في كل زاوية. حتى أن المدينة كانت تفوح منها رائحة الحياة.

سافرنا في قافلة، وكان فيل يقود الطريق. بمجرد خروجها من الحصى ودخولها إلى الطريق المفتوح، بدت سان ميغيل وكأنها جوهرة ذهبية تستقر في ثنية التلال. كانت حركة المرور قليلة بعد حلول الظلام. كان من غير المعتاد تجاوز سيارة واحدة في رحلة الستة أميال. كان المدخل الرئيسي لكورتيجو أسفل مسار صغير خارج الطريق الرئيسي. للوصول إلى حمام السباحة الخاص، عليك القيادة لمسافة أبعد على طول المسار والانسحاب إلى الجانب، ثم الزحف تحت السياج، وتحمل كل شيء معك، قبل أن تتعثر عبر الحطام المدمر.

المباني التي تحتوي على حمام سباحة خاص. في وضح النهار كان يبدو وكأنه حمام روماني وأفنية ودرجات تؤدي إلى الماء. تحيط سلسلة من الأقواس والأعمدة الإسبانية بالمسبح الساخن نفسه. تم تشييده منذ سنوات عديدة من أجل الأثرياء من مكسيكو سيتي الذين جاءوا إلى سان ميغيل لأخذ المياه، وكانت المباني في ذلك الوقت تنهار. في الليل كانت مخيفة، ومخيفة تقريبًا، ولها طابع ملموس من التاريخ القديم. في الظلام، بدوا صامتين ومهددين بعض الشيء.

سيكون هناك دائمًا تردد في البداية، وهي فترة من الإحراج عندما لا يكون أحد متأكدًا تمامًا من كيفية التصرف. ساعد الأطفال في إشعال النار التي سرعان ما اشتعلت فيها النيران في الفناء المدمر فوق حوض السباحة. ألقى فيل البارافين على اللهب فالتفت ألسنة اللهب وألقت ظلالاً راقصة على المباني القديمة المتهالكة. ثم جاءت الخطوة الأولى المبدئية عبر الممرات المظلمة والدرجات الزلقة البالية المؤدية إلى البركة نفسها.

تم وضع الشموع على طول الطريق وقدمت ضوءًا خافتًا خافتًا. كان الأطفال أول من دخلوا، وخلعوا ملابسهم وقفزوا مباشرة في المياه المتصاعدة من البخار. كنا جميعًا أصدقاء حميمين، ولكن كان هناك الآن نوع من الخجل، وعدم الرغبة في بادئ الأمر في خلع ملابسنا أمام الآخرين.

ومع برودة هواء الليل على الجلد العاري، تراجع البالغون إلى الظل ليخلعوا ملابسهم، ثم انتقل الجسد العاري الأول بسرعة وعلى استحياء من الملابس إلى حمام السباحة. كان الماء دافئًا، لدرجة حرارة ماء الاستحمام تقريبًا، وكانت الأكواب تتبخر بسرعة. كانت البركة كبيرة، يبلغ طولها خمسين قدمًا، ويتغذى من شلال يتدفق في أحد أركانها. أتذكر أنني كنت أطفو على ظهري تحت الشلال، ونظرت إلى النجوم وأشعر بثقل الماء الساخن على جسدي العاري.

كان كورتيجو في الليل ينضح بالحياة الجنسية التي أثرت فينا جميعًا. كان أعمق جزء من حوض السباحة أقل من خمسة أقدام وكان بمقدور معظمنا الوقوف بشكل مريح. تنتشر نقاط الضوء الأحمر على السطح أثناء إشعال السجائر –الماريجوانا والتبغ. شرب فيل من زجاجة الروم. فتحت روزماري البيرة ووضعتها على جانب حوض السباحة. وفوق النار، قام شخص ما بتشغيل الراديو وكانت الموسيقى المكسيكية تشبه الحلم في الظلام.

لم تتمكن الموسيقى والمحادثات الهادئة من كسر السكون الذي كان يخيم على حوض السباحة. كان الضباب يحوم فوق السطح وتمت رؤية الجثث العارية من خلال هذا الحجاب الهش. على بعد ثلاثين قدمًا فقط من المباني المتهدمة كان هناك خط سكة حديد قديم. نادرًا ما يُستخدم، ولا يُستخدم أبدًا أكثر من ثلاثة قطارات في الليلة.

في البداية لم تسمع شيئًا، مجرد هدير بعيد شعرت به في جسدك كاهتزاز عبر الماء. ثم اشتعل الضوء المنبعث من المصابيح الأمامية للقطار على حافة الأشجار التي تصطف على جانبي المسار. استلقيت نصف مغمور في المياه المتبخرة وشاهدت القاطرة العظيمة تدوي وهي تمر في وهج من الصوت والضوء الذي تلاشى ببطء حتى عاد الظلام والسكون مرة أخرى.

خرجت من حوض السباحة، وجففت يدي بالمنشفة حتى أتمكن من إشعال سيجارة دون أن تتبلل. لم يعد هناك خجل من الوقوف عاريا في ضوء النجوم. كان الهواء مثل الجليد بعد دفء الماء الهادئ وكانت حواس الجميع في حالة تأهب. كانت الأصوات شديدة الشدة. تساقط الماء المستمر من الشلالات، والضحك الخافت ورنين الراديو الترانزيستور الصغير الذي يعزف أغنية مكسيكية. ثم عد إلى الماء من خلال الضباب الذي غطى حوض السباحة مثل البطانية بعمق قدمين فقط.

من جانب حمام السباحة كانت النجوم لا تزال واضحة كالبلور. كانت من الماء خاضعة ومكتومة، مثل سماء الليل التي تُرى من وسط المدينة.

اجتاحني جسد عاري. لا وجه، لا تمييز، مجرد جسد مجهول، أقصر ملامسة حسية لجسد ضد لحم، امرأة ضد رجل.

بالقرب من الشلال الذي كان فيل وروزماري يلعبان فيه، كان فيل يطفو بثبات على ظهره بينما كانت روزماري تدفعه إلى الخلف والأمام تحت تيار الماء الثقيل. كانت الليلة مليئة بالضحك.

فنان آخر، صديقي فيفيان، غاص تحت فيل وصعد إلى أسفل الشلال، ودفعه بعيدًا عن الطريق. كان ثدييها يلمعان باللون الفضي الشاحب في ضوء النجوم. طاف زوجان آخران في الجزء الضحل من البركة، يتلامسان بلطف وحسية، مداعبة محتوى كسول.

كان صديقي أندرو غاضبًا من كيرستن لأنها ظهرت بجانبه ورشت الماء في البيرة. ضحكت كيرستن، رافضة أن تأخذه

التعصب على محمل الجد. ظهرت فيفيان بجانبي، وجسدها ناعم على جسدي، مثل فينوس بوتيتشيلي، ممتلئ الجسم ومستسلم؛ عيونها تضحك.
"دعونا نذهب البط فيل."
نما الضحك، وأفسح الهدوء المجال للنشاط الحيوي. أصبح الليل مليئًا بالصراخ وصوت رش الماء. تم دفع فيل تحت الشلال وخرج وهو يرتجف ويدفع شعره بعيدًا عن عينيه. كان هناك تدافع مفاجئ عندما أدرك أنه قد أسقط شراب الرم الخاص به.

انضممنا جميعًا إلى البحث، وغطسنا في الضباب وتحت سطح الشلال. تم العثور على الزجاجة تحتوي على ماء أكثر من مشروب الروم. لم يهتم أحد، لقد أخذنا جرعة كبيرة.

وعندما حان وقت تناول الطعام، صعدنا خارج الماء الدافئ رغمًا عنا، ونحن نضحك ونرتعد في الهواء البارد. كان الجو باردًا جدًا بحيث لا يمكن تجفيفه، لذلك قمنا بسحب الملابس مباشرة فوق الأجساد المبللة، وركضنا عبر الممرات ذات الرائحة السوداء المتعفنة وصولاً إلى دعوة النار الدافئة. المزيد من الروم. كان جلين يصنع الهامبرغر ويطبخه على اللهب. قال إنه كان أكبر من أن يتمكن من السباحة لكنه استمتع بمشاهدتنا. كانت زوجته هادئة وأكثر رضاً عن المعتاد، ولم تكن مستنكرة إلى هذا الحد، وكانت بجانبها كأس نصف مملوء من مشروب الروم.

دخنت البطاطس المشوية على الجمر وتجمعنا حول اللهب نأكلها بأصابعنا. أحضر رافائيل، شقيق Musia الذي كان يدير Quinta Loreto، جيتاره وبدأ في غناء أغنية هادئة هادئة عن المكسيك القديمة. لقد لعب دور "Vera Cruz" و"San Miguel" وانضممنا إلى الجوقات، وندندن عندما لا نعرف الكلمات. لعب الأطفال لعبة الغميضة حول المباني القديمة. كان الكبار هادئين وهادئين. المزيد من البيرة والماريجوانا بينما كان رافائيل يعزف، وهو بالكاد يدرك أن لديه جمهورًا. كان يعزف لنفسه، مغمض العينين، وجسده كله يهتز بالموسيقى. قمت أنا وأندرو بالتجول للبحث عن المزيد من الخشب. كان الجو باردا بعيدا عن النار. مشينا عائدين عبر المباني المتهدمة، ونلتقط العصا بين حين وآخر. لقد توقف الزمن عن الوجود. كان من الممكن أن نمضي عشر دقائق أو عشر ساعات ونحن نتحدث عن الفن وكوين وإنجلترا؛ إلى أي مدى بدا الأمر بعيدًا الآن.

بالعودة إلى النار، لم يتغير شيء. كان فيل نائماً، ورأسه في حجر روزماري. روى جلين قصصًا عن أيامه كجاسوس لأحد مواطني الجنوب

الجمهوريات الأمريكية، الضائعة في الأدغال، الأسيرة في بلدة صغيرة في الغابة؛ الويسكي السيئ وجنود قطاع الطرق. لقد جعل مغامراته عندما كان شابًا واضحة وفورية.

قمت بالسباحة مرة أخرى، وسرت مع فيفيان عبر الأشجار والحمامات القديمة التي كانت مخبأة بين الشجيرات. الماضي والحاضر اندمجا في الضباب. وأخيرًا، حان وقت المغادرة، حيث كان الأطفال نائمين بالفعل بجوار النار. لقد حملناهم ووضعناهم نائمين في الجزء الخلفي من السيارات. في طريق العودة إلى المدينة، غفوت في دفء سيارة فيل، ورأس شخص ما ثقيل على كتفي. كان سان ميغيل أمامنا، متلألئًا مثل الجوهرة، مرحبًا بنا في وطننا.

وقت السجن المكسيكي

تجربتي السابقة الوحيدة في السجن كانت بعد أن أوقفتني كوين لمحاولتي كسر الباب الأمامي لشقتنا في لندن عندما أغلقتني. والآن أتيحت لي الفرصة للمقارنة بين سجون لندن وسجون المكسيك، وكان الشراب الشيطاني هو السبب مرة أخرى.

بعد أمسية من الزحف على الحانات، قررت مجموعة منا الخروج بالسيارة إلى ينابيع ساخنة قديمة على بعد عدة أميال من سان ميغيل. على عكس الينابيع الساخنة في كورتيجو وتابوادا التي تمت زيارتها بانتظام، كانت هذه أرضًا مجهولة، وهي عبارة عن أطلال استعمارية بالقرب من بويبلو صغيرة اكتشفها أحد أصدقائي بالصدفة أثناء المشي في التلال، وهي غير معروفة تمامًا لمعظم الأجانب في سان ميغيل. . ستكون مغامرة!

بعد أن تم طردنا من بار Cucaracha في الحديقة حوالي الساعة الثانية صباحًا، تكدسنا في عدة سيارات وانطلقنا في رحلتنا الاستكشافية، حاملين معنا الكثير من البيرة والروم، جنبًا إلى جنب مع بعض الأشخاص الجدد الذين جمعناهم على مدار الرحلة. الليل. كان أحدهم شابًا مكسيكيًا يُدعى ناتي، وكان يقود السيارة التي كنت أستقلها.

كانت الينابيع الساخنة أصغر حجمًا وأكثر تدميراً من كورتيجو، حيث كانت مجرد مبنى متهالك من الطوب اللبن والحجر بدون سقف وبركة سباحة واحدة ساخنة تتدفق إلى مجرى مائي قريب. عند الفجر كنا لا نزال نشرب ونغطس عندما سمعنا صيحات غاضبة. نزلت نساء بويبلو إلى مجرى النهر لغسل ملابسهن وشعرن بالرعب عندما وجدن مجموعة من الغرينغو العاريات. استدعت الصيحات رجالهم، فلاحين مسلحين بالسكاكين والمناجل. أتذكر أن فيفيان كانت تصرخ "قطاع الطرق،

قطاع الطرق" مرارا وتكرارا. ربما كانوا يخططون فقط لإخافتنا، لكننا لم نبق هناك لمعرفة ذلك، وتركنا ملابسنا خلفنا بينما كنا ننطلق مخمورين نحو السيارات.

انتزعت سروالي الداخلي وكنت أكافح من أجل خلعه عندما سقطت في الجزء الخلفي من سيارة ناتي وأغلقت الباب. كان يتحسس بمفاتيحه، فأسقطها عدة مرات على الأرض بينما كان الفلاحون يحيطون بنا وبدأوا في ضرب غطاء السيارة وسقفها بمناجلهم. لقد شتمت ناتي ليخرجنا من هناك، فقام هو بشتمي، وبحلول الوقت الذي بدأ فيه تشغيل السيارة وترك الفلاحين وسط سحابة من الغبار، كنا نلوم بعضنا البعض لأننا كادنا أن نقتلنا.

تتلاشى ذكرياتي المباشرة هناك، لكن قيل لي إننا واصلنا الجدال في حالة سُكر على طريق العودة إلى سان ميغيل. أخيرًا، بدا أن ناتي قد اكتفى وألقى بي خارج السيارة خارج المدينة مباشرةً، وتركني عائدًا إلى المنزل. قال أصدقائي لاحقًا إنني ألقي القبض علي أثناء سيري أمام مركز الشرطة في الحديقة، عاريًا باستثناء سروالي الداخلي ومغطى بالدماء من جرح تلقيته إما بساطور أو -على الأرجح -بسبب الهرولة فوق الجدران المدمرة أثناء هروبي من الينابيع الساخنة. .

ذاكرتي المتماسكة التالية تأتي من عدة ساعات بعد ذلك، عندما استيقظت في البرد القارس على أرضية حجرية قذرة، ولم أرتدي شيئًا سوى سروال داخلي وسترة مكسيكية خشنة ومميتة وضعها شخص ما فوقي. لا بد أنني خسرت يومًا كاملاً لأنه حل الظلام مرة أخرى، وكان الضوء الوحيد يتسرب من تحت الباب ذي القضبان. كانت الزنزانة طويلة ذات جدران جصية متقشرة، ولها نافذتان مرتفعتان على الحائط وكانتا مسدودتين ومغلقتين بشدة. كانت الأرضية مغطاة بالقش القذر، وكان المرحاض عبارة عن برميل زيت كريه الرائحة يفيض في الزاوية. بدا أن هناك حوالي 20رجلاً آخرين في الزنزانة، فلاحون مكسيكيون يجلسون على أعقابهم، ويراقبونني بصمت في الضوء الجزئي -باستثناء شخص يشخر بهدوء عند قدمي، وبركة من البول تتناثر على الأرض من ملابسه المتسخة. بنطال.

لم يكن لدي أي فكرة أين كنت. آخر ذكرياتي كانت على بعد أميال خارج سان ميغيل. لم يكن لدي ملابس ولا مال، وكان بإمكاني التواجد في أي مكان في مقاطعة غواناخواتو. كان من غير المرجح أن يعرف أصدقائي أين انتهى بي الأمر. كما كنت أعاني من آثار الكحول والعطش الشديد، ولم يكن هناك ماء في "الخزان المخمور"، وهو ما كان واضحًا هو الغرض من الزنزانة.

بعد استخدام أسطوانة الزيت بعناية، عدت لأجد مكاني مقابل الحائط قد تم أخذه بالفعل. تحرك فلاح آخر جانبًا لإفساح المجال، وهو الذي غطاني بسترته. حاولت أن أسأله أين كنت بلغتي الإسبانية البسيطة. "دوندي؟ دوندي؟" لكنه ابتسم بخجل وأراني كيفية جمع القش لصنع سرير على الأرضية الحجرية. جلس المزارعون الآخرون بلا حراك وحدقوا في وجهي دون أن يرمشوا أو ينطقوا بكلمة واحدة. دفنت في القش وتساءلت عما إذا كنت سأموت بسبب الالتهاب الرئوي أثناء الليل؛ لقد كنت بائسة جدًا لدرجة أنني لا أستطيع الاهتمام بها.

لم أشعر أبدًا بالارتياح عندما سمعت نشازًا لا لبس فيه لأبراج كنيسة سان ميغيل العشرين التي تدق في ساعة المساء عبر النوافذ ذات القضبان.

بعد منتصف الليل بقليل، فُتح باب الزنزانة وأُلقي جوزيه فيها. كان رجلًا صغيرًا ذو فم حزين متجه نحو الأسفل، يرتدي سترة وسروالًا أكبر منه بعدة مقاسات، مثل رجل أكبر حجمًا تم استبعاده. في المطر ليتقلص. كنت أعرف جوزيه من الجانب الرخيص (المشمس) من حلبة مصارعة الثيران حيث كان يبيع المشروبات الغازية من الصينية المعلقة حول رقبته. كان خوسيه شخصية في بلدة تنعم بشخصيات، مثل فنسنتي، بائع الصحف الذي يتذمر مثل البقرة، ومانويل، الصبي ماسح الأحذية بلا ساق والذي يتنقل على عربة صغيرة وكان معروفًا أنه يتسابق بالسيارة على طول الطريق. حول الحديقة قبل أن يستسلم ساكنوها ويسمحوا له بتلميع أحذيتهم.

نحن الأجانب كنا نعرف جوزيه كشخص يوم الأحد، ولا نراه إلا في حلبة مصارعة الثيران، لذا فإن ما فعله بقية الأسبوع كان لغزًا. لقد أصبح الآن مخمورًا للغاية مجيبًا على صلاة، تفوح منه رائحة المسكال، ويمسك بيأس بستة زجاجات صودا متبقية على الصينية التي لا تزال معلقة حول رقبته. يبدو أن هذا كان حدثًا شائعًا كان النظاميون في زنزانتنا ينتظرونه بفارغ الصبر.

لقد انتهى الأمر في بضع ثوان. تدافع في الحركة، وتنهدات مفجعة من خوسيه، وتم التقاط الصينية نظيفة. لقد عاد الفلاحون الذين كانوا يبدون في غيبوبة قبل لحظات إلى أسرتهم المصنوعة من القش وهم يحملون جوائزهم. عرض عليّ صديقي الجديد بخجل زجاجة مسروقة من مشروب الصودا، وهي عبارة عن مشروب غازي حلو بالليمون كنت أكرهه من قبل. لقد كسرنا الغطاء على الحائط وشربناه معًا. لم يكن طعم الشمبانيا جيدًا أبدًا.

أنهى اعتقال خوسيه إثارة الليلة. كان هناك تمتم للأصوات خارج باب الزنزانة وتلاشت بصيص الضوء.
استقرت الزنزانة في ظلام دامس، والبرد لا يوصف، والرائحة الكريهة طغت.

سمعت من حولي شخيرًا متفجرًا، وسعالًا وتجشؤًا بين الحين والآخر، وشخصًا يستخدم طبلة الزيت؛ انها ستكون ليلة طويلة.
في وقت مبكر من صباح اليوم التالي ، تم إخراج المزارعين المخمورين الذين تم القبض عليهم في الليلة السابقة لكنس شوارع سان ميغيل، وهو حدث يومي. حاولت الانضمام إليهم لكن الشرطة أوقفتني. لقد كنت غرينغو وكانوا يريدون المال قبل أن يطلقوا سراحي. حاولت أن أشرح أنه لم يكن لدي أي شيء، ولا حتى الملابس. هزوا أكتافهم؛ لا مال ولا إطلاق!

أعطيت صديقي الفلاحي من الليلة السابقة عنوان أندرو وتوسلت إليه أن يشرح لي مكاني، ثم شاهدت السكارى وهم يجرون أقدامهم لبدء عملية تمشيط الشوارع، برفقة اثنين من رجال الشرطة الذين يشعرون بالملل، بينما بقيت أنا في الخلف وصليت من أجل الإنقاذ.

كان الظهر قبل أن يصل أندرو أخيرًا ليدفع "الموردة" (حرفيًا "اللدغة") التي ستخرجني من السجن. ولكن مرة أخرى تم إيقافي قبل أن أتمكن من المغادرة. وأوضح الشرطي: "إذا خرج إلى الشارع بدون ملابس، فسنعتقله مرة أخرى".

ما الذي ينبغي القيام به؟ أزال أحد رجال الشرطة قميصه وناولني إياه. 25"بيزو". وخلع آخر سرواله وسلمه لي. 50"بيزو".

ثم جاء بعد ذلك زوج من صنادل هواراتشي الخام بنعال مقطوعة من إطار قديم. أخيرًا، تم تسليمي معطفًا صوفيًا رائعًا (لا يزال لدي) نسجته السجينات على أنوال في السجن. تم بيع العباءات لدفع تكاليف احتجاز السجناء الذين ليس لديهم عائلة لإحضار وجبات منتظمة لهم. غادرت مركز الشرطة وأنا فقير بأكثر من خمسين دولارًا وأرتدي ملابس مثل الفلاحين المكسيكيين. لعدة أشهر بعد ذلك، كلما التقيت زملائي في الزنزانة الذين كانوا يكنسون الشوارع بعد ليلة أخرى في السجن، تم الترحيب بي وكأنني أخ ضائع منذ زمن طويل.

وقت الرحيل

وبعد ما يقرب من خمسة أشهر في سان ميغيل، حان وقت المغادرة. لقد نفدت أموالي ولم تستمر التأشيرات السياحية المكسيكية إلا لمدة ستة أشهر.
كانت الرحلة الحدودية ضرورية. لقد جعلت مواردي المالية المحدودة تدوم

أطول مما كنت أعتقد أنه ممكن ولكن بعض العمل مدفوع الأجر أصبح الآن ضروريًا؛ لم أستطع تحمل قضاء المزيد من الوقت في تناول اللوتس.

في وقت سابق من ذلك الربيع، كنت أتناول الجعة في كانتينا في الهواء الطلق في الحديقة عندما جلس كندي ملتح بجانبي. "انت تشبه

قال: "شخص مثير للاهتمام للتحدث معه"، هكذا التقيت لأول مرة بالفنان وباني القوارب غاري وصديقته دي. لقد كانوا يقضون شهرًا في إجازة في سان ميغيل وأصبحنا أصدقاء جيدين. اقترح غاري "تعالوا لزيارتنا في كندا". وهكذا، عندما انتهت تأشيرتي المكسيكية لمدة ستة أشهر، استقلت القطار إلى الحدود الأمريكية في لاريدو قبل أن أتوجه شمالًا عبر أمريكا إلى الحدود الكندية.

الجزء الثالث

تورونتو 1970

قضيت صيف عام 1970على ضفاف البحيرة في ويتبي، أونتاريو، وهي بلدة صغيرة تبعد حوالي خمسة وعشرين ميلاً شرق تورونتو. الأيام الحارة الرطبة والليالي المخملية الدافئة؛ تقترب النجوم من السماء وتتوهج أضواء أمريكا بشكل خافت عبر بحيرة أونتاريو. كنت أعيش مع غاري ودي في حظيرة قديمة متداعية أعادوا بنائها وتحويلها. كان غاري يبني قاربًا، ويبني مركبه الثلاثي الذي يبلغ طوله خمسة وأربعين قدمًا بمهارة حرفية دقيقة من شأنها أن تُنسب الفضل حتى إلى مصممي القوارب الأكثر احترافًا. Tiktoiac، كانت تسمى آنذاك، ذئب البحر في لغة الإسكيمو، سميت على اسم تيكا، الكلب الأسود الكبير، جزء منه هاسكي وجزء ذئب، والذي كان يتقاسم الحظيرة على قدم المساواة مع البشر.

في ذلك الصيف، كان Tiktoiacقيد الإنشاء بالفعل لمدة ثمانية عشر شهرًا. ستمر أربع سنوات أخرى قبل أن تبحر إيسلا، كما تم تسميتها أخيرًا، إلى المحيط وتبحر في محيطات العالم لمدة ثلاث سنوات قبل أن تتحطم في عاصفة قبالة جزر البهاما. لكن ذلك كان لا يزال بعيدًا في المستقبل خلال صيف عام 1970، وتم شغل كل المساحة المتاحة في الحظيرة بالأدوات والخشب وثلاثة هياكل كبيرة كانت مقلوبة رأسًا على عقب على منصات، في انتظار أول طبقة من الألياف الزجاجية.

الصيف في الحظيرة القديمة

كنا نحن الأربعة، نظرًا لأن تيكا أحد أفراد العائلة، نعيش في شقة بناها غاري في عوارض الحظيرة، وهي منزل مريح مقسم إلى طابقين مع حجرتين للنوم في أحد طرفيه مثل كبائن السفينة الصغيرة. لقد كانت مساحة معيشة مريحة وبدائية، كلها محفورة بشكل خشن وتفوح منها رائحة القار والأخشاب. لم تكن هناك مياه جارية، ولم يكن هناك سوى مرحاض كيميائي قديم تم نفيه إلى غرفة صغيرة في الطابق السفلي وتم تجنبه على الجميع باستثناء معظمهم.

مناسبات عاجلة. كان من الأسهل استخدام الشجيرات في الخارج.
كانت الحظيرة نموذجية للكثيرين في ذلك الجزء من الريف، وكانت كبيرة ومتشعبة ومبنية على عدة مستويات. على أحد الجوانب كانت توجد صومعة خرسانية ترتفع فوق بقية الحظيرة. كان يستخدم في السابق لتخزين الحبوب، وأصبح الآن خاليًا باستثناء الطيور التي بنت أعشاشها داخل أسواره الواقية.



على الأرض أمام الحظيرة كان هناك تريماران آخر مكتمل جزئيًا. كان غاري قد بنى الهياكل قبل عدة سنوات وباعها لرجل من تورنتو كان يقود سيارته في عطلات نهاية الأسبوع لمواصلة العمل.

في بعض الأحيان كان يحضر عائلته معه. كانوا يتنزهون في العشب الطويل ويشاهدون بأقل قدر من الاهتمام وهو يكافح لإصلاح الأضرار التي لحقت به لمدة عامين في الخارج وسط العواصف الشتوية القاسية في كندا.

كان داخل الحظيرة متاهة من الدرجات والسلالم والممرات الملتوية والغرف غير المتوقعة. كانت الأرضيات، المصنوعة جزئيًا من الخشب والحجر جزئيًا، غير مستوية ومهترئة، بينما كانت الأخشاب الشرائحية التي تشكل الجدران مفتوحة للسماح لأشعة الشمس والرياح بالمرور دون انقطاع. في الليالي العاصفة كانت الحظيرة بأكملها تئن وتصفر كما لو كانت على قيد الحياة. فقط الشقة في الطابق العلوي كانت مقاومة للرياح، ومغلقة بطبقات سميكة من الأغطية البلاستيكية الشفافة. في وسط الغرفة كانت توجد مدفأة فولاذية دائرية قام غاري بتشكيلها بجهد كبير، وترتفع أنبوبة المدخنة السوداء عبر فتحة في السقف.

في الأمسيات الباردة، كنا نشعل نارًا مشتعلة ونجلس للحديث، ونشرب البيرة والمشروب الحلو الذي كان غاري يبرده ويشربه باعتباره مصدرًا رئيسيًا للإدمان على الكحول. لقد كان طعمها مقززًا ولكنها كانت رخيصة، وهو اعتبار مهم لأننا جميعًا كنا فقراء جدًا. درست دي في إحدى مدارس تورنتو، وحصلت على وظيفة في تفريغ الأمتعة يومين في الأسبوع في محطة سكة حديد أوشاوا بينما كان غاري يعمل بما يكفي على لوحة اللافتات الخاصة به للحفاظ على تدفق الأموال حتى يتمكن العمل على متن القارب من الاستمرار. تيكا، بصفته العضو الرابع في العائلة، كان يقاتل كلابًا أخرى ويذهب أحيانًا لمداهمة الدجاج في المزارع القريبة. على الرغم من أن تيكا لم يكن لديه في الواقع ثمن على رأسه،

كان على غاري في كثير من الأحيان تهدئة المزارعين الغاضبين، وفي بعض الأحيان كان يشتريهم بأموال حصلوا عليها بشق الأنفس. كان دوري، في الأيام التي لم أكن أقود فيها عربة الأمتعة أعلى وأسفل الرصيف لمقابلة القطارات الثلاثة التي تتوقف في أوشاوا كل يوم، هو مساعدة غاري في قيادة القارب.

لقد كان معلمًا متطلبًا، يصر على درجة من الحرفية والدقة التي اعتقدت في البداية أنها مهووسة، وأنا لا أعرف شيئًا عن القوارب.
يومين كاملين فقط لصقل طبقة واحدة من الخشب على هياكل الركائز، وهي الطبقة التي سيتم تغطيتها بالكامل بالطبقة التالية ثم يتم تغطيتها بدورها بطبقة من الألياف الزجاجية. ومع ذلك، سرعان ما علمت أن غاري كان على حق، لأن مثل هذه الدقة يمكن أن تكون مسألة حياة أو موت. ليس بعد ذلك، ربما ليس لسنوات عديدة، ولكن سيأتي وقت تكافح فيه تيكتوياك خلال عاصفة، ويلتوي هيكلها وتقصفه الأمواج العاتية، وستعتمد سلامة وحياة طاقمها على مدى دقة كل طبقة من الخشب. تم تركيبها معًا قبل سنوات عديدة.

في بعض الأحيان كنا نعمل طوال اليوم، عاريين حتى الخصر ومغطين بطبقة من الغبار والعرق وشظايا الخشب. ثم نخرج إلى البئر التي كانت تقع أمام الحظيرة، وكانت مضختها الصدئة مختبئة تقريبًا بين العشب الطويل، ونغسلها من أوساخ النهار بالمياه الجليدية الصافية.

بعد ذلك، في الأمسيات الدافئة، كنا نجلس بجانب الحظيرة وأبوابها الكبيرة مفتوحة، وننظر إلى حقول الذرة بينما تغرب الشمس في وهج من اللون القرمزي والذهبي.

تلك الأمسيات هي ما أتذكره جيدًا، كان الهواء دافئًا ورطبًا بعض الشيء، كنا نجلس نحن الثلاثة على العشب وظهرنا على خشب الحظيرة الخشن، نتحدث أحيانًا ولكن غالبًا ما نصمت بسلام مع أفكارنا. ركض تيكا بحرية في الحقول، لكنه كان يأتي إلينا، يلهث ويبتسم، وتفوح منه رائحة كلب مبلل دافئ، للتأكد من أننا لا نزال هناك قبل الإقلاع بعد رائحة جديدة وأكثر إثارة للاهتمام.



ودونو، الماعز الصغيرة الغبية التي اشترتها دي في لحظة ضعف والتي تناثرت فضلاتها في الأجزاء السفلية
من الحظيرة، شدت حبلها وشدته، وكادت تخنق نفسها أثناء محاولتها الاقتراب منا، ونطح رأسها في وجهنا. بأيدينا
حتى نخدشها على البقعة الرقيقة بين قرنيها. ثم تغمض عينيها في حالة من النشوة، وتتكئ بكل ثقلها على الشخص
الذي يقوم بالخدش، وتصدر شهقات صغيرة من الألم كلما توقف.

كانت هناك بيرة دائمًا، تُشترى أحيانًا في صناديق من متجر محلي، وأحيانًا تُصنع في الحظائر، ويتم
تخميرها في سلة قمامة بلاستيكية كبيرة ومعبأة في زجاجة من الحديد الزهر كانت مملوكة لجد غاري.

في كثير من الأحيان كنا نتناول وجبتنا المسائية ونجلس بجانب الحظيرة، نستمع إلى صوت الصراصير ونتحدث
عن القوارب أو نروي قصصًا عن أشخاص وأماكن بعيدة. ودائمًا ما يكون هناك زوار في المساء، يصعدون على مسار
العربات المؤدي من الطريق الرئيسي، وتضيء المصابيح الأمامية للسيارات الأشجار وهي تتأرجح حول جانب
الحظيرة لتتوقف بالقرب من المكان الذي كنا نجلس فيه؛ يأتي الناس لرؤية تقدم القارب؛ الأصدقاء الذين عاشوا
حياة طبيعية من التاسعة إلى الخامسة وهم يخرجون من تورنتو لالتقاط جو السلام والحرية الذي أحاط بالحظيرة، ولو
لفترة وجيزة.

كان هناك آخرون، من صانعي القوارب أنفسهم، الذين جاءوا لتبادل المشاكل والقصص مع غاري،
ومناقشة الصعوبات التي تمت مواجهتها والتغلب على الصعوبات وطرق جديدة للحصول على نتائج أفضل مقابل
أموال أقل.
كان المال هو الشغل الشاغل لجميع صانعي القوارب هؤلاء. حتى لو فعلوا كل شيء لأنفسهم، فإن بناء قارب
للمحيطات كان مكلفًا.

لم يكن هؤلاء المتحمسين الأغنياء قادرين على شراء قارب في شكل مجموعة موحدة مثل اختيار بدلة منتجة بكميات كبيرة من كتالوج المتجر. وبدلاً من ذلك، كانوا يتعرقون دمًا عامًا بعد عام، ويصنعون يدويًا كل شيء بدءًا من الصواري إلى مجموعات الدفة، وينفقون كل دولار يكسبونه في القوارب التي من شأنها أن تمنحهم الحرية. كان هناك البعض ممن اكتملت قواربهم بالفعل، وعادت صلبة وبنية بعد ستة أشهر من الإبحار بين الجزر الاستوائية النائية مع مئات الشرائح الملونة وقصص لا نهاية لها عن الهروب الضيق والكوارث الوشيكة.

لقد تحدثوا عن إثارة الاكتشاف، وعن كونهم وحيدين في مواجهة قوة المحيط الكاملة. تحدثوا عن المأساة، والقارب الذي غرق، والصديق الذي ضاع. كان هناك رجل قضى عامين وأنفق كل أمواله في بناء طوف يبلغ طوله سبعين قدمًا، لكنه انكسر تحته أثناء عاصفة الكاريبي في موسمه الأول من الإبحار. كان هناك الوغد المبهج الذي تم التعاقد معه لبناء قارب لشخص آخر وأبحر به بعيدًا تحت أنظار الشرطة عندما لم يتقاضى أجرًا مقابل عمله؛ لقد فقد حياته في عاصفة وسط المحيط الأطلسي بعد بضع سنوات.

وكانت هناك قصص الحماقة والحزن. حماقة أ

الرجل الذي بنى هيكله الأحادي الذي يبلغ طوله خمسين قدمًا من خشب الساج لأنه أحب شكله وشعوره فقط ليجد أن قاربه ثقيل جدًا لدرجة أنه لا يستطيع القيام بأكثر من التخبط في الماء. حزن الكندي الفرنسي المتقاعد الذي قضى سنوات في بناء قارب أحلامه الذي سيقضي عليه هو وزوجته سنواتهما الأخيرة في رحلة حول العالم. وعندما تم الانتهاء من بناء القارب أخيرًا، باع كل شيء وانطلق مع زوجته وكلبه في رحلة ستأخذهم جنوبًا إلى الشمس. وبعد شهرين عاد، وكانت زوجته غير قادرة على تحمل الحياة في البحر، وتطالبهم بإعادة شراء منزلهم والعودة إلى الحياة الطبيعية.

لم يكن لدي أي اهتمام من قبل بالإبحار، لكن في جو الحظيرة المضطرب، كنت أتخيل نفسي أقوم ببناء قارب خاص بي في يوم من الأيام. كان هذا هو تأثير غاري والحظيرة عليّ؛ لقد وجد سر الحرية المطلقة. كان يعاني من مشاكل وصعوبات مثل أي شخص آخر، لكنه تعلم على مر السنين الاعتماد على نفسه وحده، في سلام مع نفسه ومع العالم من حوله، مما يمنحه الدفء والدفء.

الصداقة لكل من عرفه ولم يطلب من العالم شيئًا لا يستطيع أن يخلقه بيديه وبجهوده الخاصة. لقد كان دي مكملاً مثاليًا، وقد أشعوا معًا والحظيرة شعورًا بالسلام الذي جعل المشكلات الأكبر في العالم، ومسار عملي المستقبلي، يبدو غير مهم وبعيدًا.

مكثت في الحظيرة لمدة ثلاثة أشهر، وهي فترة من الرضا الهادئ.
في بعض الأحيان كنت أقضي اليوم في غرفتي الصغيرة التي تشبه المقصورة أعمل على رواية الأطفال "مدينة الغابة الهامسة" التي كنت قد بدأت كتابتها في المكسيك في الشتاء الماضي. لكن في معظم الأوقات كنت أعمل مع غاري على متن القارب، ففي الحظيرة كان تكتوياك هو المعبود الذي يحني الجميع رؤوسهم أمامه.

في إحدى الأمسيات في أواخر الصيف، وكان الهواء معطرًا وناعمًا برائحة اقتراب الخريف، قمنا بزيارة صديق غاري الذي كان يبني قاربًا ثلاثيًا على ضفاف بحيرة أونتاريو. مرت ساعات ونحن نتحدث عن القوارب والإبحار ولكننا أخيرًا غادرنا عائدين إلى الحظيرة وغطاء المحرك لأسفل والرياح دافئة ورطبة على وجوهنا بينما كانت سيارة جاري كورفيت تزمجر طوال الليل. كانت سيارة كورفيت هذه، التي كانت قديمة قدم الشاحنة الصغيرة السوداء المحطمة التي كانت وسيلة النقل المعتادة لغاري، بمثابة فخره وسعادته، حيث تم حراستها ورعايتها بغيرة ونادرا ما تم اختبارها بكامل إمكاناتها. لكن في تلك الليلة، عندما انعطفنا إلى الطريق السريع المؤدي إلى الحظيرة، أعطى السيارة كل ما لديها. بسرعة مائة ميل في الساعة مع هدير الريح عبر شعرنا، والنجوم الساطعة فوق رؤوسنا وأضواء أمريكا اللامعة بعيدًا عبر بحيرة أونتاريو، عدنا إلى الوطن عبر عالم من السحر السحري.

وصلنا إلى المنزل، وانحرفنا عن الطريق نحو المسار الترابي المحفور الذي كان شبه سالك بعد العاصفة، وتجولنا حول الحفر حتى التقطت المصابيح الأمامية لسيارة كورفيت أخيرًا الكتلة السوداء من الحظيرة وأغرقتها بالضوء. وقفز تيكا، بعينيه المتوهجتين في العوارض الخشبية عندما جاء مسرعًا لاستقبالنا، إلى السيارة التي كانت لا تزال تتحرك وانقلب على نفسه تقريبًا من الداخل إلى الخارج فرحًا بعودة سيده.

بين الحظيرة والطريق يقع منزل رايلي، وهو منزل قديم مصنوع بالكامل من الخشب ولم ير طلاءًا واحدًا على الإطلاق طوال خمسين عامًا من وجوده. كان رايلي من كبار السن الذين جنوا الكثير من المال خلال ذلك الوقت

حظر تشغيل الويسكي عبر بحيرة أونتاريو إلى الشاطئ الأمريكي.

بمجرد أن امتلك الحظيرة، كان يتجول في كثير من الأحيان ليرى كيف كان العمل

يتقدم على متن القارب، ويتناول الجعة ويستقر بشكل مريح ليروي قصص الأيام التي كان يتهرب فيها من قوارب الجمارك لتسليم حمولته الثمينة. لقد أصبح الآن كبيرًا في السن ولكنه ظل محتفظًا بالتقاليد القديمة، حيث كان يزود الأصدقاء والجيران بمزيج محلي من ضوء لغو قوي بما يكفي لتفجير الطلاء. وفي كثير من الأحيان، في المساء، كانت هناك عدة سيارات متوقفة خارج منزله وتضاء الأضواء في وقت متأخر من الليل في المطبخ الذي كان يقيم فيه

محكمة.

في بعض الليالي تمت دعوتنا إلى مطبخه لشرب أكواب مليئة بسائل عديم اللون تقريبًا من مخزونه الخاص. ثم كنا نجلس ونتحدث لبعض الوقت قبل أن نسير مسافة مائة ياردة تقريبًا عبر الظلام إلى الحظيرة، ملفوفين بضباب دافئ ومريح. لم يكن هناك تلفزيون في الحظيرة، ونادرا ما كان هناك راديو. كنا نتحدث كل مساء عن الحياة والمعيشة، وعن القوارب، وعن السفر إلى بلدان بعيدة. جوني ميتشل على جهاز التسجيل، كان هادئًا أحيانًا بينما كنا نجلس في الطابق العلوي بجوار النار المشتعلة، وفي أحيان أخرى كنا نتحرك ونردد صدى عبر الحظيرة بينما كنا نجلس في الخارج تحت النجوم ونتحدث عن الأحلام والرحلات المستقبلية. ولكن مع حلول فصل الخريف وبرودة الليالي، أدركت أن الوقت قد حان للمضي قدمًا. اقترح غاري أن أبقى، وأواصل العمل على متن القارب والإبحار معهم عندما تنتهي. لقد كان الأمر مغريًا ولكني كنت أعلم أنني لا أستطيع أبدًا أن أعيش حياتي وفقًا لشروط شخص آخر.



وأخيرًا، جاء اليوم الذي وقفت فيه على الطريق الرئيسي، وأشرب كأسًا أخيرًا من النبيذ مع غاري ودي بينما كانت السيارات تضج بجانبي. أمامنا كانت هناك رحلة بطول 4000 ميل سيرًا على الأقدام إلى فانكوفر وفي النهاية إلى لوس أنجلوس. قلنا وداعًا وصعدوا إلى الشاحنة السوداء القديمة وعادوا إلى الحظيرة. وقفت وسط دوامة أبخرة السيارات والحرارة التي تراكمت من الطريق الذي أحرقته الشمس، أدرت وجهي نحو الغرب وأخرجت إبهامي.

الجزء الرابع

لوس أنجلوس 1971 – 1970

وبعد أسبوعين وصلت إلى لوس أنجلوس على ظهر شاحنة برتقالية اللون، ونزلتُ بجانب طريق سريع قريب من وسط المدينة لأنزل على جسر إلى مدينة غير مألوفة وفي جيبي أقل من دولار واحد ورقمين هاتف محليين. الأولى كانت والدة كوين. والثاني كان جلين، الجاسوس السابق والمصور الإباحي المسن من سان ميغيل والذي عاد الآن إلى لوس أنجلوس.

قضيت ليلتي الأولى في لوس أنجلوس نائمًا على كرسي التلفزيون في محطة Greyhound بوسط المدينة. نظرًا لأن هذه كانت الكراسي المريحة الوحيدة، قامت الشرطة المحلية بتحريك المتشردين ما لم يستمروا في تغذية العداد الذي يدفع ثمن التلفزيون بزيادات نصف ساعة. لقد كنت محظوظًا عندما وجدت كرسيًا به تلفزيون والعداد مكسور. الشرطة سمحت لي بالنوم دون إزعاج.

في صباح اليوم التالي استخدمت أحد أجهزتي الأخيرة للاتصال بوالدة كوين.

لقد اصطحبتني من محطة جريهاوند وأعادتني إلى المنزل الذي كانت تعيش فيه مع زوج أم كوين وابنهما الصغير. مكثت معهم لعدة أسابيع أثناء البحث عن وظيفة حتى اقترحت بأدب أن الوقت قد حان للعثور على مكان خاص بي. لقد كانت بداية فصل جديد تمامًا في حياتي.

مكارثر بارك

كنت آمل أن تقودني تجربتي التلفزيونية في المملكة المتحدة إلى هوليوود، لكن الوظيفة الوحيدة التي تمكنت من العثور عليها كانت بائعًا متدربًا في مكانس فيرفاكس الكهربائية. كان مدير المبيعات المحلي نجم روك سابقًا (وصغيرًا) يعاني من مرض في القلب وكان يمر بأوقات عصيبة. كان اهتمامه الأساسي خلال مقابلتنا هو ما إذا كان لدي "الموقف المتوقع من أحد أعضاء فريق فيرفاكس". يبدو أنني فعلت ذلك منذ أن عرضت علي الوظيفة.

انتقلت إلى فندق رخيص وقذر في ماك آرثر بارك، ولم يكن بعد خطيرًا كما أصبح بعد عقد من الزمان بعد أن أصبحت المخدرات وإطلاق النار بين العصابات متوطنًا، لكنه كان يتحرك في هذا الاتجاه. كانت الحديقة مكانًا في منتصف الطريق حيث كان المحتالون والقوادون والبغايا يتجمعون مع ربات البيوت القلقات والأطفال الذين يصرخون والأزواج الأنيقين الذين يجلسون على البطانيات في العشب للاستماع إلى الحفلات الموسيقية الأوركسترالية التي يقدمها مجلس مدينة لوس أنجلوس بعد ظهر كل يوم أحد. خمس دقائق إلى الغرب حتى ويلتشير

كانت Boulevard هي الفنادق باهظة الثمن والمتاجر العصرية في بيفرلي هيلز. على بعد خمس دقائق إلى الشرق كانت هناك مفاصل التعري والحانات عاريات الصدر والمكتبات المخصصة للبالغين في وسط مدينة لوس أنجلوس. كان منتزه ماك آرثر يقع في المنتصف، وهو عبارة عن واحة خضراء وسط صحراء من الخرسانة. كان البط يجدف في بحيرة مصغرة وكان العشاق يتجولون يدا بيد على طول مسارات ملتوية تصطف على جانبيها الأشجار. على الجانب الشمالي من الحديقة كانت هناك عدة فنادق، فنادق في منتصف الطريق، عالقة بين الأناقة والانهيار، يسكنها أناس في منتصف الطريق، بعضهم في الطريق للأعلى ولكن معظمهم في الطريق للأسفل.

كان الفندق الذي أقيم فيه يُدعى ليك فيو، وقد اقترب من درجات حجرية متداعية ومن خلال باب دوار فقد معظم زجاجه حيث كان البواب يجلس يقرأ روايات ميكي سبيلان المثيرة في زي ملطخ بالعرق.

كان الإيجار ثمانية عشر دولارًا في الأسبوع، يُدفع مقدمًا. كانت غرفتي في الطابق الخامس (لا يوجد مصعد يعمل) وكانت هناك بقع رطبة على الجدران، وورق حائط مقشر، ونافذة مطلية بالطلاء تطل على صناديق القمامة. كان الطابق الخامس يحتوي على حمام واحد مشترك بين جميع السكان، وغرفة كبيرة خالية من الأثاث باستثناء حوض استحمام ضخم بدون قابس (الجورب المطوي يعمل بشكل جيد). تم تآكل المشمع في عدة أماكن ليكشف عن الألواح العارية تحته. تم تعليق ورق الحائط من الجدران في طيات رطبة وتم طلاء النافذة مغلقة.

وبما أن معظم سكان الطابق يعملون، فإن الأوقات ما بين السابعة والثامنة صباحًا والسابعة والثامنة ليلاً كانت ساعات الذروة.
كان كل باب مفتوحًا جزئيًا، وكان كل ساكن يستمع إلى نقرة قفل باب الحمام التي كانت بمثابة إشارة لوقوع اشتباك عام، وكان الممر يردد صوت أقدام منزلقة حتى انغلق باب الغرفة الخلفية مرة أخرى، ونقر القفل وتقاعد الخاسرون العودة إلى غرفهم في انتظار القادم

فرصة.
لقد أحببت دائمًا نسخة الممثل ريتشارد هاريس من MacArthur Park ، لكن في كل مرة كنت أعود فيها إلى الفندق عبر المنتزه ليلاً، كنت أرى مدى بعده عن الواقع. "حديقة ماك آرثر تذوب في الظلام، وكل الجليد الأخضر الحلو يتدفق إلى الأسفل" هو شعر عظيم ولكن القوادين والمومسات هم الذين امتلكوا حديقة ماك آرثر بعد حلول الظلام ولم تكن عمليات السرقة غير شائعة. كنت أتطلع إلى الوقت الذي أحصل فيه على وظيفة تدفع ما يكفي من المال

استأجر شقة حيث لم يعد علي التنافس على الحمام أو مشاهدة الصراصير وهي تسير عبر أرضية غرفة النوم.

في غضون بضعة أسابيع، حتى قبل أن أكمل التدريب على المبيعات الخاص بالمكانس الكهربائية من Fairfax، تحققت أمنيتي.
إد وود جونيور.

بعد ما يقرب من ثلاثين عامًا، أثناء العمل على سلسلة Zoboomafoo للأطفال على قناة PBS في أواخر التسعينيات، أعلن موسيقيان في العشرينات من العمر قاما بتأليف الموسيقى وعزفها أنني كنت رجعيًا. اتضح أن أسلوبي الرجعي لا علاقة له بعقود من صناعة الأفلام الوثائقية الناجحة، بل جاء بدلاً من ذلك من ثلاث فترات قصيرة في سنوات السفر هذه. أولاً كان عملي مع جيري أندرسون في عروض الدمى Supermarionation مثل Scarlet Captain في الستينيات. والثاني كان عندما شارك بعض طلابي من جامعة تكساس في أوستن حيث كنت أقوم بالتدريس في صيف عام 1973 في فيلم "مرعب" منخفض الميزانية والذي سيصبح واحدًا من أكثر أفلام الرعب شهرة في تاريخ السينما - مذبحة منشار تكساس. . ثالثًا، كانت وظيفتي التالية في لوس أنجلوس، كتابة المواد الإباحية لمنظمة تدعى "بندول للنشر"، حيث شاركت مكتبًا مع رجل يرتدي تنانير قصيرة وسترات أنجورا وتحدث عن جميع الأفلام التي أخرجها مع نجم الرعب بيلا لاغوسي.

عندما صدر فيلم تيم بيرتون "إد وود" في عام 1994 وبدأ الناس يتحدثون عن هذا المخرج المهووس بالأنجورا الذي كان يرتدي التنانير القصيرة في الأماكن العامة وكان يطلق عليه "أسوأ مخرج على الإطلاق" لملاحم مثل جلين وجليندا، الخطة 9 من الفضاء الخارجي وعروس الوحش، تساءلت عما إذا كان هو نفس الرجل الذي عملت معه في لوس أنجلوس قبل أكثر من عقدين من الزمن. على مر السنين، كنت أروي في كثير من الأحيان قصصًا عن "هذا العجوز السكير" الذي كان يرتدي تنانير قصيرة وسترات أنجورا وأصر على أنه عمل مع بيلا لوغوسي، لكنها كانت مجرد قصة جيدة يمكن روايتها في الحفلات ولم أتذكر حتى قصته أبدًا. اسم. ثم التقطت كتاب رودولف جراي "كابوس النشوة: حياة وفن إدوارد وود جونيور". وشاهدت صورًا كما كنت أتذكره تمامًا، بالإضافة إلى مقابلة طويلة مع بيرني بلوم، سائق سيارة الأجرة السابق في نيويورك والمرتبط بالمافيا والذي أدار عملية Pendulum Publishers الإباحية بأكملها. لقد اندهشت عندما رأيت الوقت الذي عملنا فيه معًا في دار النشر للبالغين هذه موثقًا جيدًا.

لقد وجدت الوظيفة من خلال جلين، صديقي المصور الإباحي من سان ميغيل الذي كتب العشرات من
الروايات الإباحية لبيرني على مر السنين. كان يعلم أن بندول كان يبحث عن كاتب جديد ومحرر مجلة، لذا عرض
تقديمنا. أعقب ذلك مقابلة سُئلت فيها عما إذا كنت سأفعل ذلك

المجلات المكتوبة والمحررة من قبل. أجبت بـ "نعم" وتم تعييني على الفور دون الحاجة إلى إظهار دليل على موهبتي
الأدبية أو التحريرية.

كان إد وود واحدًا من أربعة كتاب وظفهم بيرني في ذلك الوقت لكتابة نسخة لمجموعة من المجلات
للبالغين التي تصدرها بندول كل شهر.
كان أكبر منا بعشرين عامًا على الأقل؛ فجوة كبيرة عندما يكون المرء في العشرينات من عمره. نحن الشباب الأتراك،
كما نطلق على أنفسنا، رأينا البندول على أنه مجرد نقطة انطلاق نحو الشهرة والثروة ككتاب حقيقيين، ولكن بدا أن
إد كان هناك طوال المدة. أجد أنه من الغريب الآن أن أدرك أنه كان في منتصف الأربعينيات من عمره فقط في
ذلك الوقت، على الرغم من أن الكحول كان له أثره بالفعل. كان معروفًا بكونه سكيرًا لئيمًا، لكنني أتذكره باعتباره
لطيفًا ولطيفًا، ومستعدًا دائمًا للمساعدة عندما يتعثر أحد الكتاب الأصغر سنًا في قصة أو مقال.

كان هناك العديد من عناوين المجلات المختلفة المستخدمة في ذلك الوقت. المجلات الناعمة والمتشددة
تأتي تحت أسماء مختلفة. كان لدينا نحن الأربعة مجموعة من واجبات الكتابة، حيث قمنا بإنشاء "دراسات حالة"
زائفة مكتوبة لمرافقة تخطيطات الصور الأساسية بالإضافة إلى مقال واحد أو أكثر وقطعة خيالية لكل مجلة. نظرًا
لأنه لم يقم أحد في Pendulum بفحص الكتابة على الإطلاق (كان القراء يشترون المجلات فقط للصور)، فقد
استمتعنا بما كتبناه. أحببت الخيال العلمي في ذلك الوقت لذا كتبت كثيرًا

من قصص الخيال العلمي القصيرة المباشرة التي لا تحتوي على مشهد جنسي واحد؛ لا يتماشى تمامًا مع المجلات
ولكن لم يشتكي أحد على الإطلاق.
كنا نحن الكتاب على جانب واحد من مبنى في ويست بيكو، أسفل ممر تم عزله عن بقية العملية بواسطة
باب بقفل كهربائي. تم إنشاء البندول مثل المصنع. كان لدينا جميعًا بطاقات زمنية وكان مطلوبًا منا الدخول والخروج
كل يوم. استأجر بيرني بلوم كتابه للكتابة، وبما أنه كان يدفع ثمن ثماني ساعات، فهذا هو الوقت الذي توقع منا أن
نكتب فيه. نحن الشباب الأتراك نكون خارج زنازيننا (المكاتب الخالية من النوافذ التي يعيش فيها الكتّاب) في
الممر، نلعب

دبابيس الدفع (نسختنا من السهام) عندما نسمع "نقرة" على القفل الكهربائي ونعود فورًا إلى الآلات الكاتبة
الكهربائية ونبدأ في الضرب بعيدًا. غالبًا ما كان بيرني هو من يرشد بعض الزائرين عبر الشرح الشامل "هؤلاء هم
كتابي". ستساعدنا السماء إذا لم يسمع الآلات الكاتبة الأربعة تتناثر في انسجام تام في مثل هذه المناسبات.

قيل لي إن مداهمات الشرطة كانت تحدث بشكل منتظم ولكني أتذكر واحدة فقط خلال فترة وجودي في
البندول. عند الدخول إلى المدخل الرئيسي من شارع بيكو، كان هناك دهليز صغير به فتحة نافذة يمكن للزائر من
خلالها التحدث إلى موظف الاستقبال. تم إغلاق باب بقفل كهربائي عن بقية المبنى ولا يمكن فتحه إلا عندما يقوم
موظف الاستقبال بتعطيل المفتاح. في مداهمة الشرطة التي شهدتها، رفضوا انتظار موظف الاستقبال ليفتح
الباب، وبدلاً من ذلك اقتحموا الباب وأخافوا الجميع في المكتب الأمامي. أبقينا جميعًا رؤوسنا في الخلف وحاولنا
تجاهل الصراخ والضرب.

كان إد يرتدي أحيانًا التنانير القصيرة في جميع أنحاء المكتب وغالبًا ما كان يرتدي سترات الأنجورا التي
تحمل علامته التجارية. لقد كان أول متخنث أقابله في حياتي ولكن للأسف لم نأخذه على محمل الجد أبدًا. لقد
أحببناه ولكننا رأيناه في الغالب سكيرًا عجوزًا. عندما تحدث عن الأفلام التي صنعها، وعن العمل مع بيلا لوغوسي،
تظاهرنا بأننا نصدقه ولكننا في الحقيقة لم نفعل ذلك. الشباب يمكن أن يكون قاسيا جدا.

نادرًا ما كان إد ينضم إلينا في الممر للمشاركة في بطولات الدبوس؛ كان يكتب فقط في مكتبه الصغير
الذي لا نوافذ له. أظن أنه لم يوافق على عدم الجدية التي تعاملنا بها مع وظائفنا. من المؤكد أنه لم يوافق على موقفنا
تجاه الكتب التي توقع بيرني منا أن نكتبها خارج ساعات العمل. بالإضافة إلى المبلغ الضخم البالغ 200 دولار في
الأسبوع الذي كنت أتقاضاه ككاتب في فريق Pendulum، فقد تم تشجيعنا جميعًا على تأليف كتاب شهريًا في
أوقات فراغنا حيث حصلنا على مبلغ إضافي قدره 800 إلى 1000 دولار. في حين أن الكتب يمكن أن تكون خيالية،
فإن ما أراده بيرني حقًا هو كتب كينزي العلمية الزائفة التي يمكن توضيحها بصور متشددة.

استخدم الجميع أسماء مستعارة في الكتب والمجلات، وحتى اليوم لا يزال الكثيرون يعتقدون أن الدكتور
تي كيه بيترز كان واحدًا من إد وود. لكن هذا الطبيب موجود بالفعل. وكان البندول قد اشترى خطيرة ومملة و

دراسة علمية طويلة بشكل مؤلم عن الحياة الجنسية للدكتور تي كيه بيترز؛ مخطوطة غير منشورة عمل عليها الطبيب لسنوات دون العثور على مشتري (كان باحثًا في أسلوب كينزي ستايل). أكره أن أفكر في المبلغ الضئيل الذي دفعه بيرني للدكتور بيترز مقابل عمله طوال حياته، لكنه كان حينها كبيرًا في السن (كانت الكلمة السائدة في المكتب شبه خرف) وتركه دون أن يدرك ما الفائدة منه. أعطت هذه المخطوطة الكتب والمجلات شكلاً من أشكال "شبه الشرعية" وشجعنا بيرني على الاستفادة الكاملة من مخطوطة بيترز كلما وحيثما أمكن ذلك. أضافت إضافة اسمه ككاتب مشارك شرعية زائفة.

بينما كنا نحب المال الإضافي من كتابة الكتب، لم يعجب أحد منا (باستثناء إد) بفكرة قضاء الوقت في كتابتها، خاصة وأن الناس اشتروها فقط من أجل الصور. قبل انضمامي إلى البندول، كان الكتّاب الأصغر سنًا قد طوّروا أسلوبًا مختصرًا فريدًا من نوعه، حيث قاموا بسحب مقالات المجلات التي تم كتابتها قبل عام أو أكثر من الملفات، وقاموا بتجميع سبعة أو ثمانية معًا، وإعادة كتابة الفقرات الأولى لتناسب عنوانًا عامًا جديدًا وإرسالها هذه المخطوطة "الجديدة" مباشرة وصولاً إلى التنضيد. كان الرقم القياسي لـ "كتابة" مثل هذا الكتاب "الجديد" غير الخيالي أقل من ساعة، لذا كان ثمانمائة دولار عائدًا جيدًا جدًا. رفض إد بشدة وكتب دائمًا العمل الأصلي، على الرغم من أنه استبعد بشدة أيضًا المعارف التقليدية

مادة بيترز.

بعد بضعة أشهر من مغادرتي البندول، تم اكتشاف عملية الاحتيال و

تم طرد بقية الشباب الأتراك.

لقد وجدني إد روحًا طيبة أكثر من الكتّاب الآخرين لأنني كنت أعمل في صناعة السينما البريطانية قبل مجيئي إلى أمريكا وكان يطلب مني أحيانًا الذهاب للتسوق معه. ذات مرة كان بحاجة إلى حمالة صدر جديدة، وفوجئت بأن فتاة المبيعات لم تكن مهتمة تمامًا عندما جرب مجموعة متنوعة من الأنماط والألوان المختلفة. من الواضح أن بائعات لوس أنجلوس في عام 1970كن أكثر اعتيادًا على المتخنثين مني.

كنا نتواصل اجتماعيًا خارج المكتب، وغالبًا ما نذهب نحن الأربعة لتناول الغداء (كان هناك القليل من الغوص في أعلى الطريق في بيكو حيث كان هناك أفضل النقانق الإسبانية التي تذوقتها على الإطلاق) ونجتمع أحيانًا لتناول مشروب في المساء ، ولكن لم تتم دعوة أي من الكتاب الآخرين من قبل إلى منزل إد. قبل أن أغادر لوس أنجلوس للعودة إلى المكسيك (تم إعادة تخزين العمل في Pendulum

مالي المستنفدة)، دعاني إد إلى المنزل لتناول العشاء. لا أتذكر سوى القليل عن تلك الأمسية باستثناء مفاجأتي بأن زوجته كاثي كانت لطيفة وطبيعية للغاية.

لسنوات عديدة بعد أن تركت البندول، كان ذلك الرجل العجوز الذي كان يرتدي التنانير القصيرة والسترات الصوفية الأنجورا ويصنع أفلامًا مع بيلا لوغوسي والذي لا أستطيع تذكر اسمه مجرد واحدة من قصصي في حفل الكوكتيل. بعد صدور فيلم تيم بيرتون، عرف الجميع اسمه، وأجد نفسي نادماً على كل تلك الفرص الضائعة. أتمنى لو كنت أكثر لطفًا، أتمنى لو أمضيت وقتًا أطول معه، أتمنى لو طرحت الأسئلة التي، بعد فوات الأوان، نود جميعًا أن نطرحها على إد وود جونيور. أتذكر مقولة من هوليوود منتج في مقدمة كتاب رودولف جراي كابوس النشوة. "الشيء المضحك حقًا هو أن هذا الشخص المدمن على الكحول، هذا المتشرد العجوز الذي أحببته حقًا، وطوال الوقت لم أكن أعلم أبدًا أنه كان شيئًا مميزًا." لا يزال يتم الاتصال بي عدة مرات في السنة من قبل المتحمسين الذين يتعقبونني عبر الإنترنت ويريدون معرفة كل شيء عن Ed Wood Jr.

كوين ريدوكس جميع الكتاب الذين التقيت بهم في ذلك العام في
لوس أنجلوس زعموا أنهم على وشك تحقيق نجاحات هائلة في هوليوود. لم أكن استثناءً، على أمل أن
تفتح نصوصي، أو كتبي، أو مجرد لهجتي الإنجليزية، الأبواب وتسمح لي بأن أصبح المخرج الناجح الذي حلمت به.

أصبحت منذ أن التقطت كاميرا مقاس 8مم لأول مرة. بدا هذا ممكنًا أكثر بعد عودة كوين -الممثلة الجميلة التي عشت معها في لندن -إلى حياتي. لم أرها منذ مغادرتي إلى المكسيك قبل أكثر من عام. لقد عادت الآن إلى هوليوود وأعدنا الاتصال بها بحذر. وبما أنني كنت أجني أموالاً جيدة من المواد الإباحية، فقد طلبت مني المساعدة في دفع تكاليف حفل لإعادة تقديمها إلى مشهد أفلام هوليوود، ووافقت. كان ذلك أول حفل لي في هوليوود، في شقة بنتهاوس على زاوية شارعي لا سينيجا وسانسيت بوليفارد، وكانت مليئة بممثلين من الدرجة الثانية وجراحي تجميل مشهورين ومحامين مشهورين -وقد واصل أحدهم الدفاع عن أو جيه سيمبسون في وقت لاحق. محاكمة قتله.

وكان من بين ضيوف الحفلة العديد من أصدقاء كوين السابقين، بما في ذلك مصفف شعر يوناني أرادت نقله جواً إلى لندن عندما كانت ضيفة بطولة في فيلم The Saint، والمغني الكوميدي آلان شيرمان (أفضل

المعروف بأغنيته الحائزة على جائزة جرامي "Hullo Muddah، Hullo Faddah، أنا هنا في Camp Granada"). مع تقدم الحفلة، كنا مجموعة من الرجال سكارى بشكل صاخب في الزاوية، بما في ذلك آلان شيرمان، الذي يعاني من زيادة الوزن وفي منتصف الأربعينيات من عمره، والذي ادعى أنه أيضًا وضع كوين في الفراش. لم أصدقه ودخلنا في قتال حول هذا الموضوع. على الرغم من أن علاقتنا قد انتهت، إلا أنني كنت لا أزال أشعر بغيرة شديدة فيما يتعلق بكوين.

لكنني لم اقتحم هوليوود قط، على الرغم من أنني لم أحاول جاهداً.
أقرب ما وصلت إليه كان بعد أن طُلب مني أن أقتبس (حسب المواصفات) كتاب الروائي الكندي فارلي موات "القارب الذي لا يطفو" في مسلسل تلفزيوني من قبل مديرة تنفيذية في الاستوديو في منتصف العمر، والتي اتضح أنها لا تملك القدرة على ذلك. حقوق كتاب موات ورأينا أن تعاوننا في المقام الأول هو وسيلة للحصول على لعبة فتى إنجليزية.

زلزال: طوال معظم وقتي في لوس أنجلوس، كنت أعيش في شقة
استوديو في الطابق الثاني في شارع لا سينيجا، على بعد مبنى واحد فقط من ويست بيكو وعلى بعد خمس دقائق سيرًا على الأقدام من مكاتب دار نشر بندولوم. الساعة 6 صباحًا

في 9 فبراير 1971، كنت لا أزال نائمًا عندما بدأ المبنى يهتز، مما دفعني إلى النهوض من السرير. ظهرت شقوق كبيرة في الجدران والسقف بينما كنت أزحف عبر الأرضية المائلة إلى النافذة وأنظر إلى المدينة. كانت شجرة النخيل أمام الشقة تتلوى إلى الخلف وإلى الأمام، وكانت سماء الليل مليئة بومضات من الضوء الساطع. علمت لاحقًا أن هذه كانت خطوطًا كهربائية عالية التوتر تنقطع، لكنها بدت وكأنها انفجارات. وبما أنني لم أكن من لوس أنجلوس، لم أفكر في الزلازل وكان ذلك في ذروة الحرب الباردة. كان تفكيري الأولي الذي كان مضطربًا أثناء النوم هو أن الحرب العالمية الثالثة قد بدأت وأننا نتعرض للهجوم.

واستمر الزلزال أقل من دقيقة ولكن يبدو أنه استمر لفترة أطول من ذلك بكثير.
وبمجرد توقف الاهتزاز، ساد الصمت المطلق لعدة ثوان قبل أن تبدأ كل الكلاب في الحي بالنباح. وبعد ثوانٍ قليلة، دوت صفارات الإنذار في كل أنحاء المدينة. ارتديت ثوبي وأسرعت للانضمام إلى الحشد المتزايد في الشارع.

سيُطلق عليه اسم زلزال سان فرناندو، بقوة 6.6 درجة على مقياس ريختر، وهو أقوى زلزال شهدته لوس أنجلوس.

من أي وقت مضى من ذوي الخبرة. وانهارت تقاطعات الطرق السريعة والعديد من المباني، بما في ذلك مستشفى المحاربين القدامى في سان فرناندو. وبلغ العدد النهائي للقتلى خمسة وستين بينما أصيب الآلاف.

أخبرتني صديقتي الرسامة لي، التي التقيت بها في سان ميغيل وتعيش الآن في لاجونا بيتش، أن كلبها أيقظها قبل وقوع الزلزال وخرجت إلى فناء منزلها الأمامي في الوقت المناسب لترى ما يشبه العشب الرائع تتدحرج الأمواج عبر حديقتها قبل أن تُلقى على الأرض.

في اليوم التالي، ومع قلة الفكاهة، روت محطة إذاعية محلية قصة رجل مخمور مترنح في منزله في الساعة السادسة صباحًا، ولم يستطع أن يفهم سبب قدرته على المشي بشكل مستقيم في منتصف الطريق.

خلال الشهر التالي، كانت هناك أربع هزات ارتدادية كبرى ومئات من الهزات الارتدادية الصغيرة. دفعت أدنى هزة أنجيلينوس إلى الاحتماء بهياكل الأبواب أو الاندفاع إلى الشوارع. تدريجيا عادت المدينة إلى طبيعتها. قام مالك المنزل بإصلاح الشقوق الموجودة في جدراني وسقف منزلي، وبقيت في Pendulum لعدة أشهر أخرى، حيث قمت بتجميع المقالات والقصص المصورة لأكثر من اثنتي عشرة مجلة صلبة ولطيفة وأصدرت الكتب الشهرية حتى جمعت ما يكفي من المال لشرائها. العودة إلى سان ميغيل. ثم حزمت كل ما أملك في سيارة رامبلر كلاسيك بيضاء اللون موديل عام 1961 اشتريتها بمبلغ 100 دولار واتجهت جنوبًا بعيدًا عن الضباب الدخاني باتجاه الحدود المكسيكية. كانت الأغنية الريفية والغربية "Happiness is Lubbock, Texas" تُبث في مرآة الرؤية الخلفية على الراديو، وكنت أعرف تمامًا ما يعنيه المغني. شعرت بنفس الشيء تجاه لوس أنجلوس.

الجزء الخامس

المكسيك ريدوكس 1971

عدت إلى سان ميغيل في بداية صيف عام 1971؛ متشوقة لإكمال كتاب الأطفال "مدينة الغابة الهامسة" الذي بدأته قبل أكثر من عام، ومع عمولة من بندول لروايتين إباحيتين أخريين، توقعت أن يبقيني في التمويل لأكثر من عام. انزلقت بسهولة إلى بشرتي المكسيكية المريحة، عدت إلى حياة كاتب بوهيمي بين فنانين وكتاب آخرين مكافحين معروفين بما فعلوه أكثر من أسمائهم الحقيقية. كان Dirty Dick مصورًا إباحيًا، وكتب Sci-Fi Dave الخيال والخيال العلمي، وكان "Dean the Goat" فنانًا ونحاتًا حظيت سمعته باعتباره لوثاريو بإعجاب كبير، في حين أن "Dan the Paint" (طريقة ويلزية جدًا لوصف شخص ما) كان صديقي المنعزل دان برينون، الذي حقق الآن نجاحًا متواضعًا بلوحاته البدائية المذهلة بأسلوب غوغان وروسو. بدا كل شيء جيدًا بالنسبة لي حتى أجعل سان ميغيل منزلي لسنوات قادمة. كان لدي المال، وشقة مريحة في الطابق الأرضي في بيلا سيكا، وخادمة محلية لتنظيف وتسوق وطهي وجبات منتصف النهار، ووكيل أدبي وافق على تولي عملي.

أرسل الخيال العلمي ديف الفصول الأولى من رواية أطفالي الخيالية "مدينة الغابة الهامسة" إلى روبرت بي ميلز، وهو عميل من نيويورك يمثل عظماء الخيال العلمي مثل إسحاق أسيموف، وفريدريك بوهل، وبول أندرسون، وبن بوفا، بالإضافة إلى التيار الرئيسي. مؤلفون مثل لانجستون هيوز وجيمس بالدوين. والمثير للدهشة أنه أحب ما قرأه ووافق على تسليم الكتاب عند الانتهاء منه.

DRUG MULE نظرًا لأنني كنت ممتنًا للغاية لمساعدة Sci-Fi Dave في العثور على وكيل لي، لم أستطع رفض نداءه العاجل للحصول على المساعدة عندما يتعلق الأمر. لم يكن هناك أبدًا نقص في المخدرات في سان ميغيل، ولكن في تلك الأيام كانت في المقام الأول الماريجوانا والكوكايين وعقار إل إس دي. لكن ديف قد تورط مع مجموعة من المكسيكيين الذين استخدموا وباعوا مخدرات أقوى. وتم القبض على أحدهم في غواناخواتو. عندما ذهب ديف لزيارته في السجن الفيدرالي، تم القبض عليه أيضًا. وقد أشار إليه صديقه بأصابع الاتهام لتحسين فرصه.

كانت الرشوة الضخمة كافية عادةً لإسقاط تهم المخدرات أمام السلطات المحلية أو الإقليمية (الموردة مرة أخرى) لكن الفيدرالية كانت مسألة مختلفة. وعلى الرغم من فسادهم تمامًا مثل الآخرين، إلا أنهم كانوا يتمتعون أيضًا بسلطة الاستيلاء على ممتلكات وممتلكات الأشخاص الذين اعتقلوهم وبيعها، وعادةً ما يكون ذلك أكثر ربحية من أي رشوة. منذ أن تم القبض على ديف في مدينة مختلفة، لم يكن الفيدراليون قد تمكنوا بعد من مداهمة منزله في سان ميغيل. لقد أخبرنا أن هناك أشياء لا يمكن العثور عليها وإلا فإنه سيكون في ورطة أسوأ.

نزلت مجموعة منا إلى منزله في شارع القنال لنجد الحقن المستعملة على الأرض، والهيروين في المطبخ، والكوكايين في الحمام.
لو داهم الفيدراليون المنزل وعثروا على هذه المخدرات، ربما لم يخرج ديف من السجن أبدًا؛ كان القبض على غرينغو بمثابة علاقات عامة جيدة للسلطات المكسيكية.

لقد تخلصنا من معظم الأدلة دون مشاكل، حيث قمنا بإلقاء المخدرات في المرحاض وتحطيم المحاقن الزجاجية ودفنها في الفناء الخلفي. وشكلت الماريجوانا مشكلة أكبر حيث تم تعبئة أكثر من عشرة كيلوغرامات في أكياس بلاستيكية في أدراج وخزائن المطبخ. كان هناك أيضًا نقص مؤقت في الماريجوانا في سان ميغيل في ذلك الوقت، لذلك لم نكن على استعداد لإهداره.

وبعد بعض المناقشة، قررنا أن نأخذها معنا إلى المنزل، حيث وضعنا أكياسًا بلاستيكية في سراويلنا وتحت قمصاننا قبل أن نسير بعصبية عائدين إلى شارع كانال، مرورًا بمركز الشرطة في الحديقة ثم إلى منازلنا. كان هذا هو نفس مركز الشرطة الذي تم القبض علي فيه قبل ثمانية عشر شهرًا بتهمة العري والسكر في الأماكن العامة. عندما أفكر الآن، كنا مجانين لدرجة أننا لم نسلك طريقًا ملتويًا وتجنبنا الحديقة تمامًا، لكننا كنا صغارًا وأغبياء وتعرضنا للرجم بالحجارة في ذلك الوقت.

لحسن الحظ لم يوقفنا أحد!
كان الخيال العلمي ديف أقل حظًا. أدين بناءً على أدلة قدمها صديقه السابق، وقضى أكثر من عام في سجن فيدرالي مكسيكي قبل ترحيله إلى الولايات المتحدة. سمعنا لاحقًا أنه استفاد من وقته بالداخل بتأليف كتاب آخر.

جيري

بعد وقت قصير من عودتي إلى سان ميغيل، بدأت علاقة عاطفية مع لين، وهي فتاة هيبي رائعة تعيش مع ابنها الصغير ومجموعة من الأصدقاء في مجمع على أطراف المدينة. ترددت شائعات بأنها قامت ذات مرة بتزويد الشاعر ألين جينسبيرج وأصدقائه بالمخدرات.

سواء كان ذلك صحيحًا أم لا، فقد أعطت لين أجواء "أم الأرض" الغريبة لجيل الإيقاع. لقد انبهرت وبدأنا في مناقشة علاقة أكثر جدية. ثم التقيت بجيري، المرأة التي أصبحت فيما بعد زوجتي، وأصبحت النساء الأخريات غير ذي صلة. واصلنا معًا إنفاق كل الأموال التي كسبتها في لوس أنجلوس خلال إجازتها الصيفية التي استمرت ثلاثة أشهر من الجامعة في تكساس.

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، اجتذبت سان ميغيل المتقاعدين الأمريكيين، الذين انجذبوا مثل الفنانين والكتاب في المدينة بسبب الطقس الجميل والمعيشة الرخيصة ومعهد الفنون الجميلة ومعهد الليندي، وهما مدرستان للفنون والكتابة تم تغطية رسومهما بموجب قانون الجنود الأميركيين. فاتورة. كان والد جيري متقاعدًا من الجيش الأمريكي ومهندسًا معماريًا، ويتعلم الآن حرفة صنع المجوهرات بينما كانت والدة جيري حائكة. بدأوا معًا مشروعًا للنسيج في سان ميغيل وعاشوا في منزل صغير أنيق في الجزء الخلفي من فندق كوينتا لوريتو، الفندق المتواضع الذي أقمت فيه لفترة من الوقت عندما وصلت إلى المدينة لأول مرة قبل عامين.

كانت جيري ملفتة للنظر وليست جميلة تقليديًا، بشعر داكن مجعد ينسدل على كتفيها وعينيها يمكن أن يضيء الغرفة. لقد كنت مغرمًا منذ البداية. أقام والداها حفلة في منزلهما لمقابلة الشباب اللطيفين في سان ميغيل، وبينما لم تتم دعوتي، سرعان ما انتشر الخبر بين الفنانين والكتاب الفقراء في المدينة بأن هناك طعامًا وشرابًا مجانيًا في المكان. كوينتا لوريتو. لقد حطمنا الحفلة وكنت في حالة سكر شديد.

أخبرتني جيري لاحقًا أنها اعتقدت أنني لطيفة بينما جلست بجانبها على الأريكة، أروي قصصًا عن إنجلترا. اتضح أنها كانت تحلم دائمًا بالزواج من رجل إنجليزي، لذلك كان لدي ميزة، على الرغم من أنه لم يكن لدى أي منا أي فكرة عن الزواج في ذلك الصيف. أردنا فقط الحصول على المتعة.

في اليوم التالي للحفلة، غادر والدا جيري الولايات المتحدة لمدة ستة أسابيع، تاركين لها منزلًا وخادمة ومجموعة من الخاطبين الذين ينجذبون إليها كما ينجذب النحل إلى العسل. كان "دين الماعز" منافسي الرئيسي، ولكن كان هناك أيضًا شاب صغير

مصرفية مكسيكية قامت بمواعدة جيري بموافقة والديها في زيارة سابقة. ذات مرة، ذهبت بالسيارة إلى المنزل
بينما كان يغادر؛ كان هناك ممر ضيق بين شجرتين حيث لا يمكن لأي منا أن يفسح المجال.

استمرت المواجهة المكسيكية لعدة دقائق حتى خرج جيري وطلب منا أن نكبر. انتقمت منه بجعله
شخصية في رواية Beauty for Brutes، الرواية الإباحية التي كنت أكتبها في ذلك الوقت.

كانت مشكلة Dean the Goat أكثر خطورة وتوترت صداقتنا حتى أطلقت ضربة استباقية ودعوت جيري
للانضمام إلي لمدة أسبوع في فيلا على شاطئ بكر جميل على ساحل خاليسكو على المحيط الهادئ، الأمر الذي
كلفني أكثر من شهر من الحياة العادية. يعيش ميغيل. عملت الشواطئ الاستوائية والكثير من مشروب التكيلا على
سحرها، وبحلول الوقت الذي عدنا فيه إلى سان ميغيل، كنا قد أصبحنا عنصرًا مميزًا.

كنت أنفق الكثير من المال مع تقدم الصيف لدرجة أن جيري أصر على الوفاء بالتزاماتي الكتابية وإنهاء
رواية Beauty for Brutes.
قمنا معًا بتطوير روتين كتابة فريد. قام جيري بتجنيد طالب جامعي آخر بجامعة تكساس في سان ميغيل لفصل
الصيف لتلقي الإملاء. كانت طويلة وجميلة، وكانت تصل مبكرًا كل صباح عندما كنت لا أزال نائمًا. كانت توقظني
بفنجان من القهوة، وأستلقي على السرير، نصف نائم، وأملي حصتي اليومية من الصفحات، وغالبًا ما أعود إلى
النوم في منتصف الجملة.

إن كتابة رواية إباحية هي مسعى غير جنسي بشكل غريب ويتطلب القليل من المهارات الأدبية. يمكن
توسيع علامة تعجب واحدة مطولة أثناء النشوة الجنسية لملء سطر كامل على الصفحة المطبوعة. بعد ذلك، كانت
كاتبتي تغادر لكتابة إملاءاتها، وتعود لاحقًا بصفحات لكي أصححها. من منا لا يريد أن يكون كاتبا؟

تم الانتهاء من مخطوطة Beauty for Brutes وإرسالها إلى Pendulum بحلول الوقت الذي عاد فيه
والدا جيري من تكساس، غاضبين من اكتشافي في الحمام مع ابنتهما الوحيدة الثمينة. لم يكن هناك شيء يحدث.
كنت أرتدي ملابسي بالكامل وقامت جيري بسحب ستارة الحمام أثناء حديثنا، دون أن تدرك أن والديها قد عادا،
لكنهما افترضا الأسوأ. لفترة طويلة، اعتقدوا أنني كنت خطأً ستقوم ابنتهم بتصحيحه في النهاية، خاصة بعد أن
أخبرتهم أنني كتبت موادًا إباحية. جيري

اعتقدت أنه مضحك. كانت والدتها بالفزع. طوال حياتها، كانت والدة جيري معتادة على تأليف قصص خيالية عن الأشخاص الذين قابلتهم.

وبعد سنوات أخبرتني أنها مقتنعة بأنني خرجت من السجن مؤخرًا. من الواضح أنني كنت متعلمًا جيدًا منذ أن قضيت أنا وجيري ساعات في قراءة الشعر معًا، لكن بما أنني كنت شخصًا غير أخلاقي، فلا بد أنني علمت نفسي بنفسي في مكتبة السجن.

الجزء السادس

تكساس 1974 - 1971

عادت جيري إلى جامعة تكساس في أوستن في نهاية الصيف وقررت الانضمام إليها نظرًا لنفاد أموالي مرة أخرى ولم يكن هناك سوى القليل من العمل للغرينغوس في سان ميغيل. أثناء سفري إلى أوستن قادماً من مكسيكو سيتي، كنت أكثر توتراً مما كنت عليه عندما غادرت سفينة الشحن النرويجية في فيرا كروز قبل عامين تقريباً. إذا اتضح أنني وجيري كنا مجرد نزهة صيفية، لم أكن أعرف ما سأفعله بعد ذلك.

ربما يمكنني الانضمام مرة أخرى إلى أصدقائي في الحظيرة القديمة خارج تورونتو حيث كان Tiktoiacلا يزال قيد البناء.

لقد أذهلت جيري عندما وصلت إلى عتبة بابها وانتقلت للعيش فيها، لكن لا بد أنني تأثرت بها لأننا كنا معًا منذ ذلك الحين. كان والداها غاضبين ولم يرغبا في زيارتنا لأكثر من عام حتى جاءت والدتي من لندن في أحد أعياد الميلاد وأقنعتهما بأنني لم أقضي وقتًا في السجن حقًا -حسنًا، ليس الكثير من الوقت -وأنني أتيت من مدينة محترمة. عائلة.

كانت جيري آنذاك في عامها السادس بعد حصولها على درجة البكالوريوس في اللغة الإنجليزية؛ بالكاد انشغال بدوام كامل. على الرغم من أنني لم أذهب إلى الجامعة من قبل، إلا أنني أقنعت جامعة تكساس بأنني حصلت على شهادة من جامعة أكسفورد وتم تعييني لتدريس إنتاج الأفلام وكتابة السيناريو في قسم الراديو والتلفزيون والسينما. مما لا شك فيه أن رئيس قسمي، رود ويتاكر، كان يشك في أنني لا أملك أي شهادة جامعية، لكنه لم يكن مهتمًا طالما أنني أستطيع تدريس السينما. كان ويتاكر غريب الأطوار في حد ذاته، وكان باحثًا واسع المعرفة ثم كتب The Eiger Sanction، وهو الأول في سلسلة ناجحة للغاية من أفلام الإثارة الفكرية التي أسست لاسمه المستعار تريفانيان كاسم مألوف. هوية سرية لن يكشف عنها لمدة عقدين آخرين.

مسيرتي في الكتابة لم تكن تسير على ما يرام. قبل مغادرة المكسيك، أرسلت المخطوطة الكاملة لكتاب "مدينة الغابة الهامسة" إلى وكيل نيويورك روبرت ميلز الذي كان متفائلًا في البداية بعد أن أبدى ثلاثة ناشرين مختلفين اهتمامهم؛ حتى أن أحدهم قدم عرضًا مكتوبًا. لكن في عام 1972، مرت صناعة النشر الأمريكية بإحدى فترات الركود الدورية، وانتهى الأمر بالجميع إلى تقليص قوائمهم. تم سحب العرض لكن ميلز أخبرني ألا أشعر بالإحباط وأن أواصل الكتابة. "حسنًا

قال: "حظًا أفضل في كتابك القادم". لكن صناعة الأفلام كانت تلقي بسحرها مرة أخرى.

لقد كان وقتًا رائعًا أن أكون في جامعة تكساس. كانت أوستن قد بدأت للتو في أن تصبح المدينة الديناميكية التي هي عليها اليوم. كان المشهد الموسيقي ينمو. توفيت جانيس جوبلين في العام السابق فقط وكان ويلي نيلسون قد انتقل للتو إلى المدينة. كان أربعون ألف طالب من طلاب جامعة تكساس هم القوة الدافعة وراء هذا الانفجار الثقافي. كان المقر العالمي لـ Threadgill وArmadillo في مركز اندماج موسيقي لموسيقى الروك المخدرة في الساحل الغربي وأغاني رعاة البقر وموسيقى الهونكي تونك التي أصبحت تُعرف فيما بعد باسم الدولة التقدمية. كان مركز الصور المتحركة بجامعة تكساس بقيادة رود ويتاكر واحدًا من أكثر مدارس السينما احترامًا في البلاد. ذهب نصف طلاب الدراسات العليا إلى هوليوود وانتهى الأمر بالعديد منهم كمخرجين ومصورين ناجحين.

كنت أقوم بتدريس مجموعة كاملة من الدورات الجامعية والدراسات العليا في كتابة السيناريو وصناعة الأفلام. لم أكن أكبر سنًا بكثير من معظم طلاب الدراسات العليا، ولكن بما أننا نشترك في شغف صناعة الأفلام ووجدوا لهجتي الإنجليزية وخبرتي في صناعة الأفلام في المملكة المتحدة مثيرة للإعجاب، فقد افترضوا أنني يجب أن أعرف ما كنت أفعله. بالإضافة إلى تدريسي، قدم لي مركز الصور المتحركة التمويل وشجعني على إخراج فيلم درامي قصير كل عام. تم اختيار أطقم العمل من دروس صناعة الأفلام وتم اختيار النصوص في المنافسة من فصل الكتابة للخريجين.

كانت الميزانية كافية لاستيراد ممثل عرضي من هوليوود وتم اختيار بقية الممثلين من قسم الدراما في UTأو المجموعات المسرحية المحلية في تكساس.

شواهد القبور والمناشير

مع كارثة رحيلي عن الجسم الغريب منذ سنوات مضت، عادت طموحاتي في صناعة الأفلام بكامل قوتها. كنت آمل أن تكون هذه الأفلام القصيرة -التي تم تصويرها خلال العطلة الصيفية -بمثابة تذكرتي للعودة إلى الصناعة. الأول كان بعنوان تشارلي كيو، إشارة النداء لوحدة الجيش التي فقدت خلف خطوط العدو بعد حرب نووية. أمضى جنودي الفيلم وهم يركضون عبر المناظر الطبيعية في تلال تكساس ويقفون في الأراضي الأوروبية القاحلة المشعة. كاد نجمي ذو الوزن الزائد (أحد مشغلي الأقراص المحليين المشهورين) أن يصاب بنوبة قلبية ولم يكن الفيلم الأخير ناجحًا كما كنت آمل.

لقد كان حظي أفضل في العام التالي عندما أخرجت أول فيلم غربي لي -وبالتأكيد كان ذلك ضمن قائمة كل مخرج بريطاني أو أوروبي نشأ على نظام غذائي من أفلام الغرب الأمريكي الكلاسيكية في هوليوود. يروي فيلم "موت في تومبستون" قصة شاب ساذج من المزرعة أُجبر على الدخول في علاقة ثنائية مع دوك هوليداي سيئ السمعة بعد اتهامه بالغش في البطاقات.



قمنا بالتصوير لمدة أسبوع في قرية ألامو في براكيتفيل، وهي مجموعة أفلام غربية وموقع جذب سياحي بناه في الأصل مزارع تكساس ورجل الأعمال هابي شاهان لصالح فيلم The Alamo للمخرج جون واين في أواخر الخمسينيات.

بعد نفاد أموال جون واين خلال مرحلة ما قبل الإنتاج، وافق هابي على مواصلة البناء طالما وافق واين على بناء ألامو ومدينة "أولد سان أنطونيو" بالكامل بأربعة جدران وأرضيات وأسقف بدلاً من البناء النموذجي للفيلم. واجهات. قال واين "نعم" وأصبحت قرية ألامو أول موقع دائم لتصوير الأفلام يتم بناؤه في تكساس. تم تصوير العشرات من المشاريع السينمائية والتلفزيونية الكبرى هناك منذ ذلك الحين، بما في ذلك المسلسل القصير الشهير Dove Lonesome للمخرج Larry McMurtry بطولة روبرت دوفال وتومي لي جونز. سمح لنا هابي بالتصوير في قرية ألامو مجانًا طالما أنه يمكنه تشجيع السياح على "القدوم لمشاهدة الفيلم الذي يتم تصويره". كنت في الجنة، أنظم معارك بالأسلحة النارية مع وايت إيرب ودوك هوليداي، وأصور مطاردات الخيول، وفتيات الإستعراض الراقصات وآلات اللعب. على الرغم من أن فيلم "موت في تومبستون" لم يفتح أبدًا بابًا أمام هوليوود، إلا أنه كان أكثر من أي وقت مضى

لقد استمتعت بوقتي في أحد الأفلام منذ أيام الدمى لجيري أندرسون .Supermarionation

كان معظم طلاب الدراسات العليا لدي أصدقاء مع المخرج السينمائي في أوستن توبي هوبر (وهو نفسه خريج جامعة تكساس) وعمل في وقت سابق من ذلك الصيف على فيلمه ،Texas Chainsaw Massacre والذي يعتبر الآن أحد أفضل أفلام الرعب في تاريخ السينما. لقد استعرت سيارة فولكس فاجن الشهيرة التي ظهرت في هذا الفيلم من أجل التصوير. أثناء عودتي من براكيتفيل إلى أوستن في وقت متأخر من الليل بعد تغليف الإنتاج، اصطدمت السيارة التي كانت في المقدمة بقرة، وألقتها في الهواء حتى هبطت على الطريق أمامي مباشرة. ولم أتمكن من التوقف، حرثتها فوقها، فغطيت الجزء الأمامي والسفلي من الشاحنة بالدماء وبقايا البقر، وهي صورة مباشرة من مذبحة منشار تكساس.

عدنا إلى أوستن حيث نظر ميكانيكي في ورشة الإصلاح بشكل غير مؤكد إلى الدم قبل أن يستلقي بشجاعة على عربته وينزلق أسفل الشاحنة للتحقق من الضرر. تبع ذلك صوت مكتوم من الألم حيث انفصلت عدة ياردات من أمعاء البقر ومحتوياتها عن إطار الشاحنة لتستقر فوقه. أطلق النار من أسفل الشاحنة كما لو كان ليذرفيس نفسه يلاحقه وتقيأ على الأرض بينما كانت الرائحة الكريهة لبراز البقر تتخلل ورشة الإصلاح. لم تتعاف سيارة فولكس فاجن بشكل كامل أبدًا، لكنها كانت بمثابة خاتمة مناسبة لمثل هذه السيارة المميزة.

قِرَان



خلال سنتي الثانية في جامعة تكساس، كانت النسور تحوم تحت ستار مكتب شؤون الموظفين في جامعة تكساس الذي أصرّ على إثبات شهادتي الأسطورية في المملكة المتحدة. كان هذا قبل فترة طويلة من عصر الملفات الرقمية المشتركة، وقد أخفيتها عن ظهري في العام السابق من خلال تزوير رسالة من ابنة أسطورية لأستاذ جامعي في جامعة أكسفورد أسطوري بنفس القدر ومتوفى بشكل ملائم، والتي كتبت أنها تتذكرني كأحد أبناء والدها. طلاب. لكن الدليل مطلوب الآن، وكانت هناك تهديدات بالاتصال المباشر بكلية أكسفورد المفترضة. لقد حان الوقت للمضي قدمًا، لذلك قررت أنا وجيري العودة إلى لندن في نهاية العام الدراسي. لقد كنا معًا لمدة عامين ولكن كان علينا أن نتزوج حتى تتمكن من العمل في المملكة المتحدة.

والدتها، التي تصالحت معي أخيرًا، لم تكن سعيدة كما توقعت عندما أعلنا الخبر. ردها الأول: "أوه! لقد اعتدت للتو على الترتيب الآخر.

لقد رتبنا الزواج في شهر ديسمبر من عام 1973، بينما كنت على وشك الانتهاء من رواية الموت في شاهدة القبر. قالت والدتي الممثلة، القادمة من لندن، إنها لم تكن متأكدة تمامًا مما إذا كنا "سنقيم حفل زفاف أو حفل زفاف".

الموت في شاهدة القبر". أردنا أنا وجيري أن يكون حفل الزفاف مسرحيًا بشكل مناسب. وجدت فستان زفاف من القرن التاسع عشر في متجر للتحف أمضت والدتي أسابيع في توسيعه (كانت نساء القرن التاسع عشر أصغر بكثير من نساء القرن العشرين). تماشيًا مع الموضوع القديم، كنت أنا وأفضل رجلين (طلاب الدراسات العليا) نرتدي قبعة عالية وذيولًا، وهو أمر ليس من السهل العثور عليه في تكساس. أخيرًا، قدم متجر أزياء مسرحية في هيوستن ما هو مطلوب، لكن والدتي اعتقدت أنني أشبه بـ Mad Hatter أكثر من كونه عريسًا محترمًا.

الأولاد راكبي الدراجات النارية

خلال الفصل الدراسي الأخير من التدريس في جامعة تكساس، اقترح أحد الطلاب من عائلة ثرية في تكساس أن أقابل صديقه الذي كان مهتمًا بتمويل فيلم كامل. كان تلميذي رود تاجر عجلات شابًا طموحًا، وقد فشلت مخططاته السابقة لتحقيق الثراء، لكن ذلك لم يكن سببًا لعدم مقابلة صديقه، الذي كان يمتلك وكالة لبيع الدراجات النارية وورشة لإصلاحها في دالاس. رود وأنا توجهنا لمقابلته.

كان المستثمر المحتمل سائق دراجة نارية مفتول العضلات وملتحٍ في منتصف العمر ولديه خمسة أبناء تتراوح أعمارهم بين خمسة عشر عامًا واثنين وعشرين عامًا. كان اقتراحه بسيطًا -اكتب له نصًا عن عصابة من سائقي الدراجات النارية في رحلة برية من تكساس إلى واشنطن العاصمة. يموت جميع سائقي الدراجات النارية بطريقة مذهلة على مدار الرحلة باستثناء القائد الذي ينتهي به الأمر عند نصب لنكولن التذكاري في واشنطن بعد أن تعلم المعنى الحقيقي للحرية والديمقراطية. إذا أعجب صديق رود بالسيناريو، فسوف يقوم بتمويل الفيلم ويمكنني إخراجه.

كان ذلك منطقيا. كانت أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات من القرن العشرين ذروة أفلام راكبي الدراجات النارية الخارجين عن القانون مثل Wild Rebels، وSatan's وHot Leather، وChrome، وSadists، وبالطبع Easy Rider. لقد كان نوعًا مربحًا. وافقت على كتابة السيناريو وأطلقت عليه اسم "فرسان الحرية". لقد استمتعت كثيرًا بالتوصل إلى حالات وفاة مذهلة لجميع أفراد العصابة المختلفين -في عمليات إطلاق النار من قبل الشرطة، وحروب العصابات، والمطاردات المثيرة، ومثلثات الحب القاتلة. كما ألقيت على زعيم العصابة خطابًا أخيرًا بليغًا حول القيم الأمريكية من على درجات نصب لنكولن التذكاري. لقد كنت فخوراً بالسيناريو وأعجب به صديق رود، مما أعطانا الضوء الأخضر للإنتاج بميزانية تصل إلى نصف مليون دولار.

على الرغم من أن ركاب الحرية قد يؤخرون عودتنا المخططة إلى بريطانيا، إلا أن إخراج "فيلم حقيقي" كان أمرًا رائعًا للغاية بحيث لا يمكن تفويته. أنهيت الفصل الدراسي وبدأت في تشكيل فريق الإنتاج الخاص بي، بما في ذلك مصور الحركة من هوليوود، وكمساعد أول للمخرج، أحد طلاب الدراسات العليا الذي كان أيضًا أول من شارك في مذبحة منشار تكساس. كانت لدي خطط طموحة لاختيار الممثلين، بما في ذلك بيتر فوندا كزعيم العصابة.

صنع بيتر اسمه في فيلم Easy Rider قبل ست سنوات فقط، وقد التقينا عندما أحضرته إلى الجامعة لحضور ورشة عمل في الإخراج لمدة يوم كامل.
في رحلتي التالية إلى دالاس، أعطيت صديق رود، سائق الدراجة النارية، أفكاري حول اختيار الممثلين وتفاجأت عندما قال "لا". أخبرني أنه يتوقع أن يلعب أبناؤه الخمسة الأدوار الخمسة الرئيسية لراكبي الدراجات النارية على الرغم من أنهم لم يمثلوا من قبل. لقد جادلت، وأصر. تشاجرت أكثر فغضب واتهمني بإهانة عائلته. عندما عدت إلى أوستن، اتصل رود ليخبرني أنني طُردت من منصبي كمخرج؛ يبدو أن صديقه لم يعد يثق بي.

لقد شعرت بخيبة أمل، لكن نظرًا لأنني تلقيت أجرًا جيدًا مقابل السيناريو، فقد اعتقدت أنني خارج نطاق الفيلم نظرًا لأن اختيار الهواة من المحتمل أن يحكم على Freedom Riders بالكارثة. قمت بإيداع الشيك وسافرت أنا وجيري إلى كولورادو لإنفاق العائدات على البحث عن فيلم غربي جديد كنت أكتبه قبل عودتنا إلى إنجلترا.

مع توم، طالب الدراسات العليا الذي لا يزال مساعدًا أول للمخرج، حصلت على تحديثات منتظمة مع انتقال مرحلة ما قبل الإنتاج إلى الإنتاج. قام صديق رود، راكب الدراجة النارية، بتعيين مخرج جديد من هوليوود اشتهر بفيلم راكب الدراجة النارية الخارج عن القانون عام 1967 بعنوان Glory Stompers.

بعد أسبوع واحد فقط من التصوير الرئيسي، تلقيت مكالمة تحذرني من أن الإنتاج كان في ورطة. استولى الممثلون وطاقم العمل على فندق بأكمله في بلدة صغيرة في تكساس، حيث تم التخطيط لجزء كبير من التصوير الذي يستمر لمدة شهر.
في وقت مبكر من ذلك الصباح، رن هاتف غرفة توم، مما أدى إلى مقاطعة ليلته العاطفية مع فتاة السيناريو بينما صرخ المدير عبر الهاتف قائلاً إن الشيك الخاص بإقامة الممثلين وطاقم العمل قد ارتجع. لقد كان الكثير من المال. اتصل المدير بالشرطة ولم يتمكن أحد من المغادرة حتى يتم استلام المبلغ بالكامل.

وتبين أن هذا كان الأول فقط في سيل من الشيكات السيئة - للمعدات ومخزون الأفلام والمركبات المستأجرة ورواتب الممثلين وطاقم العمل. اتصلت بنا

البنك في أوستن وقيل لي أن الشيك النصي الخاص بي قد ارتد أيضًا. وبما أنهم قد قاموا بإيداع الأموال في الحساب واستخدمناها لدفع تكاليف بحثنا في كولورادو، فقد توقعوا منا أن نعيد الأموال. لم يكن لدينا ذلك، 700 دولار كانت مبلغًا كبيرًا من المال في عام 1974. كان توم في ورطة أسوأ، حيث كان سجينًا افتراضيًا في الفندق لعدة أيام حتى قام الممثلون وطاقم العمل بتجميع الموارد لتسوية الفاتورة.

وبعد بضعة أيام، اتصل توم مرة أخرى، وهو لا يزال في الفندق، ليقول إن هناك خطة غريبة لإنقاذ الإنتاج. سيغطي بنك واكو تكلفة يومين من تعدين الذهب في منجم في سان ماركوس، تكساس. سيتم بعد ذلك إيداع خام الذهب المستخرج خلال فترة 48 ساعة هذه في البنك كضمان للحصول على حد ائتماني كافٍ لتغطية التصوير الأولي.

هاه؟ بدا الأمر جنونياً! لم يسمع أحد أعرفه من قبل عن منجم ذهب في سان ماركوس. في اليوم التالي، انهارت خطة الإنقاذ، وتم إلغاء Freedom Riders ولم تتم معالجة الفيلم المكشوف لمدة أسبوع مطلقًا. تحدثنا إلى جيم، وهو صديق محامٍ في أوستن، والذي لم يكن لديه أمل كبير في استرداد أموالنا. في حين أنه من المؤكد أنه سيتم إعلان إفلاس وكالة بيع الدراجات النارية، إلا أن صديق رود كان سيتأكد من أنه ليس مسؤولاً شخصيًا. وعد جيم أن يفعل ما في وسعه.

واصلنا أنا وجيري خططنا لمغادرة تكساس، وفي يوليو من عام 1974 استقلنا رحلة طيران ذهابًا وإيابًا من دالاس إلى لندن، ومازلنا مدينين للبنك بمبلغ 700 دولار ولكن لم نترك لهم عنوان إعادة توجيه. لقد شعرنا بالذنب ولكننا بررنا ذلك على أساس أنه لم يكن خطأنا وأنهم يستطيعون تحمله أكثر مما نستطيع.

ولم نسمع منهم مرة أخرى.

الجزء السابع

لندن ريدوكس 1977 - 1974

كانت العودة إلى لندن بمثابة الهبوط على كوكب غريب. لقد كنت شخصًا مختلفًا عن العاشق الحزين الذي اقتحم الجسم الغريب لجيري أندرسون قبل خمس سنوات. كان السير في شوارع لندن المألوفة مع جيري إلى جانبي بمثابة تجربة سابقة ولكن في واقع بديل. شعرت وكأنني شخصية في فيلم شخص آخر. كان أصدقائي متشابهين، وبدا كل شيء كما هو، لكنني كنت مختلفًا تمامًا.

من ناحية أخرى، كانت جيري تلتقي بهذا العالم للمرة الأولى، وقد تعرفت على مجموعة جديدة تمامًا من الأصدقاء والعائلة. والدتي، التي كانت لا تزال تعمل في المسرح، كانت متزوجة الآن من زميل ممثل. عاد والدي أيضًا من منطقة البحر الكاريبي مع زوجته، الفنانة الجامايكية كوراه هاميلتون، وإخوتي غير الأشقاء جودي وموريس وآن. وبما أنني وجيري كنا طفلين وحيدين، فقد كانت هذه الوفرة المفاجئة في الأسرة بمثابة تعديل لها.

لقد وجدنا الأشهر الأولى صعبة بطرق مختلفة. أخبرني كل من أعرفه في صناعة السينما أنه لا يوجد عمل يمكن العثور عليه. كانت بريطانيا مكانا قاتما في السبعينيات مع تصاعد البطالة والتضخم والاضطرابات العمالية ونقص الطاقة وأكوام القمامة المتعفنة في الشوارع في كل مرة تقوم فيها النقابات بالإضراب.

وكانت لندن محبطة بشكل خاص بعد أوستن وسان ميغيل. وقالت جيري، التي نشأت في صحراء غرب تكساس، إنها لا تنوي قضاء حياتها في بلد تغيب فيه الشمس خلف سحابة في أكتوبر/تشرين الأول، ولا تشرق مرة أخرى إلا في أبريل/ نيسان التالي. لقد خططنا أن تكون لندن مجرد انتقال إلى مكان آخر، ربما أستراليا أو أفريقيا، ولكن بعد أن رفضت جامعة فلندرز في أديلايد طلب التدريس الخاص بي ولم يُظهر سفير مملكة ليسوتو أي اهتمام بخططي لبدء مدرسة للسينما في بلده، أدركنا أن أمامنا إقامة غير محددة في لندن.

استأجرنا غرفة واحدة في منزل في كنتيش تاون تملكه ابنة عمي، وهي أم عازبة تعيش مع طفليها الصغيرين. لم تكن لدينا خصوصية ولا مال ولم يكن ابن عمي وجيري متوافقين. وبعد المناقشة والقلق الكبير من جهتي، تم الاتفاق على أن يبحث جيري عن عمل

بينما كنت أركز على كتابتي، حيث كان وكيل نيويورك روبرت ميلز يشجعني على كتابة رواية أخرى بعد مدينة الغابة الهامسة.

وجدت جيري وظيفة مؤقتة مع شركة تدعى London Domestics، تعمل في تنظيف المنازل والشقق في جميع أنحاء وسط لندن. لقد كانت تحلم دائمًا بالعيش في إنجلترا، لكن هذا التحول كان صعبًا ومهينًا. قالت لاحقًا إن الأمر كان بمثابة تقشر طبقة تلو الأخرى من هويتها. تم تجريدها من كل ما كانت تعرفه في تكساس – الراحة، والملابس، والأصدقاء، والمكانة الاجتماعية، والأسرة. بينما كنت قد عانيت سابقًا من الفقر في المكسيك وتورنتو، أصبح لدي الآن زوجة لأفكر فيها من يقوم بالأعمال المنزلية حتى أتمكن من الجلوس في المنزل والكتابة. هل كنت أستحق جيري

تصحية؟ هل كنت جيدًا؟

قضيت الصباح في الكتابة في غرفتنا في كنتيش تاون، ثم مشيت لساعات في هامبستيد هيث، وأنا أعاني من الشكوك حول قدراتي في الكتابة. كان هناك كتاب جديد يتم التركيز عليه ببطء، لكنه لم يكن الخيال العلمي الذي أراد روبرت ميلز أن أكتبه؛ لقد كان خيالًا بيئيًا، تدور أحداثه في عالم طبيعي شاعري بعيدًا عن كآبة وفقر لندن. كانت لندن مسقط رأسي، لكنني وجدت نفسي مستاءً من الحشود المجهولة التي كانت تتزاحم وتتزاحم عليّ في كل مرة أخرج فيها إلى الشوارع وأستقل مترو الأنفاق.

أحد كتابي المفضلين، لورانس دوريل، أطلق على بريطانيا لقب "جزيرة بودنغ" وأنا أتفق معه. في ذلك الوقت كتبت: "الوجوه الباهتة والعقول الباهتة والغد الباهت مع وجوه الناس مغلقة ومتشددة في مواجهة اللون الرمادي. أين متعة الحياة، متعة العيش ببساطة؟ أين اللون والضوء والموسيقى التي تجعلك ترقص في الشارع وأنت على قيد الحياة؟ إنكلترا رمادية، ومثل الحرباء أتحمل رماديتها».

كان جيري صبورًا مع نوبات غضبي وشجعني على الاستمرار في الكتابة. كما قدمت أيضًا فيلمي Q Charlie وA Death In Tombstone، وهما الفيلمين القصيرين اللذين صنعتهما في تكساس، إلى مهرجان برشلونة السينمائي الدولي. اتصل بنا المهرجان، واعتذر عن تفويت الموعد النهائي، لكنه سألني عما إذا كنت أرغب في العمل في لجنة التحكيم الدولية -مع دفع جميع النفقات لي ولجيري. لقد تركنا الفقر في لندن لمدة أسبوع في برشلونة، نتناول الغداء مع عمدة المدينة، ونشرب الشمبانيا

اختلطت مع مشاهير صناعة السينما قبل العودة إلى لندن حيث عادت جيري لتنظيف المراحيض وتلميع الأرضيات، وعدت لكتابة الرواية التي أطلق عليها الآن اسم "خيال صغير".

بعد أن تم تعيين جيري كموظفة في جمعية الكمبيوتر البريطانية، وهي المنظمة التجارية لصناعة لا تزال في مهدها (لم تكن هناك أجهزة كمبيوتر في المبنى)، انتقلنا من منزل ابنة عمي وتسلمت وظيفتها في شركة - London Domesticsكنا بحاجة الى المزيد من المال للإيجار! ثم حصلت على وظيفة كمدرس احتياطي (بديل) في مدرسة كبيرة بشمال لندن الشاملة. لم يكن لدي أي درجة علمية أو شهادة تدريس ولكن لسبب ما لم يشككوا في أوراق اعتمادي بعد أن علموا أنني قمت بالتدريس مؤخرًا في إحدى الجامعات الأمريكية الكبرى.

كان التعليم في بريطانيا في حالة تغير مستمر في ذلك الوقت. في العام السابق، تم رفع سن ترك المدرسة من خمسة عشر إلى ستة عشر عامًا وكان المعلمون العاديون يكرهون دورة "التصميم من أجل المعيشة" التي تضيع الوقت والتي تم إنشاؤها لملء هذه السنة الإضافية. مع عدم وجود منهج دراسي، كانت وظيفة مجالسة الأطفال، وكان من المتوقع مني السيطرة على فصول كبيرة من الطلاب الذين يشعرون بالملل والاستياء ومعظمهم من السود (كانت هارينجي تمثل أقلية كبيرة في لندن) الذين يبلغون من العمر 16عامًا، والذين ينفسون عن غضبهم من بقائهم عالقين في المدرسة على الطريق السريع. مدرس. لقد شعرت بالارتياح عندما طردني المدير بعد بضعة أشهر عندما اكتشف أنني لا أملك شهادة تدريس.

في الأسبوع التالي تلقيت خطاب توبيخ من مجلس مقاطعة هارينجي، يخبرني فيه أن "جريمة" الكذب بشأن المؤهلات كانت خطيرة بما يكفي لمنعي من التدريس في المستقبل. هل كنت أرغب في الرد؟ وبما أنني وجدت الموقف مضحكًا ولم يكن لدي أي نية للتدريس مرة أخرى، فقد كتبت ردًا فكاهيًا أقول فيه إن تجربة الحياة السابقة تؤهلني تمامًا للتدريس. وبعد أشهر وصل الحكم الرسمي: "نظرًا لظروفك المخففة، سيتم الاحتفاظ بك في قائمة المعلمين المؤهلين". هاه؟ لقد تساءلت كثيرًا عما إذا كان هذا يعني أنه لا يزال بإمكاني التدريس في أي مدرسة شاملة بشمال لندن!

بحلول ذلك الوقت، تم تعييني لإنتاج أفلام وثائقية للمكتب المركزي للمعلومات، وهي نفس الإدارة الحكومية التي بدأت فيها مسيرتي المهنية قبل عقد من الزمن. لقد كنت مسؤولاً عن الأفلام التي تتراوح من المملة (أنتجت نصف ساعة كاملة حول محاكاة حركة السفينة) إلى

مقنع، بما في ذلك فيلم وثائقي مدته ساعة من إنتاج أحد أبرز صانعي الأفلام في بريطانيا، تم تصميمه كفيلم تجنيد لضباط السجون، والذي انتهى به الأمر إلى إدانة دامغة للحياة في السجن، وفاز بجوائز في جميع أنحاء العالم.

بعد أن أصبحنا أنا وجيري نكسب عيشًا معقولًا، استأجرنا منزلاً في قلب مدينة غرينتش، أحد أكثر الأحياء الخلابة في لندن أسفل نهر تاور بريدج. كانت هناك ثلاث حانات تاريخية على مرمى حجر من منزلنا وكنا قريبين من متنزه غرينتش، على بعد خمس دقائق فقط سيرًا على الأقدام من سفينة القص التي يعود تاريخها إلى القرن التاسع عشر كاتي سارك والتي كانت راسية في الحوض الجاف بالقرب من الكلية البحرية الملكية القديمة.

لقد أحببنا غرينتش وهدأ موقفي المتذمر تجاه الحياة في لندن، باستثناء تلك الأيام التي كان فيها الانتقال إلى العمل يعني ركوب القطار إلى تشارينغ كروس. لقد كنت دائمًا مصابًا برهاب الأماكن المغلقة، لذا فإن بقائي في عربة خانقة مع مائة آخرين، والقتال من أجل مكان أقف فيه دون أن يطعنني أحد في ظهري بمرفقه، كانت فكرتي عن الجحيم. ولحسن الحظ، كانت هناك طريقة أفضل لمعظم الوقت الذي عشناه في غرينتش.

باعتباري من سكان لندن، أذهلني دائمًا أن الركاب لا يستفيدون بشكل أفضل من نهر التايمز، ولكن في عام 1975 بدأت خدمة القوارب المائية الروسية بين غرينتش وتاور بريدج وويستمنستر. قامت قوارب Raketa (الصاروخية) الأنيقة برحلة نهرية بطول 7 أميال في أقل من 25 دقيقة. نظرًا لأن المكتب المركزي للمعلومات يقع على بعد مسافة قصيرة سيرًا على الأقدام من رصيف وستمنستر وجمعية الكمبيوتر البريطانية وعلى بعد مسافة قصيرة بالحافلة في شارع ريجنتس، فقد استخدمت أنا وجيري القارب المحلق كلما أمكننا ذلك.

كان الصباح على النهر جميلاً، خاصة في فصل الصيف عندما تتلألأ الشمس على سطح الماء مثل الجوهرة المتلألئة. كان التنقل ممتعًا حتى في الأيام الرطبة حيث كنا نتجمع تحت المظلات على الرصيف وننتظر أن ينزلق القارب المحلق نحونا حول منعطف في النهر.

لقد كانت طريقة متحضرة للتنقل، والعودة إلى مقعد طيران مريح وقراءة صحيفة الصباح أو مشاهدة الأرصفة الرمادية تمر بينما تقدم المضيفات بالزي الرسمي القهوة أو الشاي.

كان لنهر التايمز دائمًا وجهًا مختلفًا يظهره للمسافر ولم أتعب أبدًا من الرحلة. قد نمر بمركب قديم من نهر التايمز، يسير بلطف أسفل النهر تحت إبحار كامل بقماشه القرمزي المتوهج في ضوء الصباح. أو شاهد غواصة أو سفينة حربية جديدة مرتبطة بجانب سفينة HMS

بلفاست خلف جسر البرج مباشرةً. أو كنا نتجاوز ناقلة نفط بطيئة في نهر التايمز بينما كانت تبحر ببطء في اتجاه النهر، ونمررها مثل طائر رشيق لنتركها بعيدًا بينما كنا نتسابق تحت جسر واترلو. كانت هناك أمسيات رائعة الجمال في أواخر الخريف قبل غروب الشمس مباشرة عندما كان الضوء يتلاشى وكانت الأضواء على جميع الجسور تتلألأ وسط الظلام، وكانت الشمس كرة دوارة تغوص على ارتفاع منخفض فوق المستودعات والأرصفة على طول ضفة النهر كدمائها. كان الانعكاس الأحمر في الماء يتسابق جنبًا إلى جنب مع مركبتنا المسرعة.

ولسوء الحظ، استخدم عدد قليل جدًا من الركاب القارب المحلق. لم يكن هناك سوى ثلاثة قوارب وكان واحد أو أكثر في كثير من الأحيان خارج الخدمة بسبب مشكلة في المحرك أو تلف الرقائق نتيجة الاصطدام بالحطام في النهر. بعد أكثر من عام بقليل من بدايتها، تم إلغاء خدمة القارب المحلق واضطررت أنا وجيري إلى العودة لركوب القطار.

أحببت عملي في المكتب المركزي للإعلام، لكني لم أقرر بعد بين الكتابة وصناعة الأفلام. كانت الرواية الجديدة تسير بشكل جيد، لكنني كنت أيضًا أكوّن صداقات مع منتجي ومخرجي الأفلام الوثائقية الذين أصبحوا محفزين للانفجار الإبداعي في قطاع الإنتاج المستقل في بريطانيا الذي أعقب إطلاق القناة الرابعة في عام .1982

كان أحد هؤلاء هو أندرو (أندرو مختلف عن صديقي الفنان في سان ميغيل). لقد تم تكليفه بإعداد فيلم وثائقي حكومي عن التلوث النفطي، وترابطنا أثناء مطاردة بقع النفط حول بحر الشمال في سفينة صيد كريهة الرائحة. كانت وسائل الترفيه الوحيدة لدينا لأيام متتالية هي مشاهدة منظار الرادار في غرفة القيادة وهو يدور ويدور ويدور، بينما كنا نتحدث عن الأفلام التي كنا نأمل في إنتاجها. أنتج أندرو لاحقًا العديد من الأفلام التي صنعتها بعد انتهاء سنوات سفري وبقينا أصدقاء حتى يومنا هذا.

بلفاست خلال الاضطرابات

في عام 1975 أرسلني المكتب المركزي للمعلومات إلى بلفاست

الإشراف على إنتاج فيلم وثائقي حكومي سيتم تصويره حيث كانت "مشاكل" أيرلندا الشمالية في ذروتها. كان من الصعب معرفة ما يمكن توقعه عند وصولي. وكانت الصحف مليئة بقصص التفجيرات والقتل الطائفي والعنف الأحمق والقتل تحت جنح الظلام. وتحدثت الافتتاحيات عن وقف إطلاق النار المجهض وبريطانيا

جنود يشحنون ويشحنون خارجا. ولم يكن أحد يعرف ما قد تكون عليه نهاية اللعبة. هل سأجد بلفاست مدينة في حالة حرب، حيث ينتشر الجنود في الشوارع مع تذكير دائم بأن الحياة رخيصة؟ أم أن الأمر كله كان تمثيلية؟ بعض حالات العنف المعزولة التي تضخمها الصحافة؟

أردت أن تكون بلفاست مدينة في حالة حرب. سواء اعترفنا بذلك أم لا، هناك شيء رجعي في الحرب يتحدث إليه الشباب عبر آلاف السنين من الحضارة. تدق الأبواق والدماء تجري في عروقنا. إن التعرض للخطر يعيدنا إلى الحياة بطريقة يصعب مقارنتها في عالمنا المتحضر. لا يوجد شخص عاقل يعتقد أن الحرب ساحرة، لكننا لا نتفاعل بالضرورة مع الحرب بحكمة عندما نكون صغارًا. المعركة هي عاطفة صعبة ومجيدة، ويمكن أن تسخر من الحضارة. إن مواجهة رجل آخر وهزيمته في قتال مميت هي التعبير النهائي عن الحياة، حيث يصيح الديك المقاتل بالنصر على الخصم الذي سقط.

ليس من الصواب سياسياً الاعتراف بمثل هذه المشاعر. لقد أصبحنا منهكين الآن من حروب أميركا في العراق وأفغانستان والنضال الذي لا ينتهي ضد الإرهاب. إننا ندين أعمال العنف، وندين الإرهابيين، وننتقد ساستنا لفشلهم في إحلال السلام. نقول لأنفسنا أننا أفضل من ذلك. ومع ذلك، عندما تصطدم السيارة نتوقف للمشاهدة، وعندما تنفجر القنبلة نبقى ملتصقين بشاشات التلفزيون، وعندما يتقدم داعش أو يتراجع عبر رمال الصحراء، نلجأ إلى وسائل التواصل الاجتماعي للحصول على آخر التحديثات. العاطفة من جهة ثانية، تمت إزالة مرحلة واحدة. نحن متفرجون، تشد انتباهنا الكارثة لأننا لا نملك الشجاعة للاعتراف بأنه عندما ينفخ البوق، فإن الدم لا يزال يتدفق في عروقنا.

كنت في الثلاثين من عمري عندما وصلت إلى بلفاست في ذروة الاضطرابات.
في أعماقي كنت أتمنى أن أتعرض للنيران وأن تتاح لي الفرصة للعب دور البطل.
لكن إثارة الخطر سرعان ما تتلاشى عند مواجهة واقع الإحباط. لأن الإحباط كان أكثر ما أذهلني في تلك الزيارة الأولى

إيرلندا الشمالية؛ الإحباط الناتج عن التأخير المستمر والقيود التافهة لشعب ومدينة تائهين في متاهة من اليأس دون خيط أريادن الذي يرشدهم إلى بر الأمان. لقد كان ذلك بسبب الإحباط الذي أصاب مراكز المدن التي تم إغلاقها عن حركة المرور والجنود البريطانيين الشباب العالقين في حرب ليست من صنعهم. لقد كان الإحباط الناتج عن طوابير الخبز الطويلة المتعرجة عبر المطر.

جرفت الأرصفة والإحباط بادية على وجوه سكان بلفاست الذين كانوا يتطلعون إلى مستقبل قاتم وكئيب مثل الضباب السخام الذي يخيم على مدينتهم.

كانت بلفاست آنذاك مدينة فقيرة مليئة بالشوارع المتدهورة والمباني الفارغة. لقد كانت الحرب حربًا بين الطبقات العاملة. قد يخطط قادتها وجنرالاتها في فنادق المدينة الباهظة الثمن، لكن قواتها تتجمع وتتسلح بصمت خلف أعمدة خرسانية وجدران حديدية مموجة تغلق كل منطقة من المنازل الباهتة والمتهالكة عن المنزل المجاور. فقط الشعارات، المرسومة بأحرف بيضاء غير متساوية على الطوب المتهدم، كانت تُروى عندما تنتقل من الخطوط البروتستانتية إلى الخطوط الكاثوليكية.

السياسيون الذين يقودون الطريق الطويل المؤدي إلى قلعة ستورمونت في محاولات غير مجدية لوقف الجنون لم يكن لديهم أي شيء مشترك مع الرجال والنساء المتجهمين الذين أشعلت كراهيتهم نيران العنف.

أما خارج الأحياء الفقيرة، فقد كانت علامات الحرب أقل وضوحًا، وكان الرعب أبعد. سافرت بالطائرة إلى بلفاست بعد ظهر يوم شتوي كئيب وكان هناك ضباب رطب يخيم على المطار ورائحة دخان الفحم تفوح في الهواء. كان الجنود متراخين على ساحة انتظارهم خارج مبنى المطار، وكانت بنادقهم مثبتة بشكل عرضي على الخرسانة التي غطتها الأمطار. وسمع في السماء دوي مروحية عسكرية تحلق حول محيط المطار. داخل مبنى المطار، كان الشعور بالغرابة أقوى. هنا انتظر الركاب الصاخبون والمبتهجون لاستعادة أمتعتهم مع جندي بريطاني واحد فقط لتوفير الأمن. تم الفصل بين الأصدقاء والعائلات الذين كانوا يقابلون الركاب القادمين وتم اقتيادهم إلى كوخ خارج صالة المطار. واليوم، أصبحت مثل هذه الاحتياطات الأمنية معيارًا قياسيًا في عالم ما بعد 11 سبتمبر؛ كم من الوقت مضى منذ أن تمكن الأصدقاء من مقابلة الركاب القادمين عند البوابة عند نزولهم؟ لكن في السبعينيات، كان السفر الجوي يخضع لقيود أمنية قليلة.

كانت بلفاست نذير المستقبل.
سافرنا بالسيارة من المطار خلال وقت الغسق إلى بلفاست، وكانت رائحة دخان الفحم تزداد قوة مع اقترابنا من المدينة. وكان تأثير الاضطرابات في كل مكان. لقد تم إخضاع مضيفي، ممثلو حكومة أيرلندا الشمالية، عندما دخلنا هذه المدينة المحاصرة. مررنا بمحطة وقود تعرضت للقصف، وكانت عدة منازل محترقة ومجوفة بسبب النيران. أثناء القيادة عبر منطقة عشوائية، رأيت لأول مرة

المتاريس التي قسمت المدينة. كان الناس المنهزمون يسيرون في الشوارع التي غمرتها الأمطار وهم يرتدون معاطف باهتة عديمة الشكل. كان للأطفال وجوه كبار السن. لكن من حين لآخر كانت دفقة من الألوان تبرز من بين العتمة مثل شعاع من ضوء الشمس، فتاة جميلة ترتدي ثوبًا أصفر لامعًا تسرع عبر الغسق في طريقها إلى موعد غرامي. طفلان صغيران، بوجهين حيوي ومتوهج، يركلان كرة القدم في الشوارع، غافلين عن الخراب الذي يحيط بهما. هل كانوا كاثوليك أم بروتستانت؟ فهل استوعبوا بالفعل دروس الكراهية التي ستدفعهم إلى العنف فيما بعد؟

مررنا بشوارع تلو الأخرى مليئة بالمنازل المبنية بالطوب، ليس بسبب الحرب ولكن بسبب اضمحلال مدينة لم تعرف سوى الفقر. وليس من المفاجئ أن نيران الكراهية الطائفية مشتعلة وشديدة في مثل هذه البيئة. في بعض الأحيان كنا نمر بمنزل أو متجر حيث أكملت القنابل والحرق العمد الدمار الذي بدأه الفقر. كان مضيفي يشرح لي، ويخبرني أي جانب وضع القنبلة، وعدد القتلى والجرحى. بالنسبة لهم، كان هذا العنف حقيقة يومية من حقائق الحياة، ومقبولة حتى لو كانت مستنكرة. ولم يكن هناك موقف آخر ممكن في أيرلندا الشمالية في ذلك الوقت.

ذات مرة، أوقفتنا سيارتان محملتان بأفراد من الشرطة يرتدون ملابس مدنية بينما كنا نسير في شارع يفصل بين الأحياء الكاثوليكية والبروتستانتية. لوح لنا رجل في السيارة الرائدة إلى جانب الشارع بينما كانت السيارة الثانية

بقينا في حالة حدوث مشكلة، وكان سكانها يغطوننا ببنادقهم.

للحظة شعر مضيفي بالقلق؛ كانوا مسؤولين حكوميين وكان الجيش الجمهوري الإيرلندي معروفًا بمثل هذه الكمائن. لكنه كان فحصًا روتينيًا. كان أربعة رجال يقودون السيارة معًا أمرًا يتطلب التحقيق. أظهر سائقنا تصريحه قائلاً إنه كان مع الحكومة. قال شرطي إنه لم يكن يعلم بوجود حكومة. يعكس تعليقه اعتقاد معظم الناس.

وصلنا في نهاية المطاف إلى فندق أوروبا، وسرنا مسافة الخمس وعشرين ياردة الأخيرة مروراً بأعمدة خرسانية أقيمت لمنع انفجار السيارات المفخخة خارج المدخل الرئيسي. اكتسب فندق أوروبا بالفعل سمعة باعتباره الفندق الأكثر تعرضًا للقصف في العالم. خلال الاضطرابات، تم قصفها 28مرة منفصلة، واستهدفها الجيش الجمهوري الأيرلندي لأن الكثير من السياسيين البريطانيين أقاموا هناك. ذهبت إلى غرفتي لأغير ملابسي قبل التوجه إلى الحانة حيث

تجمع الصحفيون الذين يغطون الاضطرابات ليغسلوا طعم دخان الفحم والفقر.

خلال فترة وجودي في بلفاست، لم أسمع قط صوت انفجار قنبلة، ولم أشاهد مطلقًا تبادلًا لإطلاق النار. لكنني استمعت إلى الناس في الشوارع، الجالسين في الحانات والمطاعم، وهم يتحدثون عما يجب أن يحدث قبل أن ينتهي العنف. بدت الأفكار والآمال والخطط كلها ممكنة عند سماعها في الدفء المريح لحانة الفندق. لكن في الخارج، خلف المتاريس الخرسانية والجدران الحديدية المموجة في مناطق مثل طريق فولز، كان رجال أقوياء يصنعون قنابلهم ويحملون بنادقهم، ولم تكن هناك حلول لنيران الكراهية التي يمكن لهيبها أن يصل بسهولة إلى الملاذ الآمن حيث جلست شرب البيرة الخاصة بي.

غادرت بلفاست بالطائرة في أمسية رطبة أخرى وكانت رائحة المطر ودخان الفحم تفوح في الهواء. مثل كثيرين، جئت وشاهدت ثم غادرت، عائداً إلى لندن حيث كان اتصالي الوحيد بلفاست هو التقارير عن عمليات إطلاق النار والقتل التي سمعتها على شاشات التلفزيون أو قرأتها في الصحف. بالنسبة لمضيفي وأولئك الذين رأيتهم في الحانات والشوارع، استمرت حقائق الحرب والكراهية بلا هوادة. بالنسبة لهم لم يكن هناك إجابة سهلة، ولا ملاذ آمن لا تجدهم فيه القنابل والرصاص. فأين كانت الأبواق؟

ماذا حدث لأحلام المجد؟ وكان الواقع مختلفا. وطفلة صغيرة تبكي من الصدمة والرعب بينما يرقد والدها ميتاً على الطريق؛ قرية حداد عشرة من شبابها سقطوا في كمين حدودي.

لم يسبق لي أن شهدت منطقة حرب حقيقية، على الرغم من أنني وطاقم الفيلم التابع لي هبطت بعد عقود من الزمن مع قوات التحالف في بورت أو برنس بهايتي، كجزء من الغزو لإعادة بيرترام أريستيد إلى السلطة. كما أمضيت أسبوعًا مع القوات الجوية الأمريكية في مدن الخيام العسكرية في المملكة العربية السعودية، بينما تم فرض منطقة حظر الطيران فوق العراق خلال الفترة الفاصلة بين عاصفة الصحراء وحرب الخليج. لكنني لم أنظر قط في عيني الموت ورجعت لأروي الحكاية. أنا أكبر سنًا وأكثر حكمة الآن، لكن لا يزال جزء مني يندم في أعماقي على عدم معرفة مثل هذه اللحظة.

حب التجوال

عدت إلى لندن والمكتب المركزي للمعلومات ولكن بعد ذلك

من خلال العمل هناك لمدة عام، بدأت أشعر برغبة التجوال مرة أخرى. لقد كنا بالفعل في لندن لفترة أطول بكثير مما خططنا له في الأصل. بينما

كان من دواعي سرور جيري أن تبقى لفترة أطول، فهي لم تكن تكره خوض مغامرة جديدة، لذلك بدأنا أنا وهي في مناقشة المكان الذي يمكن أن نذهب إليه بعد ذلك. على الرغم من أن روايتي "خيال صغير" قد انتهت، إلا أنني عرفت الآن أنها كانت مجرد كتاب أول في ثلاثية. لم يعجب العميل روبرت ميلز بالمخطوطة وقال إنها لن يتم بيعها ولكن كانت لدي قصة الكتب الثلاثة في رأسي وأردت الاستمرار في المضي قدمًا. أردت أن أصبح كاتبة بدوام كامل مرة أخرى، وليس مجرد مخرجة أفلام تكتب في أوقات فراغي.

في أحد أيام شهر فبراير القاتمة تلك، عندما تتبعك الرطوبة داخل المباني ويبدو أن ضوء النهار يستمر لساعتين فقط في وقت الغداء، اتصل بي جيري وأخبرني أن أتأكد من العودة إلى المنزل مبكرًا. كان هناك برنامج على التلفاز اعتقدت أننا يجب أن نشاهده. يُطلق عليها اسم روح المكان، وقد تتبعت عودة الكاتب لورانس دوريل إلى كورفو، حيث زار جميع الأماكن التي عاش فيها عندما كان شابًا. لقد أسرت أنا وجيري. وعندما انتهى الأمر، نظرنا إلى بعضنا البعض وقلنا معًا: "اليونان!"

كان والدا جيري قادمين من أمريكا لزيارتها في ذلك الصيف واقترحا أن نأخذ إجازة معًا. قلنا مرة أخرى "اليونان" وسافرنا نحن الأربعة إلى أثينا في أوائل شهر مايو. قررنا عدم التخطيط لأي شيء مسبقًا؛ كنا فقط "نذهب إلى اليونان"، وإذا أرادت اليونان أن نعيش هناك، فسوف ترحب بنا وتمنحنا إجازة رائعة.

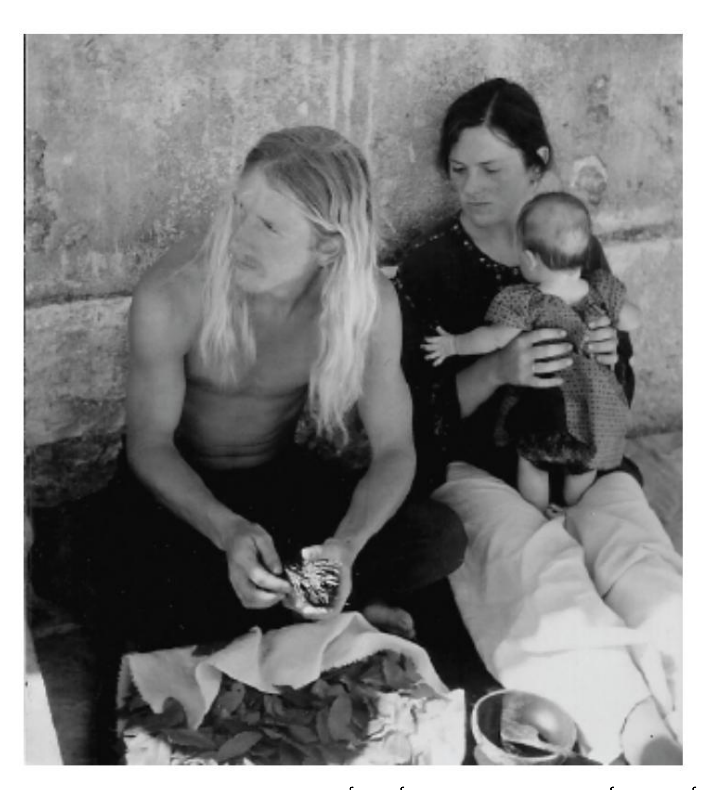
هذا ما حدث. استأجرنا سيارة وتجولنا شمالاً عبر دلفي قبل أن نتجه جنوبًا وغربًا مرة أخرى لنصل إلى ميناء باتراس. قررنا أن الجزيرة قد تكون جميلة، لذلك استقلنا أول عبّارة للمغادرة وبعد ثلاث ساعات رست في أرجوستولي في سيفالونيا، وهي جزيرة اشتهرت لاحقًا من خلال كتاب وفيلم Corelli's Mandolin.

بقينا في قرية الصيد الصغيرة فيسكاردو في الطرف الشمالي من الجزيرة حيث التقينا بزوجين سيضعان حياتنا مرة أخرى في مسار جديد. الأول كان أثناسيا وجورجيو الذين امتلكوا الحانة الوحيدة في فيسكاردو حيث تناولنا معظم وجباتنا. بفضل الضيافة اليونانية الحقيقية، عاملونا كعائلة وقدموا لنا دفء وكرم مجتمع القرية اليونانية. وكانت صداقتهم أول علامة على أن اليونان سترحب بنا.

بعد ذلك التقينا بستار وكالي، وهما زوجان أمريكيان شابان كانا قد سارا سابقًا من أيرلندا، وقضيا أكثر من عام على الطريق،

التوقف عن العمل في وظائف غريبة كلما احتاجوا إلى المال. كانوا يعيشون بمفردهم في منارة مهجورة في البندقية وكانوا مكتفين ذاتيًا تمامًا، حيث كانوا يزرعون الخضروات التي يأكلونها ويجمعون مياه الأمطار للشرب والغسيل في صهريج عمره قرون أسفل المنارة.

وقبل ثلاثة أشهر، أنجبت كالي بليادا، وهي طفلة جميلة، دون مساعدة خارجية. بمفردها في المنارة المهجورة في منتصف الشتاء مع نار الأخشاب الطافية للتدفئة، جاءت بليدا بشهوة وسهولة إلى هذا العالم، وتعرف كالي غريزيًا ما يجب فعله. لكن على الرغم من أنهم لم يكونوا خائفين في ذلك الوقت، إلا أن ستار أخبرني أنهم فزعوا لاحقًا عندما فكروا في الخطأ الذي يمكن أن يحدث.



كان ستار وكالي هما من أعطانا تأكيدنا الثاني، حيث أثبتا أنه من الممكن السفر والعيش دون القلق بشأن المال أو الخطط المستقبلية، فقط الاستماع إلى توازن كل لحظة حاضرة.

خلال أسبوعنا الأول في فيسكاردو، قررنا أن تكون جزيرة كريت موطننا المستقبلي، وبحثنا عن جزيرة بعيدة بما يكفي جنوبًا لقضاء شتاء دافئ؛ كانت سيفالونيا شديدة البرودة. أردنا جزيرة كبيرة بما يكفي ليكون لها اقتصاد يتجاوز السياحة في حال احتجنا إلى العثور على عمل، ويبدو أن جزيرة كريت تلبي جميع متطلباتنا. على جدار مكتب بريد فيسكاردو، وجدنا خريطة إغاثة ثلاثية الأبعاد لليونان مع الجبال المبنية

مع البلاستيك. حدّقنا أنا وجيري في منطقة جبلية في جزيرة كريت، حيث برزنا من بحر إيجة ذو اللون الأزرق مثل الحوت ذو الظهر الأحدب، ولم نعرف شيئًا عن الجزيرة، وقمنا باختيار مكانين محتملين للعيش بشكل عشوائي - سيتيا على الساحل الشمالي الشرقي وأجيوس جاليني في الجنوب. . كان منطقنا بسيطًا، حيث بدا كلاهما على خريطة الإغاثة مسطحًا وخضراء؛ في كل مكان آخر كانت الجبال.

وفي نهاية إجازتنا عدنا إلى لندن، عازمين على توفير ما يكفي من المال للعيش لمدة عام على الأقل في جزيرة كريت. على الرغم من أننا لم نر ستار أو كالي أو أثناسيا أو جورجيو مرة أخرى، إلا أن تأثيرهم على حياتنا كان هائلاً.

لا يزال لدينا الكثير من الشكوك والمخاوف بشأن تغيير كبير آخر في حياتنا، ولكن لم يكن هناك شك في أننا سننتقل إلى جزيرة كريت في وقت مبكر من العام التالي.

بحلول شهر ديسمبر، كنا قد حجزنا سفرنا ولكننا وفرنا أقل مما كنا نأمل. جاء جيم، صديقنا المحامي من تكساس، إلى لندن لقضاء عطلة عيد الميلاد وقمنا بدعوته إلى منزلنا في غرينتش، وسألنا عما إذا كان أي شخص قد استعاد الأموال من فشل .Freedom Ridersهو قال لا". ولكن بعد مغادرته، وجدنا مظروفًا تحت شجرة عيد الميلاد الخاصة بنا يحتوي على ملاحظة "عيد ميلاد سعيد" بالإضافة إلى شيك بقيمة 780دولارًا، أي أكثر بثمانين دولارًا مما فقدناه قبل ثلاث سنوات تقريبًا. يبدو أن مستثمر راكبي الدراجات النارية لم يفصل بين الشؤون الشخصية والعملية، وقد وضع جيم حجزًا على منزله. أصبح لدينا الآن المال للعيش في جزيرة كريت.

الجزء الثامن

كريت 1979 - 1977

عشنا لمدة ثلاث سنوات في قرية صغيرة على الساحل الشمالي الشرقي لجزيرة كريت. مستوحاة من الوقت الذي قضيناه في فيسكاردو، قمنا بشحن أغراضنا إلى هيراكليون، كريت، وسافرنا بالطائرة من لندن في صباح بارد ورطب من شهر فبراير عام .1977رتبنا لقطتنا السوداء، كوليت، ليتم نقلها جوًا في بعض الأيام. بعدنا. لم يكن هناك مجال للعودة إلى الوراء، مثلما حدث قبل ثماني سنوات عندما نزلت من سفينة شحن في فيرا كروز وأدركت أن حياتي القديمة، وكوين وصناعة السينما البريطانية وكل شيء تركته خلفي في لندن، قد انتهى.

وصلنا إلى اليونان ومعنا ما يكفي من المال للعيش بحذر لمدة عام تقريبًا، واخترنا جزيرة كريت لأنها كانت كبيرة بما يكفي ليكون لها اقتصادها الخاص مع إمكانية العمل، حتى لو كان مجرد قطف العنب والزيتون. ولكن بينما كنا مجتمعين في فندق رخيص في العاصمة هيراكليون، في انتظار وصول قطتنا كوليت -تم شحنها بعد أيام قليلة من وصولنا -تساءلت عما إذا كنا لم نرتكب أكبر خطأ في حياتنا. لقد كنت دائمًا الشخص الذي يدفع للقيام بقفزات كبيرة نحو المجهول، فقط لأصاب بالذعر وأدخل في حالة ذعر شبه جامدة في اللحظة التي يتم فيها إنجاز الإجراء الذي لا رجعة فيه. كان جيري على العكس من ذلك، وكان أقل استعدادًا للقيام بهذه القفزة في المقام الأول، ولكن بعد أن قام بذلك، أصبح أكثر قدرة على التعامل مع تلك الأيام الأولى الصعبة قبل أن نبدأ في التكيف مع بيئتنا الجديدة.

الأيام الأولى لم تكن أسابيعنا الأولى في جزيرة كريت ميمونة.

هيراكليون ليست مدينة جميلة، وخاصة في فصل الشتاء. كان الجو باردًا جدًا عندما وصلنا، وكانت الرياح العاتية تهز مصاريع الفندق باستمرار. هبت عاصفة من الشمال وهطلت الأمطار متواصلة لمدة ثمان وأربعين ساعة. كان الفندق غير مريح وغير مدفأ. كان الماء في الحمام فاترًا بالكاد ولم يكن من الممكن الحصول على وجبة ساخنة في أي مكان في المدينة. تم إغلاق المطاعم الجيدة في فصل الشتاء، وتلك التي ظلت مفتوحة تقدم طعامًا مُعاد تسخينه كان فاترًا في أحسن الأحوال. تجولت أنا وجيري في جميع أنحاء المدينة، بائسين ومكتئبين، خوفًا من أننا ارتكبنا خطأً فادحًا. لقد وجدت مؤخرًا مذكراتي الخاصة بتلك الأيام الأولى البائسة.

«وهنا أجلس هنا في غرفتي في الفندق، رياح كريت تعوي حول النافذة، وتضرب المصاريع بالحائط، وتتناثر قطرات المطر الغزيرة في هبوب الرياح على زجاج النافذة. في مثل هذه الأوقات يطرح المرء هذا السؤال، كما فعلنا أنا وجيري مرارًا وتكرارًا منذ وصولنا: "ماذا نفعل؟ ماذا فعلنا؟" الجو بارد أيضًا، برد شديد يتسرب من خلال إطارات النوافذ غير المناسبة ليرتفع إلى طبقات جليدية من الأرضية الرخامية. تستلقي جيري على السرير، مغطاة بالبطانيات بينما أجلس على الآلة الكاتبة، وأشعر أنني يجب أن أتمكن من الاستفادة من هذا الصباح البارد من شهر فبراير.

كانت لحظات المتعة قليلة ومتباعدة، لكن في وقت لاحق من الأسبوع الأول اشترينا الخبز والجبن والنبيذ واستقلنا سيارة أجرة إلى قصر كنوسوس. توقف المطر أخيرًا ولكن الجو كان لا يزال عاصفًا وباردًا وكان الموقع مهجورًا تقريبًا. تجولنا حول القصر المتجول، مرتديين معاطف لندن، وتنزهنا بين أنقاض فيلا مينوية صغيرة حيث سكبنا مشروبًا من النبيذ لأي آلهة لا تزال تعيش هناك.

كنا بحاجة إلى كل المساعدة التي يمكننا الحصول عليها.
الأمر مختلف عند زيارة مكان ما في إجازة. حتى عندما تسوء الأمور، لا تزال هناك حياة ومنزل ينتظران بمجرد انتهاء العطلة. لكننا أحرقنا جسورنا وقطعنا كل علاقاتنا بحياتنا في لندن. كنا عالقين في جزيرة كريت، سواء أحببنا ذلك أم لا، وفي معظم الأسبوعين الأولين، لم نحبها على الإطلاق. بدا الناس باردين وغير ودودين، وليس مثل اليونانيين المضيافين الذين التقينا بهم في كيفالونيا.

كنا في جزيرة كريت قبل أربعة أيام من مغادرتنا هيراكليون للمرة الأولى، حيث استقلنا الحافلة إلى أجيوس نيكولاوس، المدينة الكبيرة التالية إلى الشرق. لقد قيل لنا إنها أجمل مدينة في جزيرة كريت، ولكن ما رأيناه من خلال الضباب والمطر كان عبارة عن فيلات سياحية وفنادق خرسانية جديدة تنمو مثل الفطر بين الجبال القاحلة والبحر. عدنا إلى هيراكليون أكثر اكتئابًا من أي وقت مضى. بناءً على اقتراح جيري، استأجرنا سيارة لم نتمكن من تحمل تكاليف استكشاف الجزيرة بشكل كامل، وبعد بضعة أيام من القيادة بلا هدف وصلنا إلى سيتيا، المدينة الواقعة في أقصى شرق الساحل الشمالي لجزيرة كريت، وأحد الأماكن التي زرناها. تم اختيارها عشوائيًا على خريطة الإغاثة الكريتية في مكتب بريد فيسكاردو. بالصدفة وجدنا طريقنا إلى متجر صغير في شارع يواجه الميناء يسمى Sitian Arts.

كان إيوانيس، مالك Sitian Arts، رجل أعمال محليًا، يقدم خدمات سياحية، ويقدم معلومات محلية ويساعد بسخاء أي أجنبي يأتي إلى متجره ويحتاج إلى المساعدة. مثل معظم اليونانيين، كان لدى إيوانيس دائمًا مخططات ومشاريع متعددة تنفذ في وقت واحد لتحقيق إيرادات إضافية. نجح البعض، والبعض الآخر لم ينجح، لكن تفاؤل إيوانيس بشأن مخطط ريادة الأعمال التالي كان لا حدود له.

كانت زوجته جين امرأة إنجليزية من جزيرة آيل أوف مان وتحملت بصبر أي "خطة كبرى" جديدة كان إيوانيس قد بدأ تنفيذها. قامت برسم ألوان مائية جميلة، وأحجار الجزيرة (الحصى المرسومة لتبدو مثل الجزر اليونانية)، والصور على الأواني الفخارية، وكلها تباع في متجر Sitian Arts جنبًا إلى جنب مع الفنون والحرف اليدوية المحلية الأخرى.

مثل كل اليونانيين، وخاصة الكريتيين، كان إيوانيس يعتقد أن الأجانب غير قادرين على إدارة الأمور دون مساعدته، ولا يمكنهم فهم سبب عدم الأخذ بنصيحته دائمًا. وعلى الرغم من ذلك، ظل هو وجين صديقين حميمين طوال فترة وجودنا في جزيرة كريت. خلال تلك السنة الأولى التي كنا فيها مفلسين للغاية، كانت جين تطعمنا في كثير من الأحيان عندما نأتي إلى سيتيا للحصول على الإمدادات، وتطبخ وجبات غداء رائعة في شقتهم المطلة على الميناء.

العثور على منزل

بعد أسبوع من وصولنا إلى سيتيا، وبمساعدة إيوانيس، وجدنا منزلًا مستأجرًا يمكننا تحمل تكلفته في قرية تدعى أجيا فوتيا (وتعني "النار المقدسة")، على بعد عدة أميال شرق المدينة على طول الطريق الساحلي المؤدي إلى فاي، وهو شاطئ مشهور. لوجود غابة النخيل الوحيدة في اليونان. وقيل إنها نمت من الحفر التي خلفها القراصنة المغيرون من شمال أفريقيا قبل قرون.

لم تكن أجيا فوتيا أكثر من مجرد مجموعة من المنازل على أحد التلال المطلة على البحر، وتقع أسفل المنحدرات الشاهقة التي كانت تمثل الطرف الشرقي لسلسلة من الجبال التي شكلت العمود الفقري للجزيرة. وكانت بعض المنازل

لقد بدت قديمة جدًا مثل أكوام من الحجارة المتداعية، بينما كان بعضها الآخر صارخًا وأبيض في حداثتها الخرسانية وكتل الرماد. كانت الألوان هادئة وباستيلًا، ودرجات من اللون الأزرق أو الأحمر أو الأخضر أصبحت باهتة إلى درجة الشفافية تقريبًا مع هطول الأمطار الأولى في العام. كانت المنازل القديمة ذات جدران حجرية جافة بنية طينية ومملوءة بالجص الترابي. ولكن في أوائل الصيف عندما يكون معظم القرويين

بعد أن تم تبييض منازلهم حديثًا، تغيرت هذه الجدران القديمة نفسها بين عشية وضحاها لتتألق باللون الأبيض اللامع في ضوء الشمس الكريتي القاسي.

كانت هناك منازل ذات أسطح ترابية ومنازل ذات أسطح خرسانية، ومنازل تم وضع الخرسانة فوق أسطحها الترابية لسد الفجوة حيث كان إطار الخيزران والأوراق الذي يدعم السقف الأرضي ينهار. كانت العديد من المنازل الخرسانية الأحدث فارغة، حيث كان أصحابها في أثينا أو هيراكليون أو في أراضٍ أخرى، في حين أن بعض المنازل التي لم تكن تبدو أفضل من الأنقاض كانت تؤوي أزواجًا كبارًا في السن يعيشون في غرفة واحدة وسط خليط من الجرار والأكياس والأدوات. هؤلاء النساء، اللاتي غالبًا ما ينحنين تقريبًا مع التقدم في السن ويرتدين ملابس سوداء دائمًا، نادرًا ما يغامرن بالخروج من أبوابهن المظلمة بينما كان أزواجهن الأكبر سنًا يسيرون بألم عبر القرية لشرب النبيذ في المقهى.

كان هناك شارع رئيسي من الخرسانة المخلوطة يدويًا يمر عبر وسط القرية، حيث كان يوجد المقهيان اللذان يخدمان حوالي عشرين عائلة تعيش في أجيا فوتيا. كان أقدمها على الجانب الآخر من الشارع من منزلنا، صغيرًا ومظلمًا وقديمًا، وله ألواح أرضية متآكلة بشدة. حتى في ألمع أيام الصيف، كان الجو كئيبًا دائمًا في الداخل. أي ضوء يأتي من خلال مصاريع مفتوحة تواجه البحر لم يكن كافيا لرفع الظلام. كان هناك مصباح واحد مكشوف يتدلى من السقف، وكانت رائحة الخشب والنبيذ والزيتون. كان ماركو، الرجل الذي كان يملك هذا المقهى، كئيبًا مثل المكان الذي يديره. كان خاليًا في معظم الأوقات باستثناء رجل عجوز يجلس بصمت على كرسي مقابل الحائط، وينظر من خلال الباب المفتوح إلى الشارع، ولكن في بعض الأحيان كان هناك رجال أصغر سنًا، يجلسون بشكل عرضي على طاولات مليئة بأطباق الخبز المجفف. وجبن الفيتا والزيتون وزجاجات الراكي الصغيرة، وهي الروح النارية التي يقطرها القرويون كل خريف من قشور العنب المخمرة المتبقية من عصر النبيذ الصيفي. وفي الصيف، تم سحب الكراسي إلى الشارع وجلس الرجال وظهورهم إلى جدار المقهى لمشاهدة

تمر القرية.

كان المقهى الآخر في أعلى القرية، عبارة عن غرفة واحدة كبيرة ذات سقف مرتفع جدًا وجدران متباعدة جدًا بحيث لا تحتوي بشكل مريح على الطاولات والكراسي التي تصطف على جدرانها. حتى عندما تكون الطاولات ممتلئة، كانت تتضاءل أمام حجم الغرفة. وكان هذا المقهى الجديد حيث واحد من

احتلت أجهزة التلفاز القليلة الموجودة في القرية مكانًا مشرفًا على رف خشبي فوق المنضدة. كانت الغرفة في معظم الأمسيات مملوءة بشباب القرية الذين يتجمعون لمشاهدة القناة التليفزيونية الوحيدة المتوفرة. كوستا وزوجته، التي كانت ضخمة ومستديرة، إما شرسة أو مبتسمة حسب مزاجها، كانا يديران هذا المقهى معًا. وكان أيضًا متجر القرية وهاتف القرية. عندما تلقى أحد القرويين مكالمة هاتفية، خرج كوستا أو زوجته إلى الشرفة، وهم يصرخون بأسمائهم عبر أسطح المنازل لاستدعائهم عبر الهاتف.

في أعلى القرية مباشرة، حيث كان طريق الحمير يقود عبر بساتين الزيتون نحو القرى الجبلية الأبعد (مسافة ثلاث سجائر وفقًا لقياس المسافة التي تستخدمها القرية) كانت توجد كنيسة القرية، الجديدة والمغسولة باللون الأبيض حديثًا. وبجانبه كانت هناك مدرسة مكونة من غرفة واحدة أعيد افتتاحها للتو بعد عدة سنوات من الإهمال. كان عدد الأطفال الذين يعيشون في القرية عندما كنا هناك أكبر مما كان عليه الحال منذ سنوات عديدة. بينما كانت العديد من القرى الكريتية تفقد عدد سكانها، كانت أجيا فوتيا تنمو مرة أخرى.

كان لدى العديد من المباني القديمة أفران خارج أبوابها مباشرة، وكانت أشكالها الضخمة من الحجر والأسمنت تفتح على مساحات داخلية واسعة تشبه خلية النحل حيث تم إشعال النار في الفرشاة وخشب الزيتون وتركها لتحترق. فقط بعد إزالة الرماد، يتم وضع الخبز أو أطباق اللحوم بالداخل، ويتم سد الفتحة بصفيحة حديدية سوداء للحفاظ على الحرارة. في أيام الأعياد، عندما كانت القرية بأكملها تطبخ، كانت الشوارع مليئة برائحة الخبز ولحم الضأن المشوي. كان بالقرية عدة معاصر نبيذ. خزانات خرسانية ضحلة يبلغ طولها من ستة إلى ثمانية أقدام وعرضها نصفها، مع وجود أنبوب في نهايته يمكن أن ينفد من خلاله العصير أثناء الضغط، ليتم جمعه في جرار طينية كبيرة. كانت الحمير والماعز تمر باستمرار ذهابًا وإيابًا في الشارع الرئيسي؛ كانت الدجاجات تركض نحو المنازل المدمرة، والكلاب تنبح أو تتسلل بعيدًا عند الاقتراب منها، باستثناء جرو أبيض وأسود متذبذب في الشارع من منزلنا اندفع بجنون خارج باب منزله لتحية كل من مر بجانبه. كانت هذه قرية أجيا فوتيا، وهي قرية مثل آلاف القرى الأخرى في جزيرة كريت، والتي كانت موطننا للسنوات القليلة التالية.

كان منزلنا الصغير والبدائي يقع في وسط القرية، وكان به غرفة رئيسية واحدة فقط بها موقد حطب صدئ وفرن واحد.

حنفية الماء البارد؛ المياه الجارية الوحيدة في المنزل. كانت هناك غرفة داخلية أصغر بلا نوافذ حولتها فيما بعد إلى غرفة العمل الخاصة بي، حيث قمت بإنشاء مكتب للكتابة من الكتل الخرسانية وقطع صغيرة من الأخشاب الطافية التي تم جمعها من شاطئ قريب. كان الفناء الأمامي الصغير المواجه للشارع يحتوي على زهور إبرة الراعي الحمراء الزاهية في علب صدئة ومقعد حجري به ثقب في وسطه، متصل بأنبوب صدئ بالمجاري التي تصب في واد أسفل القرية. يؤدي درج خارجي مطلي باللون الأخضر من هذا الفناء إلى شرفة وغرفة نوم تطلان عبر أسطح القرية على البحر، على بعد عشر دقائق سيرًا على الأقدام عبر بساتين الزيتون وكروم العنب. كان المنزل يكلفنا أقل من 40دولارًا شهريًا، وكان مزودًا بالكهرباء ولكن بدون مرحاض، فقط فتحة في المقعد الحجري الذي كان على مرأى ومسمع من الشارع وجميع جيراننا.



الأغنام والرعاة

طوال معظم عامنا الأول في أجيا فوتيا، كانت حياتنا مرتبطة بشكل وثيق بالأغنام. من أوائل الأشخاص الذين أظهروا فضول القروي اليوناني الذي لا يشبع تجاه أي شخص مختلف كانت أسبازيا، زوجة الراعي المحلي. بعد وقت قصير من انتقالنا إلى منزل قريتنا، جاءت دون أن تتم دعوتها لتشاهدنا بذهول شديد ونحن نطلي الغرفة الأمامية، ونمسح بأصابعنا كل أغراض جيري، ونبحث في الخزائن لترى ما أحضرناه، ونسأل عن السعر واستخدامات جيري. أي شيء أثار اهتمامها.

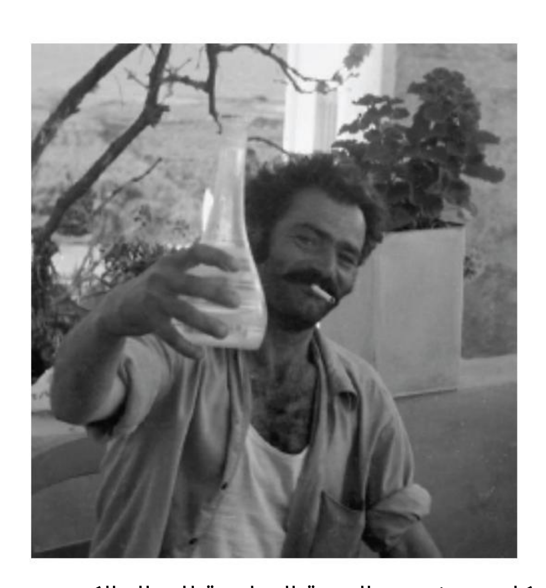
وصل معها أطفالها الأربعة، ثلاثة منهم في سن كافية للتحديق بفضول مماثل في الغرباء الذين جاءوا للعيش في قريتهم.

الأصغر، أصغر من أن يكون له اسم ويطلق عليه اسم "الطفل" فقط حتى بعد ذلك

كان المعمودية يتقرقر ويبلل نفسه، لكنه لم يُظهر سوى القليل من الاهتمام بوجودنا.

ومع مرور الأسابيع، نشأت صداقة غير متوقعة بين أسبازيا وزوجتي. لم يتحدث أي منهما كلمة واحدة من لغة الآخر، لكنهما كانا يفهمان بعضهما البعض بطريقة ما، ويتحدثان بلغة خاصة بهما تتكون في الغالب من الضحك. كنا نمر بأغنامها تقريبًا في كل مرة نسير فيها مسافة ثلاثة أميال إلى سيتيا للحصول على الإمدادات، وكان القطيع ينتشر على طول الطريق الساحلي، أو أسبازيا أو أحد الأطفال الذين يجلسون في ظل شجرة زيتون ويرمون صخرة بين الحين والآخر دون أن يخطئوا. الدقة للحفاظ على القطيع معًا.

في المساء، غالبًا ما كانت أسبازيا تدعونا إلى منزلها عندما كانت تصنع الميزيثرا ، وهو جبن الغنم الغني الذي يتميز بخفته اللذيذة وقشوره. كانت النار مشتعلة بين كتلتين خرسانيتين أمام منزلها، حيث كان يوجد وعاء كبير مسود بالسخام يُسكب فيه الحليب الطازج ويُسخن. تمت إضافة المنفحة، وفصل الخثارة، ثم قامت أسبازيا بغرف الخثارة في مناخل كبيرة مغطاة بالشاش. كان هذا عمل المرأة وساعدها جيري بالضغط على الشاش، والضغط على السائل الزائد حتى يبقى الميزيثرا فقط. جلس الرجال، أنا وزوجها إرنستيس، ونراقبنا ونحن نشرب الراكي الناري الذي تقطره القرية كل عام من المعاصر المتبقية من صناعة النبيذ بعد حصاد العنب.



كانت هذه هي المهنة المناسبة للرجال الكريتيين.

لم نفلت أبدًا دون أن يُعرض علينا طبق مليء بالتختر الدافئ، منزوع الدسم مباشرة من أعلى المرجل. لقد أحبتها جيري، لكنني وجدتها لا تطاق، إذ كانت تسترجع ذكريات بودنغ الأرز في المدرسة الداخلية. في البداية حاولت إجبارهم على النزول، حيث حذرني صديقنا إيوانيس من سيتيا من عدم الأدب أن أرفض مثل هذه العروض من القرية.

تبين أن هذا كان خطأً حيث ظهرت طبق آخر ممتلئ بمجرد أن أصبح الأول فارغًا. من الممكن رفض الضيافة الكريتية ولكن يجب على المرء أن يكون حازمًا للغاية وأن يشرح رفضه بطريقة تجعله يضحك؛ لقد قمت بإلقاء النكات حول وجبات المدرسة الداخلية الإنجليزية. منذ ذلك الحين، كانت أسبازيا تقدم الخثارة إلى جيري كلما صنعت الميزيثرا ولكنها وجدت شيئًا آخر لي؛ عادة ما تكون غير شهية على حد سواء.

في البداية كان تعاملنا مع الأغنام غير مباشر؛ يتم استدعاؤنا لتذوق لحم خروف مذبوح حديثًا، أو تصل إحدى البنات وهي تحمل قطعًا من الميزيثرا الطازجة أو إبريقًا من حليب الأغنام. قطتنا كوليت، التي اعتادت على حليب البقر الإنجليزي المتجانس، سرعان ما أصبحت مدمنة على حليب الأغنام. وعندما تعرفنا على أسبازيا وزوجها بشكل أفضل، أدركنا كيف سيطر إيقاع الأغنام على حياتهما. في السادسة صباحًا من كل يوم، شتاءً وصيفًا، كانوا يتواجدون عند حظيرة الأغنام الواقعة أسفل القرية التي تقضي فيها الأغنام ليلتها، من أجل الحلب. نفس الشيء كل مساء، أفرغ الحليب في ممخضة بلاستيكية كبيرة ليُترك بجانب الطريق لتجميعه بواسطة شاحنة قادمة من سيتيا.

وبين حلب الصباح والمساء، كانت الأغنام ترعى بحرية عبر الريف المحيط بالقرية، تحت حراسة فرد أو أكثر من أفراد الأسرة.
في أغلب الأحيان كان هذا هو إرنستيس، بحذائه الأسود الذي يصل إلى فخذه وفخاره الثقيل، يترك أغنامه تتجول عبر الأرض، يقودها أربعة أغنام جرسية، وبعض الكلاب الأجرب، والحجارة التي كان يرميها بدقة أظهرت مدى الحياة يمارس. في بعض الأحيان كانت أسبازيا تتبع الأغنام، وإذا كانت ترعى بالقرب من القرية، فإن والدها العجوز ذو الأسنان المتعرجة أو أحد الأطفال الأكبر سنًا يتولى مهمة الحراسة بعد عودتهم من المدرسة في سيتيا. ثم كل مساء كان هناك جبن الميزثرا والفيتا لتصنيعهما وتعبئتهما. في العديد من الليالي، خاصة عندما يكون الطقس ممطرًا وعاصفًا، كان إرنستيس يبقى بالخارج مع الخراف، وقارورة من الراكي مدسوسة في حقيبة الكتف التي كان يحملها دائمًا حول رقبته.



لم تتوقف أسبازيا عن العمل أبدًا، ومع ذلك كانت ظاهريًا سعيدة دائمًا، تضحك، وتبتسم، وتصرخ على أطفالها بتلك الطريقة الفريدة للنساء الكريتيات، انفجار صوتي عالي الطبقة يرتفع في درجة الصوت ومستوى الصوت حتى يتردد صداه في كل مبنى في القرية. حتى بعد العيش في أجيا فوتيا لعدة سنوات، كانت شدة دعوة الأم لطفلها إلى المنزل كافية لدفعني إلى الوقوف.

كل بضعة أسابيع يجب تنظيف الماندرا. كان هذا عملاً مضنيًا، كما اكتشفنا بعد أن طلب جيري ببراءة من أسبازيا بعضًا من فضلات الأغنام لاستخدامها في الحديقة خارج القرية حيث بدأنا في زراعة خضرواتنا. قالت: "بالطبع".

"غدًا سنقوم بتنظيف الماندرا ويمكنك أن تساعد نفسك بقدر ما تريد." لذلك، في الساعة 6 صباحًا من صباح اليوم التالي، انضممنا إلى أسبازيا وابنها كوستي البالغ من العمر أربع سنوات وحمارهما وانطلقنا نحو الماندرا بالمجارف وعربة يدوية لجمع فضلات الأغنام. كان الضوء بالكاد عندما غادرنا القرية، ولكن بينما كنا نسير نحو البحر، أشرقت الشمس من خلف الجبال وتوهج الريف بضوء ذهبي. لقد كان الشيء الجميل الوحيد الذي رأيناه لعدة ساعات.

كانت المندرات عبارة عن سياج دائري مصنوع من الصخور والشجيرات الشائكة، وهو كبير بما يكفي لاستيعاب أكثر من ضعف ما تمتلكه الأسرة من خروف يبلغ عدده 120 خروفًا. كان تنظيفه يعني تجريف فضلات الأغنام وطبقة رقيقة من الأرض في أكوام داخل المندرات، ثم نقلناها بعد ذلك بواسطة عربة اليد إلى أكوام أكبر خارج الجدران حيث تُركت هناك.

الطقس في كومبرا، أفضل الأسمدة الطبيعية في العالم. طوال الصباح كنا نكشط ونجرف ونحمل العربات ذات العجلات، بينما كان كوستي البالغ من العمر أربع سنوات يركب عربة اليد مثل عربة حربية، جاثمًا عاليًا على جبل من روث الأغنام. لقد اكتسبنا جميعًا بسرعة رائحة الأغنام النفاذة.

وبعد ساعات من العمل تحت أشعة الشمس الحارقة، أصبحت الماندرا نظيفة.
كان كوستي، وهو يحمل عربة اليد بيديه، مغطى من الرأس إلى القدم بغبار جاف من فضلات الأغنام. لم نكن أنا وجيري أفضل حالاً بكثير، فذهبنا إلى البحر أسفل أشجار الماندرا للسباحة السريعة. كنا مرهقين، ولكن عندما حملنا الحمار بكيسين ضخمين من الكوبرا الثمينة لحديقتنا، كانت الجائزة تستحق الجهد المبذول.

وسرعان ما تعلمنا ألا نحكم على القرويين الكريتيين بالمعايير الأمريكية أو الإنجليزية. إن الزائر العادي الذي يرى عائلة أسبازيا في منزلهم البسيط وينظر إلى حالة ملابس أطفالهم قد يعتقد أنهم فقراء. ومع ذلك، وفقًا لمعايير القرية، كانوا في وضع جيد نسبيًا. كان لديهم حديقة لزراعة الخضروات التي يحتاجونها والأغنام لتوفير الحليب والجبن والصوف واللحوم. كما أن بيع الحليب والجبن أعطاهم المال لشراء الأشياء التي لم يتمكنوا من زراعتها أو صنعها بأنفسهم.

ومع ذلك، كان الوجود لا يزال توازنًا محفوفًا بالمخاطر، كما أدركنا بعد أن مات أحد كباش إرنستيس الحائزة على جائزة في قتال مع كبش آخر. لقد كان كبشًا صغيرًا، يستحق الكثير من المال، وتجول إرنستيس حول القرية لمدة ثلاثة أيام في سحابة سوداء، دون أن يلاحظ أحدًا يمر به، وقضى ساعات جالسًا بمفرده في المقهى يشرب كأسًا تلو الآخر من الراكي. حاولت أسبازيا، وهي تخبرنا بما حدث في منزلها تلك الليلة، أن تكون شجاعة وظلت تقول den peirázei، وهي كلمة يونانية تعني "لا يهم"، لكنها انفجرت بعد ذلك في البكاء وبكت على كتف جيري. كانت أجيا فوتيا توضح لنا مدى قرب العديد من القرويين الذين يعيشون من الحافة؛ وسرعان ما تحول محصول زيتون واحد سيئ أو فقدان الماشية والوفرة إلى ندرة.

حتى هذه اللحظة لم نكن منخرطين جسديًا في رعاية الأغنام على الرغم من أن أدلتها كانت موجودة في كل مكان حولنا، بدءًا من إيقاع حياة أسبازيا وحتى الرائحة التي لا لبس فيها والتي كانت تلتصق باستمرار بملابس أطفالها. لكن سرعان ما أخذت الأغنام دورًا أكثر أهمية في حياتنا.

في جزيرة كريت، كان وقت جز الأغنام حدثًا مهمًا للغاية، كما حدث في أسبازيا

كنا نتحدث منذ أسابيع عن العيد، الحفل الذي سيتبع عملية القص.

تم تأجيل الحدث عدة مرات بسبب الطقس البارد غير المعتاد، ولكن أخيرًا وصل اليوم، صافيًا وحارًا. كان والدا جيري يزوراننا منذ بضعة أشهر، ويقيمان في فيلا سياحية صغيرة تقع أسفل القرية مباشرةً، ويقودان سيارة سيتروين فرنسية صغيرة. نحن الرجال -إرنستيس، وشقيقه تيتو من الطرف الآخر من الجزيرة، والجد ذو الأسنان المعوجة، وأنا ورجل عجوز من البتراء أعلن بفخر بابتسامة بلا أسنان أنه يبلغ من العمر 84 عامًا -اجتمعنا في الماندرا. جيري ووالداها ومعظم الأطفال وأسبازيا حملوا سيارة السيتروين بالطعام والنبيذ، وشقوا طريقهم عبر المسار الترابي الحجري نحو البحر والماندرا، وكانت زنبركات السيارة الصغيرة المثقلة بالحمولة تشكو من كل عثرة.

كانت ظروف القص بدائية بشكل مثير للدهشة. كان كل جزاز يحمل زوجًا من ماكينة الحلاقة اليدوية القديمة والصدئة. كان تيتو هو الصياد، وكان إرنستيس وصديقه والرجلان العجوزان هم الجزازين، بينما كان الأطفال يركضون في الأنحاء بحماس ويعترضون الطريق. كانت هناك فترة توقف قصيرة بينما كان إرنستيس ينتقل من رجل إلى آخر، ويعطي التعليمات النهائية. تم وضع برميل من الماء خارج جدران الماندرا، وتم وضع أباريق الراكي بالداخل في متناول اليد، وتم وضع الخيار على بطانية مع سكاكين قريبة للتقشير والتقطيع السريع. كانت وظيفتي هي مساعدة تيتو في عملية الصيد، وانتشال الأغنام من القطيع وسحبها إلى حيث كان الجزازون ينتظرونها.

ابتسم الرجل العجوز من البتراء وحاول التحدث معي باللغة الألمانية. قام إرنستيس بتزييت مقصه ثم انطلقنا.

سرعان ما اتخذ القص روتينًا عشوائيًا ولكنه عملي. كنت أنا وتيتو نمسك بكل خروف ونحمله أو نسحبه إلى أحد الجزازين الذي كان يربطه بسرعة قبل أن يقطع الصوف السميك الزيتي. وسرعان ما بدأت المقصات القديمة تظهر عمرها حيث تفككت واحدة تلو الأخرى. حاول العمال عبثًا ربط الصواميل بأصابعهم، فأرسلت أحد الأطفال إلى منزلنا من أجل كماشة، ثم استمر العمل

على قدم وساق.

طوال الصباح، نمت كومة الصوف المقطوع في زاوية الماندرا. كان العمل حارًا وشاقًا، حيث استغرق كل جزاز حوالي خمسة أشخاص

دقائق لإنهاء الأغنام. وعادل الرجل البالغ من العمر 84 عامًا إرنستيس في سرعة عمله. بين اصطياد الأغنام، كنت على استعداد لتقطيع الخيار وسكب الراكي للعمال العطشى. ثغاء الخروف، ونهق الحمار خارج المندرات، وصرخ الأطفال في حماسة، وفي مكان ما على مسافة كان هناك كلب ينبح. لكن الصوت الوحيد داخل المندرات كان صوت قص المقصات والغمغمة بين الحين والآخر والتعليمات الموجهة إلى تيتو أو إلي لإحضار خروف آخر. كان الجو حارا ومغبرا، والهواء مليئا برائحة العرق والأغنام.

وصلت أسبازيا وجيري ووالداها في منتصف النهار مع بقية الطعام وبدأت وليمة قص الشعر على الأرض خارج الماندرا. كانت هناك أباريق من نبيذ القرية المحلية ولحم الضأن المشوي الطازج والجبن والكثير من خبز القمح الكامل الداكن المخبوز في أفران القرية في الهواء الطلق. وصل المزيد من الأشخاص للانضمام إلى المهرجان، بما في ذلك زوجان مسنان من سيتيا. لم يفهم أصدقاؤنا في القرية أبدًا لماذا لم ننجب أنا وجيري أطفالًا، لذا ظلت المرأة العجوز، وهي عجوز شريرة تتمتع بروح الدعابة التي من شأنها أن تنسب إلى رجل لندني فاسق في القرن السابع عشر، تسحبني من يدي إلى حيث كان الكبش يركب أحد الأغنام، مما يقترح عليّ أن آخذ جيري إلى الشجيرات وأفعل الشيء نفسه. قالت وهي تضحك: "انظر، هذه هي الطريقة للقيام بذلك. هذه هي الطريقة التي ننجب بها الأطفال."

واستمرت الوليمة بينما أفرغت زجاجات النبيذ ونام الرجل البالغ من العمر 84 عاما تحت أشعة الشمس، وكان فمه نصف المفتوح لا يزال مليئا بلحم الضأن الممضوغ جزئيا.
تم جمع بقايا الطعام واستدعى إرنستيس فريقه للعودة إلى العمل. لكنها سارت بشكل أبطأ الآن. الجزازون ممتلئون بالنبيذ والطعام ويتحركون مثل فيلم يتم عرضه بالحركة البطيئة. نام العجوز من البتراء على مقصه، يقص لفترة قبل أن تغمض عيناه ويبقى المقص متجمداً في منتصف المقطع. استلقى الخروف يلهث بلا حراك، وعيناه تتدحرجان حتى استيقظ الرجل العجوز واستأنفت المقص سرعتها الفخمة. تركتهم يعملون بنعاس خلال حرارة الظهيرة وذهبت للسباحة في المحيط. بحلول الغسق، تم جز 120 خروفًا وإرسال الصوف إلى سيتيا لغسله، بينما استقر إرنستيس المنهك وشقيقه في المقهى المقابل لمنزلنا للحصول على المزيد من الراكي.

مع قدوم الصيف، أصبح تعاملنا مع الأغنام حدثًا يوميًا تقريبًا. عندما أصبحت الأرض المجاورة للبحر بنية وجافة، أخبرنا إرنستيس أن الوقت قد حان لنقل أغنامه إلى مراعيها الصيفية فوق روسوس إغليسيا، وهي قرية تقع في الجبال فوق أجيا فوتيا حيث يكون المرعى جيدًا طوال العام. ولكن أولا كان لا بد من غمس الأغنام.

لقد فكرت في غمس الأغنام كعملية شبه علمية تستخدم مواد كيميائية وغطسات خاصة لتخليص الأغنام من القراد والذباب والطفيليات الأخرى، لكن في قريتنا كان الأمر يقتصر على دفع الأغنام إلى المحيط. في البداية، تم تجميع القطيع على الشاطئ أسفل أجيا فوتيا حيث منعهم كهف طبيعي في الوجه الصخري من المضي قدمًا. لقد جردنا أنا وإرنستيس وجيري من ملابس السباحة بينما وقفت أسبازيا والأطفال ووالدا جيري الذين طالت معاناتهم للحراسة بالعصي لمنع الأغنام من العودة إلى الطريق الذي أتت منه.

ثم قمنا نحن الثلاثة بغسل 120خروفًا. يتضمن ذلك انتزاع كل خروف من القطيع، عادة من رجله الخلفية، وسحبه بعيدًا عن رفاقه حتى يتمكن الشخص من الإمساك به بشكل صحيح. ثم نحمل كل حيوان إلى عمق أربعة أقدام من الماء، ونخفضه عدة مرات، ونفرك الصوف بأصابعنا، ونزيل أي ذباب أو قراد ظهر، وأخيراً نترك الحيوان يسبح عائداً إلى الشاطئ حيث خرج من الماء. الثغاء بشدة للانضمام إلى زملائها. كانت بعض الأغنام سلبية، مما يسمح لأنفسها بالخروج بهدوء إلى الماء ولم تكافح إلا قليلاً عندما تم دفع رؤوسها تحت الماء. وكان آخرون مقاتلين، يركلون ويكافحون في كل شبر من الطريق. يمكن قيادة البعض عن طريق القرن أو الأذن، والبعض الآخر يجب جرهم من أرجلهم الأمامية، وقليل منهم يقاتلون بشدة لدرجة أنه لا بد من حملهم جسديًا إلى المحيط. إن مصارعة نعجة يبلغ وزنها 100رطل في أربعة أقدام من الماء ضد إرادتها هي تجربة لا تنسى.

مع استمرار غمس الأغنام، بدأت الأغنام على الشاطئ تشعر بالاضطراب. بدأ قائد القطيع -أحد خروف الجرس -يتطلع إلى طريق الهروب على طول الشاطئ. وكان حماي فقط هو الذي يحرسها؛ عقيد متقاعد بالجيش الأمريكي بدا في غير مكانه وهو يرتدي بنطالاً مضغوطًا بشكل أنيق وقميصًا أبيض لامعًا. نظرت إليه النعجة باشمئزاز، ووقف على الأرض ممسكًا بالعصا. وأخيراً اتهمت النعجة. من البحر نحن

وشاهدت جهوده اليائسة وغير الفعالة لإرجاعها؛ ثم انتهت من اتباع العديد من القطيع لها. ساد الهرج والمرج لفترة من الوقت حيث ركض جميع الموجودين على الأرض لإبعاد الأغنام الراكضة وإعادتها إلى مدخل الكهف. عندما تم استعادة النظام أخيرا، أخذ والد جيري مكانه مرة أخرى. من النظرة الواضحة في عينيه، عرفت أنه من المستحيل أن يتمكن أي خروف من تجاوزه مرة أخرى.

ومع استمرار الغسيل خلال الصباح، كانت المياه التي كنا نعمل فيها ذات لون بني موحل، وبقعة داكنة تنتشر أكثر فأكثر في البحر. جاءت الأغنام إلى ما لا نهاية وحتى في الماء كنا نتصبب عرقاً. بينما كنا نغسل الأغنام الكبيرة، كان كوستي البالغ من العمر أربع سنوات يغسل الحملان، وكان يعاني من مشاكل كبيرة معها كما واجهنا والديها. أخيرًا، بعد ثلاث ساعات من البدء، تم الانتهاء من الأمر، وكانت آخر نعجة نظيفة ورطبة وتمغى حزينًا على الشاطئ. عندها فقط أخذ إرنستيس كبشه إلى الماء وتصارع معه لبعض الوقت، وسحبه إلى الأمام والخلف بينما كان الحيوان يشخر ويحاول أن ينطحه بقرنيه. ثم ذهبنا جميعًا للسباحة الحقيقية، وطفونا بلطف في الماء البارد في أقصى نهاية الشاطئ بعيدًا عن البقعة البنية المنتشرة، وغسلنا العرق ورائحة الأغنام قبل العودة مرة أخرى إلى الرمال حيث وضعت أسبازيا سمكة كريتية. غداء قروي مكون من الخبز وجبنة الفيتا والنبيذ الأحمر القوي. وفي اليوم التالي، قادت العائلة بأكملها قطيعها إلى الجبال حيث سيبقون هناك حتى حلول أول أمطار الخريف.

حياة القرية

لا يوجد شيء أكثر برودة من بلد البحر الأبيض المتوسط في الشتاء. كنا الأجانب الوحيدين على بعد أميال، لذلك تعلمنا بسرعة ما أسماه جيري "يوناني المطبخ"؛ على الأقل تعلم جيري المطبخ اليوناني، ولم تكن اللغات الأجنبية هي جناحي القوي أبدًا. في تلك السنة الأولى، نادرًا ما كنا نغادر زاويتنا الصغيرة من الجزيرة، وكانت الحياة في قرية يونانية صغيرة تتطلب الكثير من التكيف. وسرعان ما اكتشفنا عدم وجود كلمة للخصوصية في اللغة اليونانية؛ الأقرب هو monoxia وهو ما يعني الشعور بالوحدة، وهو أمر يجب تجنبه بأي ثمن. نظرًا لتجمع المنازل معًا على جانب التل، كان الجميع يعيشون على مقربة منهم، وخلال ليالي الصيف الحارة، كانت القرية بأكملها تنام على الأسطح المسطحة لمنازلهم.

كنا نستقر في السرير، وننادي بهدوء؛ "تصبحون على خير، أسبازيا، تصبحون على خير، إرنستي، تصبحون على خير، ماريكا" وجوقة من "كالي نيتشتاساس" تعود إلينا من فوق أسطح المنازل على بعد بضعة أقدام فقط.

في صباح أحد أيام الشتاء قبل الفجر، استيقظت أنا وجيري فجأة على يد أسبازيا، زوجة الراعي المحلي، التي دخلت غرفة نومنا دون سابق إنذار وهزت هيكل السرير، وهي تصرخ "تسيري (لم يتمكن الكريتيون أبدًا من نطق جيري)، يا ليو، هل ستذهب؟" في المدينة اليوم؟ هل ستشتري لي بعض الطماطم؟" أظن أنني توقفت عن تعلم اللغة اليونانية فقط للحفاظ على بعض الخصوصية. مع تحول الأشهر إلى سنوات، لم تستطع القرية أن تفهم لماذا لم ننجب أطفالاً ولم نخجل أبدًا من اقتراح طرق لتصحيح هذا الإغفال.

لا أشك في أن أحد أسباب بقائي أنا وجيري متزوجين بسعادة لفترة طويلة هو تلك السنوات الأولى في جزيرة كريت. لم نتمكن من الهروب من بعضنا البعض. لم يكن لدينا سوى التحدث إلى بعضنا البعض، لذلك لم يكن لدينا خيار سوى الاعتماد على بعضنا البعض للبقاء عاقلين في مثل هذه الثقافة الخانقة.

أي توترات وضغوط موجودة في العلاقة تظهر بسرعة إلى السطح؛ إنه القتل أو العلاج، فإما أن تتعامل معهم أو تنهار العلاقة بسرعة كبيرة. لقد نجا زواجنا من هذه المحنة، لكن علاقات العديد من الأجانب الآخرين الذين التقينا بهم في جزيرة كريت لم تنجح.

لقد بقينا على قيد الحياة دون حمام طوال فصل الشتاء الأول الذي قضيناه في القرية، حيث كنا نفرغ وعاءً في الحفرة تحت جنح الظلام أو نسير لمدة عشر دقائق إلى بساتين الزيتون مثل العديد من القرويين الآخرين. وبما أنني لم أتمكن من الجلوس في وضع القرفصاء، فقد عثرت على صندوق تعبئة خشبي صغير وأحدثت ثقبًا في قاعدته، وهو أمر وجده أطفال القرية مسليًا إلى ما لا نهاية. في كل مرة كانوا يرونني أتسلل خارج القرية ممسكًا بصندوقي ومعزقة لحفر حفرة في التراب الصخري تحت أشجار الزيتون، كانوا يرافقونني لرؤية المرح.

حافظنا أنا وجيري على نظافتنا في الشتاء الأول، عندما كانت جزيرة كريت شديدة البرودة، وذلك بتسخين قدور من الماء على موقدنا الصغير ذي الشعلتين في المطبخ وحملها فوق الدرج الخارجي إلى غرفة النوم حيث كنا نصب الماء الساخن فوقها. بعضنا البعض، على أمل ألا ترانا ماريا -أقرب جيراننا- بينما كان الماء والصابون يتدفق من خلال فتحة أسفل الباب إلى الشرفة الصغيرة المزدحمة بالقرب من سطح ماريا لدرجة أننا

يمكن أن يخطو عبر للزيارة. كان المرحاض المتدفق والدش العامل هو حلمنا الدائم.

ملحمة بو هول

وجاءت الفرصة في وقت مبكر من الصيف التالي عندما وصل والدا جيري في زيارة وأقاما لأكثر من شهر في إحدى الفيلات السياحية الصغيرة الواقعة أسفل القرية مباشرة. كان والد زوجي مهندسًا متقاعدًا في الجيش الأمريكي وارتقى إلى مستوى التحدي المتمثل في تصميم وبناء حمام قريتنا. مع عدم وجود غرفة في المنزل، قررنا أن نبنيه خارج بابنا الأمامي مباشرةً في الفناء الصغير الذي يطل على الشارع. كان يجب أن يكون صغيرًا، مجرد مرحاض ودش ماء بارد وصرف في الأرضية الخرسانية، لكنه سيكون ملكنا. خططنا للقيام بالعمل بأنفسنا باستثناء حفر خزان الصرف الصحي؛ ما يسمى في اليونان vothros ونحن نسميه حفرة البراز. ولأن هذه النفقات كانت باهظة، فقد شعرنا أنها مسؤولية مالك العقار.

لم يكن لدى العديد من المدن اليونانية الكبرى نظام صرف صحي مناسب في السبعينيات، ولم يكن لدى أجيا فوتيا سوى خندق تصريف ذو رائحة كريهة يمتد جزئيًا تحت الشارع الرئيسي الذي يمر عبر بوابتنا ويصب في الوادي أسفل القرية. كان مفهوم نظام الصرف الصحي حيث يمكن ترشيح مياه الصرف الصحي وصرفها بعيدًا إلى التربة المحيطة غير معروف وربما غير عملي في مثل هذه التضاريس الصخرية. وبدلاً من ذلك، كانت الممارسة المحلية هي حفر حفرة كبيرة من الخرسانة في الجوانب وتغطيتها بعد ترك ما يشبه الباب المسحور، المصنوع من الخرسانة ولكن يمكن فصله ببضع ضربات حادة من مطرقة وإزميل. يمكن دفع خرطوم من خلال هذه الفتحة عند الحاجة لامتصاص المحتويات. لقد كان الأمر دائمًا أمرًا باهظ الثمن وذو رائحة كريهة، حيث كان لا بد من استدعاء ناقلة النفط vothros من مسافة حوالي 70 كيلومترًا عند الحاجة.

كان من الواضح لنا أن فتحة البراز يجب أن تكون كبيرة قدر الإمكان للحد من المكالمات المتكررة والمكلفة للناقلة vothros .

لسوء الحظ، لم يتمكن مالك المنزل من رؤية ما هو واضح وكان أيضًا كريتيًا، أي عنيدًا كالبغل. في اليوم الذي كان من المقرر أن يبدأ فيه وضع حجر الأساس، وصل مع صديق واحد وبدأ في مهاجمة الخرسانة في الفناء الأمامي لدينا بمطرقة ثقيلة. وتلا ذلك ساعات عمل مؤلمة، وتم استهلاك كميات كبيرة من الراكي، وفي النهاية حدث فجوة

فتح ذلك أصبح الآن يشكل خطرًا خطيرًا على كل من يعبر من بوابتنا الأمامية إلى بابنا الأمامي.

تجولت أنا وجيري ووالدها حول الحفرة، ونظرنا إليها من كل زاوية، وحاولنا إقناع المالك بأنه لم يبنيها في أسوأ مكان ممكن فحسب، بل أسفل المكان الذي سنحتاج إليه لاحقًا لبناء الحمام. ، ولكن أيضًا كان صغيرًا جدًا. وكما قال أحد جيراننا بيانياً: "سوف يمتلئ المكان بضربتين جيدتين".

لا يهم. هز مالك المنزل رأسه، ولوح بذراعيه، وابتسم ابتسامة عريضة وقلّد أن كل شيء سيكون على ما يرام، وسيقوم بتركيب أنبوب مخرج من الخزان مباشرة في نفس المصرف المفتوح الذي يستقبل بانتظام محتويات دلو الليل الخاص بنا. لقد أرعبتنا فكرة تدفق مياه الصرف الصحي في بالوعة مفتوحة في وسط القرية. كان الدلو الليلي شيئًا ولكن محتويات حفرة البراز بأكملها كانت شيئًا آخر تمامًا. لا يهم؛ هز مالك المنزل رأسه، ولوح بذراعيه، وابتسم ابتسامة عريضة، وكرر مرة أخرى أن كل شيء سيكون على ما يرام. كيف؟ ببساطة، كان يضع الخرسانة فوق البالوعة خارج بوابتنا. الآن عرف وعرفنا أن هذا المصرف الوحيد المفتوح كان متصلاً بالعديد من المصارف المفتوحة الأخرى التي كانت تجري بلطف إلى أسفل التل لنحو خمسين ياردة قبل أن تصب في الوادي المشجر الصغير حيث تنقر الدجاجات، وتربط الماعز، ويلعب الأطفال، وصاحب أقرب منزل. قام المنزل بمعظم طبخها الصيفي.

استيقظت القرية.
وكانت الشوارع مليئة بالأصوات المرتفعة في الجدال العالي؛ تجمع السكان المحليون حول الحفرة ونظروا إلى داخلها، ونظروا إلى جزء كبير من الأنابيب التي تم تركيبها بالفعل. إلى القرية، هز مالك المنزل رأسه، ولوح بذراعيه، وعاد إلى هذه الفوضى مرة أخرى. بالطبع لم يكن ينوي تفريغ مياه الصرف الصحي الخام في البالوعة؛ كان الأنبوب مجرد مصرف لأرضية الحمام الذي كان على وشك الإنشاء. أوه!

هدأت القرية وهي تغلي بلطف. كان مالك المنزل معروفًا بمثل هذه الحيل. عندما كان يعيش في المنزل الذي استأجرناه الآن، أراد أن يفتح نافذة جديدة في مطبخه، مباشرة على الفناء الأمامي لجارتنا ماريا. وبما أن هذا يعني أنه سينظر مباشرة إلى غرفة معيشتها على بعد ستة أقدام فقط، رفضت ماريا بطبيعة الحال. تراجع مالك المنزل، وانتظر حتى ذهبت ماريا بعد ذلك إلى أثينا وطرقت النافذة

من خلال على أية حال. أمر واقع؛ اشتعلت الأعصاب واهتزت قبضات اليد لكن الفعل تم.

هذا هو السلوك المعتاد في جزيرة كريت حيث عادة ما يكون العمل المباشر هو أفضل وسيلة للالتفاف على حواجز الطرق البيروقراطية. من المفترض أن تحصل على تصاريح البناء للبناء أو إعادة الإعمار؛ إذا لم يكن لديك تصريح بناء ووصلت الشرطة قبل بناء السقف، فيمكنهم إجبارك على هدم المبنى المخالف. ولكن بمجرد الانتهاء من السقف، يكون قد فات الأوان؛ الأمر الواقع هو أن المبنى يبقى. لذا فإن القرويين الكريتيين الذين يقومون ببناء منزل جديد يرمون جدرانًا من الطوب ويضعون أي سقف قديم فوقه. وبمجرد أن يصبح المبنى الخاص بهم آمنًا من التدمير القانوني، يعودون في أوقات فراغهم لإحداث ثقوب في الجدران للأبواب والنوافذ.

إن الكذب أمر طبيعي عند الكريتيين كما هو الحال عند الإنجليز عند الحديث عن الطقس؛ انها في دمائهم. على الرغم من أن مالك المنزل وعدنا بعدم فتح الأنبوب، إلا أن كل فرد في القرية كان يعلم أنه يكذب؛ لم يكن لديه أي نية للقيام بالعمل الإضافي اللازم لتوسيع فتحة البراز. لفترة من الوقت كان هناك طريق مسدود، بينما وجد الأطفال المحليون الحفرة إضافة رائعة لمرافق اللعب في القرية. نادرًا ما كنا نتأرجح بشكل غير مستقر عبر الألواح الخشبية التي تم وضعها من الباب إلى البوابة، ولم نجد ثلاثة أطفال صغار على الأقل يلعبون تحتها. في إحدى المرات، استيقظنا من قيلولتنا بعد الظهر على فيضانات دموع طفل يبلغ من العمر عامين يعاني من سيلان مستمر في الأنف، وكان قد أسقط دراجته ثلاثية العجلات في الحفرة. لقد ذهب بشجاعة لإنقاذه؛ الآن كان لا بد من إنقاذه هو والدراجة ثلاثية العجلات من الأعماق الغامضة.

وصل المعلم (خبير الخرسانة) بعد بضعة أيام لتجهيز الخزان بالخرسانة حتى نتمكن من البدء في بناء الحمام. لكن المعلم أصر على وضع قالب الباب المصبوب في المكان الذي يجب أن يكون فيه الجدار الرئيسي لحمامنا الجديد. أصررنا، كررنا، حركنا القالب، لكن دون جدوى. وبمجرد أن ابتعدنا عنها، عادت إلى وضعها القديم. عندما أصبحت الخرسانة جاهزة للصب، بذل مالك المنزل جهدًا كبيرًا وخلطها بالمجرفة على الطريق خارج بوابتنا بينما قام المعلم بلصقها على دعامة من الخشب كان قد وضعها بالفعل. لقد تعلمت الآن الطريقة الكريتية للقيام بالأشياء؛ كما

استمر الصب، وتحركت بسرعة لإعادة ضبط القالب والخرسانة المتناثرة حوله لتثبيته في مكانه. الأمر الواقع!

مازلنا لم نحل مشكلة الأنبوب المتنازع عليه والذي علق في الشارع فوق المصرف المفتوح. لإرضاء غضب القرية، قام مالك المنزل بمواصلة العمل فوق مستوى سطح الأرض حتى لا ينفتح مباشرة في حفرة البراز نفسها ويمكن أن يصبح مصرف حمامنا، لكنه بمكر لم يقم بإغلاق الوصلة الموجودة داخل فتحة البراز . يمكن لكزة جيدة بالعصا من الخارج أن تتدفق مياه الصرف الصحي في المكان الذي يريده بالضبط، من خلال الأنبوب ومباشرة إلى المصرف. ولكن مع الانتهاء من حفرة البراز، تمكنا من البدء في البناء. كان أول إجراء قمنا به هو صب الخرسانة في أنبوب المالك لإغلاقه ثم وضعنا أرضية الحمام في الأعلى. لقد حير هذا مالك المنزل الذي لم يكتشف أبدًا أين ذهب الطرف العلوي من أنبوبه. لاحظته عدة مرات وهو يحدق بحزن في أرضية حمامنا كما لو كان يأمل أن يظهر غليونه مرة أخرى بطريقة سحرية.

لقد ظل بعيدًا أثناء بناء الحمام، لكن القرويين الآخرين كانوا يتجمعون يوميًا، يقترحون ويساعدون وينتقدون ويعترضون الطريق، وكان من الواضح أنهم مندهشون من قدرة الأجانب على فعل أي شيء أكثر من الاستلقاء على الشاطئ. ولكن بمجرد تركيب الكهرباء، ظهر تحدي جديد. قمنا بتعيين سباك محلي للاستفادة من أنبوب الماء البارد الوحيد الذي يغذي مطبخنا قبل أن نكتشف عدم وجود محبس للتحكم في التدفق. من الواضح أن هذه كانت مشكلة قرية عادية؛ دخل السباك إلى منزل جارنا وعاد وهو يرتدي ملابس السباحة.

وبعد دقائق تدفقت المياه في جميع أنحاء الشارع بينما كان السباك يعمل بسعادة وسط هطول الأمطار، بمساعدة الأطفال المحليين الذين كانوا يستمتعون بأكبر قدر من المرح منذ أن تمت تغطية حفرة البراز لدينا.

لقد انتهينا؛ كان لدينا مرحاض دافق، ودش يتم تصريفه في المجاري الخارجية (لا يوجد مكان لمياه الاستحمام في فتحة البراز)، وأصبحت الرحلات العاجلة والخفية إلى بساتين الزيتون شيئًا من الماضي. صحيح أنه لا تزال لدينا بعض التحفظات؛ كم من الوقت سيستغرق ملء حفرة البراز؟ كم سيكلف التفريغ؟ لكن هذه المشاكل كانت تتعلق بالمستقبل، وإذا تعلمنا شيئًا واحدًا خلال الأشهر التي قضيناها في جزيرة كريت، فهو أن نأخذ الحياة يومًا بعد يوم.

لمدة شهرين مجيدين كان كل شيء على ما يرام؛ استحممنا، واغتسلنا، وابتهجنا بحالة دائمة من النظافة، على الرغم من أننا كنا نجد من وقت لآخر حماة مالك المنزل، وهي عنزة نحيلة تبلغ من العمر ثلاثة وثمانين عامًا تدعى كاليوب، ترتدي ملابس سوداء بالكامل، وتبرز من الخارج. من ماسورة صهرها بمقبض المكنسة، محاولاً إزاحة الخرسانة التي وضعناها. ثم تهمس بأن علينا أن نفتح الأنبوب. عادة ما كانت هذه المحادثة تجري بجوار فناء ماريا، وكانت ماريا تحدق في خطواتها وعلى وجهها تعبيرات الاستنكار. لم يزعج كاليوب أبدًا. لقد كانت ضيفة القرية وكان شغل الجميع هو اهتمامها. وبعد بضعة أيام وجدناها تفعل ذلك مرة أخرى، قلقة على الخرسانة مثل كلب عجوز فقد عظمته المفضلة.

وبعد شهرين وقعت المأساة. لقد ضرب بهدوء، بلطف، وتسلل خلفنا بعد أن هدأ لدينا شعور زائف بالأمان. لقد قيل لنا أننا سنعرف متى ستمتلئ فتحة البراز لأن المرحاض سيعود للعمل، لذلك لم نكن مستعدين في اليوم الأول من المأساة. ظهرت بقعة رطبة من السائل بالقرب من درجتنا السفلية، تلك التي تؤدي إلى الطريق.

من الواضح أن شخصًا ما قد سكب بعض الماء، ولا داعي للقلق، ولكن مع ذلك، دخل إلى ذهني "خوف مجهول"، كما وصفه كاتبي المفضل بي جي وودهاوس. في اليوم التالي تأكد الخوف المجهول. كان السائل يتسرب بالتأكيد من بين الدرجة السفلية والطريق، وكانت الرائحة النفاذة تثبت أسوأ مخاوفنا من تسرب البول.

جاءت القرية واستنشقت. نعم، لقد اتفقوا جميعًا على أن فتحة البراز كانت تتسرب. ربما كانت بحاجة إلى التفريغ. ولكن كيف يمكن لخزان خرساني مغلق أن يتسرب إلى الطريق؟ تم استدعاء مالك المنزل، وهز رأسه، ولوح بذراعيه، وابتسم ابتسامته المسننة وأصدر حكمه؛ كان الحمام يتسرب. لقد تم بناؤه بشكل سيء لذا كانت مياه الدش تتسرب من تحت الدرجات. لقد تأثرنا بهذا المثال الإضافي للمكر الكريتي الأصلي. أدى الدش إلى الخارج مباشرة وكان مغطى بالخرسانة. لا يمكن أن تسرب. كما كان للسائل الناتج رائحة واضحة لا لبس فيها من ثقب البراز.

لقد ذهب صاحب المنزل ليفكر في الأمر، وغادرنا المنزل، وكان ذلك خطأً فادحًا. عدت لأجد مالكنا في الحمام. وفي محاولة لإثبات أن الدش هو المشكلة، قام بطرق قضيب فولاذي من خلاله

استنزاف الدش. مثل معظم المصارف، قمنا ببنائها على شكل حرف "U"لإنشاء محبس للمياه. كان مالك المنزل قد دفع القضيب عبر الأنبوب وخرج إلى الخرسانة والأرض تحته. بكل فخر أظهر لنا دليله. سكب الماء في الدش. لم يخرج أي شيء من الأنبوب ولكن بدأ النهر يتدفق على الفور من تحت الدرج.

صرخ منتصرًا: «انظر، لقد كان الحمام.
وقفنا مذهولين. انه حقا لم يفهم ما فعله.
لقد أفسد مصرف الدش وجعل الوضع برمته أسوأ بكثير
دون حل مشكلة حفرة البراز. غضب مالكنا. هل كنا نشكك في حكمه؟ كنا. تجمع القرويون بسرعة، وقام الأطفال بدور منادي المدينة لأي شخص لا يعرف بالفعل أن هناك ترفيهًا مجانيًا في منزل الأجنبي.

وتم استدعاء تعزيزات، بما في ذلك معلم آخر يعمل في منزل مجاور في القرية. كان هذا المعلم ضخمًا وسمينًا، وقضى وقتًا طويلًا في دراسة المشكلة بعناية، وهو يمسح بأصابعه الشعيرات القديمة التي ظهرت من ذقنه. هل كانت حفرة البراز؟ لم يكن هناك سوى طريقة واحدة للتأكد، وهي فتحه ومعرفة ما إذا كان ممتلئًا. ومع بعض المتاعب، تم كسر الفخ الخرساني وانجرفت رائحة الفواكه الغنية عبر القرية، جاذبة مثل الذباب أولئك القرويين الذين لم يشاركوا بالفعل في المناقشة.

أصدر المعلم حكمه. لقد كانت حفرة البراز. بمجرد فتحه، كان ممتلئًا بما يزيد قليلاً عن النصف؛ لا بد أنه يتسرب من خلال صدع في الخرسانة. ارتفعت الأصوات واشتعلت الغضب وانحازت القرية بحماس. ولكن ما الذي يمكن عمله؟ لم يكن من الممكن حفر حفرة البراز وإصلاحها لأن الحمام أصبح الآن مستقرًا فوقها.

في هذه الأثناء، كانت مياه الصرف الصحي تتدفق من قاعدة درجاتنا أسفل الشارع الرئيسي للقرية. لقد اقتنع مالك العقار أخيرًا أن مشكلته هي التي يجب حلها؛ وافق على غير قصد وتبدد الحشد.

انتظرنا لاهثين، متسائلين عما سيحدث. وبعد يومين اكتشفنا ذلك. وصل مالك المنزل ومجموعة من أصدقائه وشرعوا في وضع خطوة أخرى خارج الدرجات الموجودة بالفعل، وسد أي ثقوب قد يتسرب السائل من خلالها. الآن كان هذا تألقًا كريتيًا حقيقيًا. وبما أن الطريق خارج منزلنا كان ينحدر بعيدًا إلى أسفل، فإن

سيستمر التسرب عاجلاً أم آجلاً من الخطوة الجديدة. تم الفوز بالمعركة لكن الحرب استمرت. لقد أصلحت مصرف الدش، وسكبت ما يكفي من الخرسانة لأسفل حتى لا يتم اتهامه بالتسرب مرة أخرى.

ولأسابيع بعد ذلك، كان القرويون الذين يمرون بجانبي يتوقفون للتحديق في الدرجات، ويمكنني أن أتخيلهم وهم يراهنون عقليًا على المكان الذي سيظهر فيه التسرب بعد ذلك. في هذه الأثناء، زادت كاليوب من قلقها بشأن الخرسانة الموجودة في الأنبوب، مقتنعة بأن هذا هو الحل النهائي.

خلال ما تبقى من وقتنا في القرية، استمرت الملحمة بطريقة كريتية للغاية. وبعد ستة أشهر، ظهر تسرب تحت المنزل المجاور الواقع أسفل التل والذي كان خاليًا لحسن الحظ. تم وضع خطوة ملموسة أخرى، وشعرت بكوابيس مفادها أنه بعد فترة طويلة من رحيلنا، ستستمر مياه الصرف الصحي في طريقها إلى أسفل التل حتى تدمر جميع المنازل في الجزء السفلي من القرية. لقد بدأت الثأر على نحو أقل بكثير، ويتمتع الكريتيون بسمعة طيبة لأنهم لا ينسون أو يغفرون أبدًا.

نجاة

وباعتبارنا أجانبًا مقيمين في أجيا فوتيا، جلب القرويون إلينا أي أجانب اكتشفوا أنهم يتجولون في طرف الجزيرة مثل الجوائز. الفرنسية، الإنجليزية، الألمانية، الإيطالية، لم يحدث أي فرق؛ لقد كانوا أجانب ومن الواضح أننا نفهم بعضنا البعض. ومع مرور الوقت، خلق هذا شبكة من الصداقات، والتي استمر بعضها حتى يومنا هذا.

كان هناك زوجان إنجليزيان شابان يعملان كمساعدين لساحر مسافر محلي. كان هناك زوجان، أحدهما ألماني والآخر كندي، وانهار زواجهما الفردي عندما تبادلا الأزواج. وكان هناك الطبيب النفسي الألماني الذي اشترى منزلاً بدائيًا في إحدى القرى الجبلية فوق أجيا فوتيا والذي ساعدنا في بناء حمامه الخاص، بما في ذلك تفجير الفوثروس (فتحة البراز) من الصخور الصلبة أسفل غرفته الرئيسية.

الجميع استخدم الديناميت في نهاية الجزيرة. استخدمها صديقنا مانولي لتفجير الطرق التي بناها لربط القرى الجبلية التي لم يكن من الممكن الوصول إليها في السابق إلا عن طريق الحمير. لقد شرح ذات مرة كيفية استخدام الديناميت لصيد الأسماك، حيث كان يقلد رمي عصا الديناميت في المحيط، ويضع إصبعه على شفتيه بصوت ششه قبل أن يصرخ "بوم" ويبتسم ابتسامة عريضة. كان صيد الأسماك بالديناميت غير قانوني تمامًا، لكن الكثير منهم فعلوا ذلك

وفقد العديد من القرويين أصابعهم. فقد رجل محلي يده عندما اعترضته الشرطة ذات ليلة بعد إشعال الفتيل. وبدلاً من إلقاء العصا في البحر بشكل معقول، أخفاها خلف ظهره، على أمل ألا تلاحظ الشرطة ذلك. "فقاعة!"

انتهت أموالنا في لندن بعد السنة الأولى لكننا لم نكن مستعدين للمغادرة، فقد أحببنا قريتنا وحياتنا الكريتية كثيرًا وكنت أكتب بشكل أفضل مما كتبت من قبل. كان الكتاب الثاني في سلسلة Small Fantasy على وشك الانتهاء. كان جيري دائمًا مهتمًا بعلم التنجيم ويلقي الأبراج لأي شخص يرغب في الدفع ويتحدث الإنجليزية.

بدأت في بناء نماذج من الأخشاب الطافية لقوارب الصيد المحلية في جزيرة كريت لبيعها للسياح في بلدة سيتيا القريبة، ثم تعويمها في الميناء لجذب الانتباه.

يمكن بيع القارب الذي يستغرق صنعه أسبوعًا مقابل ما يكفي من المال للعيش لمدة أسبوعين أو أكثر، وقد ساعد والدا جيري في الحصول على بدل صغير؛ كانت تكلفة العيش في أجيا فوتيا في أواخر السبعينيات قليلة جدًا.



شتاء

قد يكون الشتاء باردًا جدًا في جزيرة كريت، كما تعلمنا في أيامنا الأولى في هيراكليون. كان عدد قليل من منازل القرية مزودًا بالتدفئة، ولم يكن هناك سوى مدفأة صغيرة للطهي في المطبخ، وكان معظمها أرضيات من البلاط الرخامي، باردة في الصيف ولكنها متجمدة في الشتاء. خلال فصل الشتاء الثاني الذي قضيناه في القرية، جلسنا على طاولة المطبخ في صباح عاصف بارد مع انقطاع الكهرباء، وهي تجربة متكررة في نهاية الجزيرة. خلقت شمعة ومصباح زيت مجموعة مريحة من الضوء

كبح ضوء الشتاء الرمادي الكئيب والنار تشتعل بمرح في الموقد الذي بنيته من بيثاري قديم. هذه جرار خزفية طويلة لا يزال الكريتيون يستخدمونها لتخزين زيت الزيتون والحبوب، ولا تختلف عن الجرار الموجودة في قصور مينوان منذ أربعة آلاف عام. الكلبان اللذان حصلنا عليهما بعد وفاة قطتنا كوليت استقرا بشكل مريح بجوار النار.

كان رالف، الذليل العجوز، يتنهد بهدوء في أحلامه بينما كان باف، الجرو الأبيض الصغير، يلعب بين الوسائد. كانت الريح تعوي في الخارج حول القرية، وكنا نسمع صوت البحر البعيد يزمجر بغضب وهو يرتطم بالشاطئ.

كان يومًا للعزلة، كل بيت معزول عن رفاقه بسبب المطر والريح المرّة التي تخترق أثخن طبقات الملابس.
لكن في جزيرة كريت، لم تدم العزلة طويلاً. أرسل الراعي إرنستيس ابنته ليسألني إذا كان بإمكانه استعارة حذائي المطاطي لأخذ الطعام إلى حظيرة الأغنام الموجودة على الشاطئ. وصل فاسيلي، البالغ من العمر ستة عشر عامًا وهو الابن الأكبر لمانولي، أقرب أصدقائنا في القرية، ليلعب مع الجرو ويمارس لغته الإنجليزية على جيري. كان فاسيلي يشعر بعدم الارتياح بشكل متزايد في منزله، خوفًا من العداء المتزايد بينه وبين والده. كان لا يزال صغيرًا جدًا بحيث لا يفهم أن رجولته المتزايدة تهدد والده، خاصة في صباح شتوي بارد حيث تتجمع العائلة بأكملها معًا في المطبخ الصغير للحصول على الدفء.

لم يكد فاسيلي يغادر حتى جاءت ماريا من المنزل المجاور، وبدا أكبر سنًا منذ أن أصبح الطقس باردًا جدًا.
لقد أتت لتجلس بجوار مدفأة البيثاري الخاصة بنا وتدفئ نفسها لبعض الوقت. لم تتطفل ماريا أبدًا، لكنها غالبًا ما كانت تجلس بهدوء وبرفقة في مطبخنا، تقوم بالحياكة وتشارك آخر أحاديث القرية مع جيري. وتزايدت زيارات القرى مع استمرار الطقس البارد. كانت المواقد في أجيا فوتيا مخصصة للطهي وليس للدفء. نيران صغيرة لامعة من خشب الزيتون تحترق بإحكام بين كتل الحجر أو الطوب تحت أواني الطبخ السوداء.

بعد أن أعلنت لأول مرة عن خطتي لصنع موقد ذو بطن من بيثاري قديم، تنبأت القرية بأكملها بالكارثة.
وقالوا إن القاعدة الخرسانية سوف تنهار، وسوف تتحطم الجدران الخزفية، وسوف يتصاعد الدخان من المدخنة بشدة بحيث يصبح المنزل غير صالح للعيش. لمدة شهرين، انتظرت قرية كاساندراس هذه وقوع الكارثة، لكنها كانت موجودة

لقد استفاد الكريتيون العمليون أيضًا من الدفء طوال فترة استمراره، وهم ينظرون بتمعن إلى المدفأة الطينية على أمل رؤية شقوق جديدة من شأنها أن تبشر بالتفكك الذي كان متوقعًا بفارغ الصبر.

قبلنا معظم سكان القرية بعد الأشهر القليلة الأولى لنا، ولكن كان لا يزال هناك عدد قليل منهم، إما خجولين جدًا أو شديدي الشك في الأجانب، حتى أنهم لا يعترفون بتحيتنا إذا التقينا بهم في الشارع. كانت ماريا القديمة واحدة من الأولى، وكانت مختلفة تمامًا عن جارتنا ماريا. وبينما كنا نادرًا ما نراها في أنحاء القرية، كنا أحيانًا نراها واقفة عند باب منزلها المفتوح أو تعمل في الحديقة الممتدة من منزلها إلى الطريق الساحلي. كانت في الثمانينات من عمرها، صغيرة الحجم ومنحنية بشكل مضاعف تقريبًا بسبب التهاب المفاصل وهي تنحني لتعمل في الأرض الصلبة بمجرفة أكبر منها.

كان.

كان وجه ماريا العجوز صارمًا، بل مخيفًا، مع تجاعيد عميقة محفورة في الخدين والرقبة وبشرة خشنة مثل لحاء شجرة زيتون قديمة. كان شعرها الأبيض المتناثر مفروقًا بشدة من المنتصف، وكانت ترتدي دائمًا شبكة شعر سوداء منسدلة إلى الأسفل فوق مؤخرة رأسها.

لقد قيل لنا إنها ارتدت اللون الأسود باختيارها؛ وبما أن زوجها وأطفالها ما زالوا على قيد الحياة، فلم تكن بحاجة إلى ارتداء ملابس الحداد السوداء الدائمة.
كانت صغيرة ومنحنية الشكل، وكانت شخصية مخيفة، وامرأة سمراء متجعدة من قصة خرافية. ومع ذلك، ظلت عيناها تتلألأ باللون الأزرق اللامع الصافي في ذلك الوجه الغائر، وعندما ابتسمت كان الأمر مثل الشمس تنبثق من خلف سحابة. لقد كانت ابتسامة شبابية، كاملة ودافئة، توحي بالحياة والفرح وتطرد أي ذكرى للعمر.

نادرًا ما غادرت ماريا العجوز منزلها، لذا كانت مفاجأة عندما جاءت لزيارتنا في ذلك اليوم الشتوي البارد.
دخلت وهي تبتسم على استحياء ابتسامتها المبهجة، وجلست لعدة ساعات، بعيدًا عن النار، رافضة أي شيء تأكله أو تشربه ومقعدها قريب من الباب كما لو أنها تحمي وسيلة الهروب. كانت تتحدث قليلًا، ولا تجيب على الأسئلة إلا عندما تُطرح عليها، ولم تتطوع بأي محادثة، وكان وجهها حادًا إلى أن أظهرت ملاحظة جيري تلك الابتسامة الشابة الوامضة.

جلست بصمت بينما كنا نتناول العشاء في النهاية، رافضة عروضنا الخاصة بضيافة القرية المعتادة مثل الزيتون والجبن وكوب من الماء البارد، لكنها لم تبد أي رغبة في المغادرة. غير معتادين على الصمت، ناضلنا من أجل القيام بذلك

المحادثة، وعدم فهم مثل هذه الجهود كانت غير ضرورية. كانت من جزيرة كريت القديمة، وهي سلالة كادت أن تختفي، منذ أن كان الجلوس في رفقة صامتة كافيًا. ولم تغادر إلا عندما وصلت زوجة الراعي أسبازيا، بصوت عالٍ وحاد، مع أطفالها وهم يصرخون.

لم تبق أسبازيا طويلاً، وغادرت حالما رأت مانولي يسير في الشارع باتجاه منزلنا. في التسلسل الهرمي الاجتماعي الصارم لقرية كريتية، كان الراعي وعائلته في مرتبة أدنى بكثير من سائق الشاحنة الذي شق الطرق بالديناميت وسافر في جميع أنحاء الجزيرة. جاء مانولي ليقف بجانب المدفأة، معلقًا ولا يزال عابسًا لأننا ذهبنا إلى السينما في سيتيا الليلة الماضية بدلاً من الشرب معه في المقهى. كان مليئا بالخطط كعادته؛ "دعونا نذهب في فولتا (نزهة) إلى بيسكوكفالون" أو "تعال معي إلى أنالوكا". "لماذا لا نذهب إلى باليكاسترون، أو زاكروس، أو سيتيا؟" كان الأمر على ما يرام في أي مكان طالما كنا معًا ونفعل ما يريد.

لقد تبنانا مانولي في الصيف الماضي، وكانت صداقتنا لا تزال في مرحلة شهر العسل الكريتي حيث بالكاد يستطيع أن يسمح لنا بالابتعاد عن بصره. لكننا لم نكن قرية كريتية ونحتاج إلى خصوصيتنا. لقد دامت صداقتنا بالفعل لفترة أطول من معظم الأشخاص؛ النمط المعتاد للصداقة الكريتية ينتقل حتما من عدم الانفصال عبر الأذى والخيانة إلى الغضب والمرور في الشارع دون حتى إشارة تحية. لكننا كنا أجانب ولم نفعل الأشياء على طريقتهم، بغض النظر عن مدى رغبة مانولي اليائسة في تحويلنا إلى كريتيين صالحين.

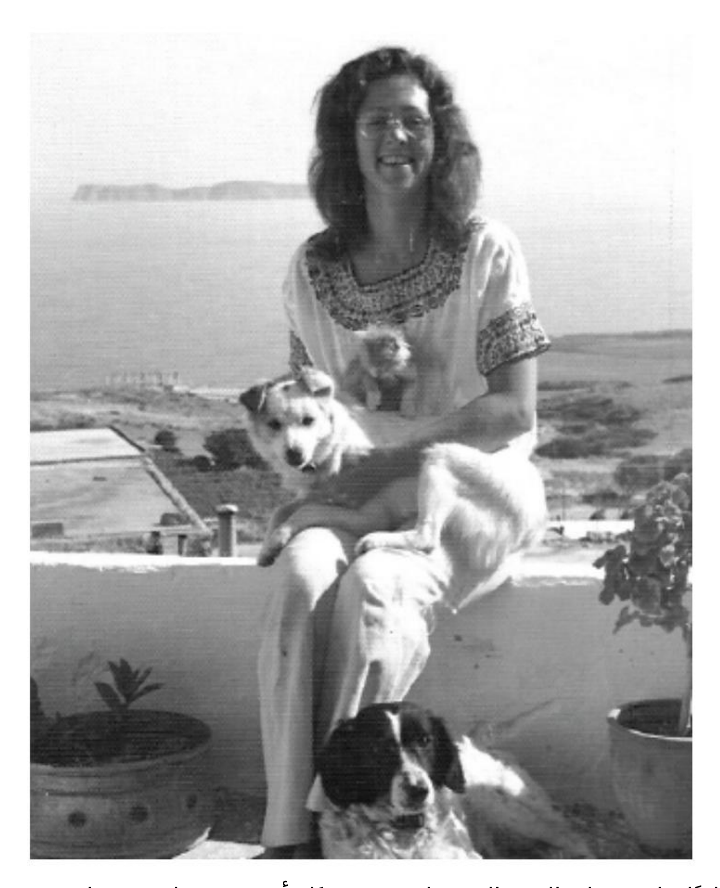
غروب

عندما كان الطقس جيدًا وأصبح القرب من القرية أكثر من اللازم، كنا نتراجع إلى شرفتنا في الطابق العلوي ونجلس بعيدًا بما يكفي حتى لا يراها أحد من الشارع. كنا نشرب النبيذ وننظر إلى البحر، غير مستجيبين لصرخات "تسيري" و"ليو" المحمومة التي ارتفعت من خارج بوابتنا الأمامية.

لقد أحببت بشكل خاص الأمسيات الهادئة على شرفتنا حيث تغرق الشمس في نار برتقالية خلف التلال الواقعة إلى الغرب. كل مساء كان مختلفا. كل مساء أظهر لنا البحر وجهًا مختلفًا. في بعض الأحيان كان يضطرب ويقذف بالزبد، ويتحرك بشكل مضطرب مع إدراكه لعاصفة بعيدة ما.

وفي أحيان أخرى كان ناعمًا كالحرير، مرآة زرقاء رقيقة تتدفق دون انقطاع إلى حيث يفصل خط غير مرئي البحر عن السماء. في وسط

تتدلى هذه الشاشة الحريرية من جزيرة صغيرة، شكل عائم ذو لون أزرق داكن، دخاني من بعيد، تفاصيل غير واضحة، فقط مخططها الخارجي مرئي مثل تمساح ضخم نائم معلق بصمت بين البحر والسماء.



من حين لآخر كنا نرى قاربًا على سطح البحر المتصلب، صغيرًا وأسود، صيادون مثل شخصيات عصاية مظللة أمام اللون الأزرق وهم يقفون لينصبوا شباكهم. ثم تنطلق ريح واحدة عبر الماء، وتخدش سطح الماء بهمس مرورها؛ ريح مسرعة، "أرنب أبيض" من الريح مع ساعة توقيت في يده، تندفع بنشاط ذهابًا وإيابًا بين الجزيرة والشاطئ حتى تختفي أخيرًا، وتهدأ التموجات بلطف، ويعود سطح البحر إلى سكونه الحريري.

ومع تلاشي الضوء، أصبحت التلال الواقعة إلى الشرق أكثر قتامة وزرقة، وأشجار الزيتون على منحدراتها أثقل وأكثر وضوحًا. ارتفعت روائح القرية بلطف في الهواء الساكن. الماعز والدجاج ودخان الحطب وشواء اللحوم على نار مفتوحة. كل شيء أصبح أكثر وضوحًا في الشفق، لكنه كان وضوحًا بلا مسافة. إذا مددت أصابعي للتو، شعرت أنني أستطيع انتشال الجزيرة العائمة من وسط شاشتها الحريرية.

كانت الأصوات أكثر وضوحًا وتميزًا؛ سيارة تمر على طول الطريق الساحلي أسفل القرية، وامرأة تدعو أطفالها إلى المنزل لتناول وجبة المساء، ورجل عجوز يدندن بلا نغمة أغاني جزيرة كريت التي كانت موجودة منذ زمن طويل.

أصبح البحر أكثر هدوءًا، والتلال أكثر قتامة، والجزيرة أكثر أثيريًا، معلقة على شاشتها الحريرية بخيوط غير مرئية بينما تلاشت السماء من اللون البرتقالي إلى اللون الأرجواني الداكن، وتوهج البحر بالذهب المصقول وبدأت أضواء سيتيا تتلألأ على الجزء الداكن. من الجبل. ثم ظهرت النجوم، أول واحد أو اثنين، ثم مئات الآلاف حتى امتلأ وعاء السماء العظيم حتى فاض وتلاشى وهج الشمس الأخير في ظلام دامس. لقد جاءت ليلة أخرى إلى قريتنا.

شاطئ صيفي

كان الربيع والخريف من الأوقات المفضلة لدينا في أجيا فوتيا، حيث لم يكن الطقس حارًا جدًا ولا باردًا للغاية، ومع وجود عدد قليل من السياح على الطريق بينهما

سيتيا وغابة النخيل فاي. ومن شرفتنا، كان بإمكاننا مشاهدة أصدقاء قريتنا وهم يعملون في حدائقهم أو يعتنون بكرومهم. وراء هذه الحدائق والكروم كان هناك شاطئ صغير حيث كنا نسبح في الصيف، على بعد عشر دقائق سيرًا على الأقدام عبر المسار المدرج الذي أكمله مانولي وبقية رجال القرية خلال عامنا الأول في أجيا فوتيا، حيث صبوا الخرسانة فوقها. طريق ترابي وعر يتحول إلى نهر موحل مع كل مطر.

كانت الدرجات الخرسانية الجديدة الواسعة وغير المستوية قد بدأت بالفعل في التصدع عندما مرت بمنزل الراعي حيث قامت أسبازيا بغلي خثارة الأغنام في المرجل الأسود الكبير خارج باب منزلها الأمامي لإنتاج جبن الميزيثرا الطري الذي كانت تبيعه في سيتيا. أسفل القرية، كان المسار يعبر الطريق الرئيسي من سيتيا حيث تنطلق سيارات الأجرة والحافلات السياحية في طريقها إلى الشاطئ في فاي، ونادرا ما تدخر نظرة على القرية الصغيرة التي تتسلق جانب التل بعيدًا عن البحر. لقد أحببنا ذلك بهذه الطريقة. لقد تم بالفعل اجتياح الكثير من جزيرة كريت من خلال التطوير السياحي الجديد ولكن أجيا فوتيا لم تمسها بعد.

عبر الطريق الرئيسي، استمر المسار نزولاً بين كروم العنب إلى حيث توقف العشب والأشجار ولم تنمو سوى الأعشاب البرية في التربة الرملية البنية، وكانت رائحتها العطرية تملأ الهواء. كان خليجنا عبارة عن حدوة حصان جميلة من الصخور والحصى التي قد تحتوي أو لا تحتوي على رمال، اعتمادًا على قوة العاصفة الأخيرة. المنحدرات من الحجر الرملي الناعم

نشأت خلف الشاطئ، لتعزله تمامًا عن الريف الداخلي وتجعله غير مرئي من طريق سيتيا الرئيسي. لقد كان لدينا دائمًا الشاطئ لأنفسنا.

للوهلة الأولى، عند رؤيته من الأعلى والمشي فوق قمة منحدرات الحجر الرملي المتهالكة وأسفل المسار الحجري المؤدي إلى الشاطئ، بدا الخليج جميلًا، حيث تزبد قواطع بيضاء لتتكسر الحصى. ولكن نظرة فاحصة يمكن أن تكون مخيبة للآمال ما لم يعرف المرء الشاطئ. كانت الأخشاب الطافية والزجاجات البلاستيكية القديمة وكتل القطران تصطف على المستوى الأعلى من الحصى، التي تدفعها العواصف التي تهب من الشمال عدة مرات كل شتاء إلى الشاطئ.

بالنسبة للعين غير المدربة، بدا الشاطئ قذرًا وغير مرتب وفوضوي. لكن هذه الفوضى كانت بمثابة كنزنا الدفين، حيث وفرت لنا كل الحطب الذي نحتاجه في فصل الشتاء، بالإضافة إلى الأشكال المنحنية الجميلة لأغصان الأشجار المعالجة بالبحر والتي استخدمتها لصنع مصابيح الأخشاب الطافية التي أعطيتها لأصدقاء القرية في عيد الميلاد. تحت هذه الطبقة من الأخشاب الطافية، كان الشاطئ السفلي دائمًا صافيًا، تغسله الأمواج نظيفًا. وبمجرد دخولي إلى الماء، كانت السباحة أفضل من أي شاطئ استحمام عرفته في حياتي.

ركضت الرمال الناعمة بعيدًا عن الشاطئ على عمق ثابت تقريبًا.
وعلى مسافة خمس ياردات من الشاطئ، وصلت المياه إلى خصري؛ على بعد مائة ياردة، وما زال بالكاد يصل إلى كتفي. عندما فضلنا السباحة أو الغطس في المياه العميقة، انتقلنا للتو إلى الصخور في الطرف الغربي للخليج أسفل مقبرة مينوان القديمة. لقد كان شاطئًا للاسترخاء في الأيام الهادئة أو الغطس في القواطع في الأيام العاصفة، آمنًا وضحلًا حيث لا يشكل حتى التيار الشرقي القوي أي خطر. لقد كان شاطئًا للسباحة، أو اللعب وسط الأمواج، أو الاستمتاع بحمام شمسي عارٍ، أو ممارسة الحب، وعلى مدى فصول الصيف الثلاثة التي عشناها في أجيا فوتيا، كان مكاننا الخاص.

سقي الحديقة ليلاً

في ذروة الصيف، عندما كانت الأمطار شحيحة، تم ري العديد من الحدائق التي يزرع فيها سكان قريتنا خضرواتهم على مدار الساعة حتى لا يتم إهدار المياه الثمينة. كان لكل فرد وقته المخصص له، حتى الأجنبيين المقيمين في أجيا فوتيا، اللذين مُنحا حق استخدام حديقة مساحتها خمسة أفدنة خارج حدود القرية التي كنا نزرع فيها أنا وجيري خضرواتنا. كانت الحديقة مملوكة لـ

إيوانيس، صاحب متجر Sitian Arts الذي التقينا به بعد وقت قصير من وصولنا إلى سيتيا. لقد عرض علينا إيوانيس الحديقة مقابل حصة مما زرعناه هناك.

كنا نستيقظ مرة واحدة في الأسبوع على صرخة أجش من الشارع بالخارج بيتنا.

"تسيري، ليو، بوتيسي."

الكلمة تعني ببساطة "سقي" وكانت الصرخة تأتي مرارًا وتكرارًا حتى استيقظنا تمامًا، وتعثرنا على الدرج الخارجي من غرفة نومنا إلى حيث كان هناك رجل عجوز ينتظر عند البوابة، مضاء بشكل خافت من وهج الفانوس الذي كان يحمله في منزله. يُسلِّم. كانت الساعة الواحدة صباحًا، وكان أندرياس العجوز قد انتهى للتو من سقي حديقته؛ الآن جاء دورنا.

تحركت كلابنا واستنشقت، وهي تهز ذيولها بنعاس، متفاجئة من انقطاع غير متوقع في ليلتها ولكنها دائمًا جاهزة لمغامرة جديدة. أطلق فانوس الغاز صوت هسهسة واشتعل في الظلام بينما كنت أنا وجيري -لا نزال مثقلين بالنوم -نكافح من أجل ارتداء الأحذية المطاطية. كانت حديقتنا تبدو مختلفة في الليل، سوداء، غريبة وغير معروفة. في تلك الليلة لم يكن هناك قمر وكانت النجوم خافتة وبعيدة. أطلق الفانوس هسهسة، وكان هواء الليل لاذعًا برائحة الغاز الحادة الحلوة. أصبحت الكلاب مستيقظة تمامًا الآن، تلعب وتقامر؛ انفخ ضبابًا شاحبًا في الظلام بينما كان يركض بين الكروم بينما ذاب رالف في الليل. كان الجو ساكنًا وهادئًا، وكان نهيق حمار وحيد في أعلى الجبل ينفذ عبر الظلام. تحركت الشجيرات بلطف ونعومة في همس الأحلام. خارج الدائرة الحادة لضوء الفانوس لم تكن هناك سوى ظلال عميقة وظلام يغلفها. لقد شعرنا وكأننا الوحيدين المستيقظين بينما كان بقية العالم نائمين.

وقفت في أعلى الحديقة، ويداي باردتان من تحريك الأكياس المستخدمة لسد القناة الخرسانية التي تنقل المياه عبر الطاحونة القديمة حيث كانت نساء القرية يغسلن ملابسهن في النهار. تدفقت المياه الآن باللون الأسود اللامع مثل الزيت وهي تتدفق إلى الحديقة، وتتفجر فوق الصخور والجذور التي ملأت مجرى النهر الجاف. انضم إلي جيري ونظرنا عبر الخليج المظلم حيث كان البحر يتحرك ببطء مع انعكاس ضوء النجوم على الأمواج الهادئة. ومن حافة هذا الوعاء المظلم، كان بإمكاننا رؤية أضواء سيتيا البعيدة. وقفنا في

كان الظلام على جانب التل ولم يسمع سوى ثرثرة الماء المتدفق إلى الشرفة العلوية. استنشقنا رائحة زهور الليل العطرة المغطاة برائحة الغاز الحادة وشعرنا بنسيم ناعم وبارد على وجوهنا. لم تعد هذه الحديقة أو الجزيرة التي نعرفها. كان من الممكن أن نكون في أي وقت وفي أي مكان. لم يكن هناك شيء مألوف.

الجزء الأكبر من الجبل الذي خلفنا كان عبارة عن ظلمة أكبر في مقابل ظلام السماء، حضور أكثر من شكل مميز، مرصع ببضعة جواهر ضوئية بعيدة من قرى جبلية حيث ينام الناس. في مكان ما صاح الديك وأطلق مرة أخرى صرخة الحمار الحزينة، حزينًا إلى ما لا نهاية وهو ينهق حياته من الشوق المنعزل في الليل الطائش.

لقد حان الوقت للوصول إلى العمل. كان الماء يتدفق بسرعة، ويملأ الأخاديد، ويلتف حول قاع النباتات.
كان الجو هادئًا جدًا لدرجة أننا كنا نسمعهم وهم يشربون. كانت هناك صفوف يجب فتحها، وصفوف يجب إغلاقها بينما كنا نجمع الأرض في سدود صغيرة بمعاول ثقيلة بالطين، وأحذيتنا تغوص عميقًا في الوحل الناعم والملتصق.
لفترة من الوقت كان الأمر بمثابة سباق ضد الماء، حيث يجب حفر الأرض، وفتح أخاديد جديدة، وتوجيه المياه إلى الشرفة الثانية أو الثالثة قبل أن تغمر الشرفة الأولى. كان عالمنا

يقتصر على دائرة الضوء الساطعة التي يلقيها الفانوس. وبينما كنت أدفع الأرض جانبًا لأفتح ثلمًا جديدًا، كان الماء يتردد للحظة قبل أن يحوم بسرعة داخله، ويضحك بهدوء لنفسه. أسود وزيتي، يلتف على الكروم. تسلقت سيقان الفاصولياء من هذا النهر من النفط. كانت أزهار البطاطس شاحبة في الظلام، والأرض تشربت عطشًا بعد حرارة النهار.

أحببت الكلاب المياه الجارية. في كل مرة كنا نفتح أنا أو جيري قناة جديدة، كانت المياه تتدفق بسرعة على طول الصف مع وجود رغوة شاحبة على رأسها، وكان باف يركض بجانبها، وهو يصرخ بحماس وهو يواكب السرعة.
بالنسبة له كان حيا. مخلوق آخر يلعب معه، يندفع داخل وخارج القناة، أحيانًا للأمام، وأحيانًا خلف الرأس الدهني حتى يختفي ويتدفق التيار الأسود بحرية ودون انقطاع. ثم يعود باف مبتسمًا ليجلس عند أقدامنا ويضيف رائحة جديدة من الطين والكلب الرطب إلى روائح الليل. ومرت ساعة، ثم تسعون دقيقة، حتى انتهى العمل أخيرًا، وشربت الحديقة حتى شبعت. لقد ذهب جيري بالفعل إلى

قف خارج منزل آخر ونادي، "يانيس، يانيس، بوتيسي"، ينادي مرارًا وتكرارًا حتى تمتم صوت نائم بالرد وظهر شخص
مظلم في الليل يتحسس بالملابس والفانوس قبل أن يأخذ دوره مع الماء اللامع الداكن.

وقفت في أعلى الحديقة للمرة الأخيرة لأعيد الكيس المشبع بالمياه إلى مكانه وأوقف التدفق. عاد النهر
إلى مجراه القديم بعد الطاحونة القديمة حيث كانت تنتظره حدائق ومدرجات أخرى. نظرت إلى أسفل فوق حديقتنا
حيث لا تزال المياه كثيفة على جميع المدرجات، سوداء مقابل سوداء، تتلألأ بشكل خافت بينما كان النسيم يعبث
بأسطحها العديدة. أصبح كل شيء مألوفًا الآن في حديقتنا في منتصف الليل ذات الأشكال الداكنة والظلال
العميقة، فتركتها على مضض، وجلست للحظة واحدة فقط لأنظر عبر وعاء الظلام إلى أضواء سيتيا البعيدة. لقد
كنت جزءًا من عالم أقدم حيث كانت هذه الأوقات تنتمي إلى الآلهة القديمة التي ظهرت فقط في مثل هذه
الساعات الفارغة بين الغسق والفجر.

عدت ببطء إلى القرية تحت أشجار الطرفاء التي عكست ضوءًا شاحبًا من فانوسي. سارت بجانبي الكلاب،
ألسنتها تتدلى، مشبعة بالروائح والماء والليل. مر بي يانيس في مركز دائرته الضوئية الصغيرة، التي كانت أقل
سطوعًا من دائرتي، وكان فانوسه الزيتي القديم أكثر ليونة ودفئًا من تألق غازي الصارخ. تبادلنا التحيات الليلية
واختفى في الظلام. بالنسبة لي، كان الوعد بمشروب دافئ وسرير ناعم ينتظرني عبر الأشجار، وأدركت أنه بحلول
الصباح ستبدو التجربة برمتها غير حقيقية، حلم بين النوم والاستيقاظ لا يمكن استعادته بالكامل أبدًا، بغض النظر
عن مدى صعوبة المحاولات.

صناعة النبيذ على طراز القرية

نما نوعان مختلفان من العنب حول قريتنا. الأول كان عنبًا أخضرًا حلوًا بدون بذور وله قشرة ناعمة وحساسة
مثل بتلات الزهور.
عندما يتم قطفها مباشرة من الكرمة، وهي لا تزال دافئة من الشمس، فإنها تنفجر في فمك مثل العسل. كان هؤلاء
يأكلون العنب، ويعرض خارج المحلات التجارية في سيتيا بسعر 6أو 8أو 10دراخما للكيلو أو مخصص للاستهلاك
الأكثر ربحية وأقل فورية وينشر ليجف في الشمس حتى يصبح لونه بني داكن، حلو ومقرمش، ليصبح الزبيب اللذيذ
الذي يستخدمه. سيتيا مشهورة في جميع أنحاء اليونان. قبل مئات السنين من بدء تدفق السياح إلى جزيرة كريت

في الإجازة، كان زبيب السيتيان ذا قيمة كبيرة ومرغوبًا فيه في جميع أنحاء الشرق الأدنى.

النوع الثاني من العنب كان ملونًا باللون الأرجواني الغامق لدرجة أنه يقترب من اللون الأسود، وكان قشرته اللامعة متشابكة مع زهرة خميرة مغبرة لتخمير العصير القرمزي وتحويله إلى نبيذ أحمر محلي رقيق.

معظم القرويين حصدوا هذا العنب لأنفسهم فقط.
قد يصل بعض الزبيب إلى السوق في سيتيا، ولكن يتم تخزين الأغلبية في غرف تخزين باردة حتى تتمكن الأسرة، وعائلة الأخ في أثينا، والابنة التي ذهبت إلى أمريكا، والعم الذي يعمل في القوارب من بيرايوس، سيحصلون على كل الزبيب الذي يمكنهم تناوله خلال العام التالي.

النبيذ الذي كان يُعصر في الصهاريج الخرسانية المفتوحة المنتشرة حول القرية لم يكن من الممكن إغلاقه أو وضع علامات عليه، ولكنه ظهر في المقاهي، أو في زجاجات كبيرة مغطاة بالخوص كانت موضوعة بجوار مدفأة مطبخ القرية، وتحمل طوال العام النبيذ الحلو الناعم. نكهة كريتي

صيف.

بدأ يوم قطف العنب مبكرًا. بعد الساعة السادسة صباحًا بقليل، مع ظهور شمس برتقالية خجولة لأول مرة فوق الجبال المتربة التي تحيط بخليج سيتيا، كان الشارع مليئًا بالنشاط، وكان القرويون يتنقلون ذهابًا وإيابًا، ويتحدثون، ويضحكون، ويحملون شاحنات صغيرة، وثلاث عجلات، وحميرًا. الدلاء الفولاذية المجلفنة وسلال الخوص والشباك السوداء الخشنة التي يحتاجونها لحصاد العنب. لقد كانت دائمًا شأنًا عائليًا، حيث كانت الجدات والأطفال والأصدقاء من سيتيا، وحتى الأقارب البعيدين مثل هيراكليون وأثينا يجتمعون معًا للمساعدة في اختيار العائلة

العنب.
جلست على شرفتنا وراقبت من خلال منظاري الأشكال المنتشرة عبر الحقول المليئة بالكروم الممتدة من الطريق أسفل القرية حتى مقبرة مينوان القديمة التي تم التنقيب عنها مؤخرًا بالقرب من الشاطئ. رأيت حمارًا عجوزًا يحصد محاصيله بهدوء على بعض العشب المجفف نصفه مخفي بواسطة الكروم، بينما كان الجد المسن الذي يملك الحيوان يرقد تحت شجرة بالقرب منه واضعًا قدميه على جذع، يراقب أفراد عائلته الأصغر سنًا وهم يفرغون الدلاء ويجهزون الأحواض والألواح والركائز. أعطى المنظار منظورًا مسطحًا وشخصيات بعيدة أكثر بقليل من

شظايا من الألوان تتراقص على خلفية خضراء. كان الأطفال والفتيات يرتدون ملابس ذات ألوان زاهية، باللون القرمزي والأصفر والأزرق. وبرزت النساء المسنات في ثيابهن السوداء الباهتة بينما كان الرجال يرتدون ملابس غير رسمية ويرتدون أقدم قمصانهم وسراويلهم. كان الجميع يعلمون أنه سيكون يومًا حارًا طويلًا تحت أشعة الشمس الحارقة.

وسرعان ما تم نقلي أنا وجيري إلى الحقول بواسطة مجموعة من الأطفال الضاحكين الذين أرسلتهم عائلاتهم للتأكد من أننا لن نفوت المرح. في كل حقل، كانت المجموعات العائلية تتحرك ببطء بين الكروم، تنحنى وتقطع وتملأ السلال والدلاء المجلفنة بالفاكهة الناضجة. ثم تُرفع الدلاء نفسها على أكتاف الرجال ليتم نقلها إلى الشاحنات ذات الثلاث عجلات أو الشاحنات الصغيرة، أو إلى الأرض النظيفة حيث تم إنشاء الأحواض والحوامل، إذا كان العنب سيُعالج في الموقع. كل مجموعة مررنا بها كانت تقطع لنا عناقيد من العنب، ومع تقدمنا، أصبح حمل جيري أثقل وأثقل، وذراعاها أكثر لزوجة وأكثر لزوجة. في أحد الحقول، كان مالك المنزل وعائلته مشغولين بقطف العنب وتحميله في شاحنة صغيرة جاهزة لنقلها إلى سيتيا. كاليوبي، حماته البالغة من العمر 83عامًا، ذات وجه مبطن ومتجعد مثل أي زبيب، ولكنها نحيلة مثل عنزة عجوز تحت فستانها الأسود الخشن، تندفع داخل وخارج الكروم، وفم بلا أسنان مفتوح على مصراعيه في حركة مستمرة. ابتسمت وهي تقطع عنقودًا تلو الآخر من العنب باستخدام سكين شرير المظهر بشفرة مثل

هلال.

كان حقلاً مرويًا جيدًا، وكرومه خصبة وخضراء ومثقلة بالعنب. كان الحقل التالي متناثرًا، والكروم أقل حيوية، والعديد من الأوراق مجعدة باللونين الأصفر والبني من صيف جاف على نحو غير عادي. هنا كان أدونيس وعائلته يعملون بجد. الكبرى، وهي جدة مسنة في أواخر الثمانينات من عمرها، كانت منحنية مرتين تقريبًا، وكانت تملأ سلة الخوص التي كانت تجرها خلفها وهي تتحرك عبر الكروم. في العراء، وقفت فوتين، ابنة أدونيس الصغرى -فتاة جميلة تبلغ من العمر عشر سنوات ذات شعر أشقر رمادي -فوق حوض معدني تحرك مزيجًا من البوتاس والماء. قام أدونيس بفحص جاذبيته النوعية باستخدام مقياس كثافة السوائل. لقد كان مشهدًا غير متوقع للحضارة المعاصرة وسط كروم العنب التي يبلغ عمرها قرونًا وتحيط بها نساء يرتدين ملابس سوداء في مشهد لم يكن ليبدو مختلفًا قبل ألف عام.

بمجرد ملء كل دلو بالعنب الزبيب الأخضر، يتم إنزاله في الحوض المليء بالقلويات بينما يسكب فوتين السائل حوله.
ثم تمت إزالة الدلو، وتدفق الماء من الثقوب الموجودة في جوانبه الفولاذية، ووضعه على ألواح موضوعة فوق منصات لتصريفه. وفي الحقول من حولنا، كان هناك مائة قروي آخر يفعلون الشيء نفسه. راقبنا حتى اشتدت حرارة النهار، ثم جمعنا حفنة من العنب وعدنا ببطء عبر الحقول إلى القرية وبرودة منزلنا.

وبحلول وقت الغداء، كانت القطع الأولى قد تم نشرها بالفعل على شبكات سوداء لتجفيفها في الشمس.
من شرفتنا كان منظرًا جميلاً.
وبجانب كروم العنب، وعلى مساحات واسعة من الأرض، تم وضع الشباك السوداء في شرائح يتراوح طولها بين 20 و03 مترًا وعرضها مترًا. تم تقليم العنب وفرزه وتنعيمه بعناية ودقة بحيث تظهر كل حبة عنب وجهها للشمس. بدا الأمر كما لو أن السجاد ذو الوبر الأخضر الداكن كان يُبسط ببطء على الأرض المتربة. لعدة أسابيع أخرى استمر التجفيف. كان القرويون يقلبون العنب كل يوم بمجارف خشبية كبيرة، ويوما بعد يوم، تصبح سجادات الزبيب داكنة، من الأخضر إلى البني إلى ظلام غني أسود مثل الليل.

تحتوي حديقتنا خارج القرية على أكثر من فدان من الكروم، مليئة بعنب النبيذ الداكن، وبينما كنا نتحدث عن صنع النبيذ الخاص بنا، لم نكن نعرف ماذا نفعل، لذلك بعد الغداء ذهبنا لزيارة ماريا، جارتنا المجاورة لنطلب نصيحتها. وفي ظل حرارة موسم الحصاد بعد ظهر ذلك اليوم، كانت عائلتها —الزوج وابنتها الزائرة من أثينا والعديد من الأطفال —يجلسون في الظل. لقد استجابوا بأسلوب كريتي حقيقي، مرعوبين لأننا لم قطف عنبنا. تم إنتاج دلاء من الفولاذ المجلفن، ووضعت السكاكين في جيوبها، وبعد خمس دقائق ذهبنا إلى الحديقة، برفقة العائلة بأكملها وعشرات القرويين الآخرين الذين كانوا حريصين على الانضمام إلى المرح.

استغرق حصاد فداننا نصف ساعة فقط. تحركت العائلة عبر الكروم مثل سرب من الجراد وأصبحت الدلاء أثقل وأثقل بحمولتها الأرجوانية. يعد حصاد العنب تجربة لا ينبغي تفويتها، خاصة عندما تكون ملكًا لك؛ قطع العناقيد الضخمة التي تتدلى من الكروم، وتناول القليل منها، وأصابعك ملتصقة بالعصير بينما تضع الباقي في الدلاء. لا عجب أن ديونيسوس كان كذلك

الإله اليوناني المفضل. صرخ الأطفال فرحًا، خاصة عندما اكتشفوا كرمة نمت لتصبح شجرة خروب قديمة، تتجمع حبوب الخروب والعنب معًا كما لو كانت تنمو من نفس الغصن.

كان هناك شعور متزايد بالإثارة والترقب مع تزايد حجم أكوام الفاكهة وراهن القرويون ذوو المعرفة على عدد الكيلوغرامات من النبيذ النهائي الذي من المحتمل أن يتم إنتاجه.

أخيرًا تم قطف العنب، وتحميل الدلاء كلها، وعدنا بسعادة إلى القرية، مترنحين تحت وطأة غنائمنا.

كانت فتاتان سائحتان تسيران في الشارع وتتشبعان بالألوان المحلية.
نادرا ما زار السياح قريتنا لأنها كانت بعيدة عن الطريق الرئيسي. لا بد أننا لم نبدو بالنسبة لهم مختلفين عن أي قرويين آخرين عائدين بأحمالهم من العنب المحصود. لقد غادروا دون أن يروا الشيء الذي كان من الممكن أن يكون سببًا في يومهم، ولم يلاحظوا الحوض الخرساني الواقع قبالة الشارع الرئيسي حيث يتم عصر العنب دائمًا. وكانت المكبس نفسه عبارة عن صهريج خرساني، تبلغ مساحته حوالي مترين مربعين، وله جدران خرسانية وأرضية مائلة تسمح للسائل بالتدفق عبر صنبور إلى الشارع.

أفرغ الجميع العنب على الخرسانة المنحدرة، وبتشجيع من أصدقائنا في القرية، خلعت حذائي وخطوت على الكتلة العصيرية.



كيف يمكنني وصف عصر العنب بهذه الطريقة التقليدية؟
إنها اسفنجية وناعمة وزلقة، وكان شعورًا رائعًا بالراحة، مثل فرحة طفل صغير بالقفز في البرك. الأقرب

بالتوازي مع ذلك، يسير حافي القدمين عبر الوحل السميك في قاع مجرى النهر.
كان الجو باردًا بشكل لذيذ حيث تناثر العصير بين أصابع قدمي ليغطي الجزء السفلي من ساقي. كانت رائحة عصير العنب والسكر والصيف طاغية. ثم جاءت اللحظة السحرية عندما بدأ العصير يتدفق، باللون الأرجواني القرمزي مثل الدم، ويتدفق عبر الفوهة من خلال حاجز الموسلين والمصفاة القديمة التي وضعتها زوجتي في مكانها لمنع البذور والقشر، وسرعان ما ملأت دلو الغسيل البلاستيكي الأصفر. عرض أحد الجيران جمع السائل الثمين.

لقد راقبنا صديقنا مانولي بشكل نقدي، وقام بتصحيح أخطائي العديدة. ساعد الأطفال كالعادة، بالركض ذهابًا وإيابًا ومعهم المزيد من الدلاء عندما بدأ وعاء الغسيل يفيض. حدثت أزمة بسيطة قبل بدء العصر مباشرة عندما أدركت القرية أنه ليس لدينا شيء لتخمير النبيذ فيه. مرة أخرى جاء جيراننا للإنقاذ. تم إنتاج بيثاري كبير ، وهو جرة خزفية طويلة يبلغ ارتفاعها أربعة أقدام. كان قذرًا، أسود اللون بسبب زيت الزيتون المخزن فيه طوال العام الماضي، لكن في نهاية المطاف قمنا بتنظيفه بمساعدة عدة حفنات من البوتاس والبولي نيرو -الكثير من الماء. استغرق التنظيف وقتا أطول من المتوقع حيث اعتقد الأطفال أنه عذر رائع لقتال المياه. ولكن في نهاية المطاف، أعلنت القرية أن البيثاري نظيف بدرجة كافية لتلقي منتج عمالنا.

وبينما كنت أدوس على العنب، كان الأطفال يركضون ذهابًا وإيابًا حاملين دلاء من العصير الأرجواني من المعصرة إلى منزلنا حيث تم تركيب البيثاري. إن دوس العنب عمل شاق. إن الحركة المستمرة لأعلى ولأسفل، مثل الركض على الفور مع التفاف بسيط للقدمين على الدرج السفلي، تؤدي بسرعة إلى ألم العضلات. بعد نصف ساعة وصل تاجر مسافر وأوقف شاحنته خارج المقهى، وكان مكبر الصوت الخاص به يصدر موسيقى ليرا مشوهة لدرجة يصعب التعرف عليها، ولفترة من الوقت كان النبيذ يسير على إيقاع كريتي النموذجي.

كان الجزء الأول سهلاً، حيث تم طحن العنب، ولكن بعد ذلك أصبح الأمر أكثر صعوبة. يميل العصير إلى التسكع، ولا ترغب كتلة اللب في تركه. لم نفتقر إلى المساعدة والمشورة حيث امتدت الأيدي المتلهفة إلى الأمام لفتح الأنهار من خلال اللب وأظهر لي مانولي كيفية دوس اللب نحو الجدار البعيد، والضغط عليه بين الجدار والأرضية لاستخراج الحد الأقصى من العصير من القشور. إنها مناورة صعبة و

من المرجح أن ينتهي الأمر بكاوي عديم الخبرة بشكل مسطح على وجهه في اللب الزلق.
لقد فعلت ذلك عدة مرات وسط ضحكات صاخبة للصغار والكبار على حد سواء.
في نهاية المطاف، هاجمنا المعصرة بأيدينا، وانتزعنا آخر القطرات وغطينا أنفسنا من الرأس إلى القدم بعصير العنب في
عملية.
كنت أسمع دائمًا أن عصر العنب قد يكون أمرًا بائسًا بسبب انجذاب الدبابير والنحل إلى الفوضى اللزجة،
وشاهدت جيراننا في معصرة النبيذ يتجاهلون صبرًا اللدغة تلو اللدغة بينما تطن الدبابير بغضب حول أقدامهم
العارية. لكن لسبب ما، لم يظهر النحل والدبابير إلا بعد أن خرجت من الصهريج ليغسلني الأطفال، الذين اعتقدوا
أن سكب دلاء من الماء البارد على أجنبي هو أعظم متعة في العالم.

ومن ثم انتهى. ركضت آخر قطرة من العصير إلى الدلو الأصفر. ولعق الأطفال آخر لب من أصابعهم
وأضيفت بقايا المعصرة إلى المعصرة القادمة من بقية القرية. تُترك هذه القشور والبذور لتتخمر، وفي غضون
شهرين يتم تقطيرها وتحويلها إلى الراكي، وهي الروح الكريتية النارية التي تجعل الشرب في المقاهي المحلية متعة
لا تُنسى. في هذه الأثناء، كان يوجد بيثاري نصف ممتلئ في زاوية مظلمة من منزلنا، يحتوي على أكثر من 35
كيلوجرامًا 15 -جالونًا -من نبيذ القرية المخمر. أثناء جلوسنا على طاولة المطبخ، كنا نسمعها تغلي بهدوء، وهي
مغطاة بقطعة قماش خضراء قديمة لإبعاد الذباب. من وقت لآخر خلال الأسابيع التالية، كان القرويون يأتون لتفقد
البيثاري، وهم يهزون رؤوسهم بحكمة وهم يستنشقون الغاز المنبعث من عملية التخمير وينطقونه كالو كراسي أي
النبيذ الممتاز.

بعد شهرين جلسنا على شرفتنا في وقت الشفق، ونشرب أول كؤوس من نبيذنا، النظيف والشفاف
والمليء بنكهة الصيف الكريتي. كان المساء ساكنًا تمامًا، والسماء عبارة عن لوحة غير مميزة من اللون الأزرق النقي.
ظهر سرب من الطيور مثل ظل داكن فوق الماء، يدور ويتحرك، ويتحرك ذهابًا وإيابًا كما لو كان يبحث عن شيء
فقده. ومن بعيد، طفت الجزيرة على الزجاج، بلون أزرق شاحب مقابل لون أزرق شاحب للبحر والسماء. كان المساء
ساكنًا لدرجة أنه لم تكن هناك ريح تعبث بالمياه أو تحرك بساتين الزيتون. أسفل القرية جاء

أصوات بعيدة للأطفال أثناء اللعب. كان النبيذ لاذعًا وجديدًا وحلوًا وكان لنا.



وعندما جاء الشتاء مرة أخرى إلى جزيرتنا، علمتنا القرية كيف نصنع الراكي الخاص بنا من المعاصر، حيث نجلس حول نار حطب الزيتون نأكل الرمان والبطاطس المخبوزة على الجمر بينما لا يزال الطراز القديم يصدر هسهسة وتنهدات في الظلام و الروح النارية المتكثفة في أنبوب تمر عبر برميل زيت مملوء بالماء لتقطر في قوارير الانتظار.

رحيل

بحلول عامنا الثالث في جزيرة كريت، تحسن وضعنا المالي كثيرًا. تم بيع القوارب النموذجية بشكل جيد. تم تكليفي بكتابة سيناريو لفيلم للأطفال من قبل أصدقائي في إنجلترا، وفاز الفيلم الناتج "Wheels and Sailor Big"بالعديد من الجوائز. ساعد هذا في التخفيف من خيبة الأمل بعد أن رفض وكيل نيويورك روبرت ميلز أول كتابين في ثلاثية Small Fantasy؛ ولم أكتب الثالثة قط.

كان الجزء الخاص بنا من الجزيرة قد بدأ يتغير مع انتشار السياحة شرقًا من أجيوس نيكولاوس، وظهرت الفنادق والفيلات مثل الفطر على طول الساحل بعد سيتيا على قطعة الأرض الفارغة سابقًا بين قريتنا والبحر. حتى شاطئنا الخاص تم مسحه بحثًا عن فندق تم بناؤه بعد عدة سنوات. الناس كانوا

يتغيرون أيضًا، ويتطلعون بشكل متزايد إلى كسب المال والاستفادة من العدد المتزايد من السياح.

عندما وصلنا، كان القرويون الكريتيون لا يزالون يعيشون وفقًا للمقولة القديمة القائلة بأن "الغريب هو الإله المجهول". لقد اعتنيت بالغرباء في حالة تبين أنهم زيوس أو إله آخر متنكر. لكن الآن بعض السكان المحليين، مثل مالك العقار، كانوا ينظرون إلى الأجانب كوسيلة لكسب المال بسهولة. تم التخطيط لإنشاء فندق أسفل القرية المجاورة لشاطئنا الخاص، وكان هناك حديث عن تحويل الطاحونة المائية القديمة الموجودة أسفل حديقتنا إلى حانة. كان وقت الرحيل.

لقد كوننا أصدقاء مع زوجين كنديين، دوج وكريستين، اللذين مرا عبر سيتيا في وقت سابق من الصيف. اتفقنا جميعًا بشكل عفوي على أن نلتقي على درجات كاتدرائية سيوداد رودريجو، إسبانيا، في وقت محدد يوم 12 أكتوبر ، وهو عيد ميلادي القادم. لقد كان موعدًا قررنا الاحتفاظ به.

منذ أن قمت ببناء الحمام قبل عامين، أصبحت سباكًا ماهرًا وساعدت أجانب آخرين في سباكة منازلهم القديمة في الطرف الذي نعيش فيه من الجزيرة. تم استبدال إحدى وظائف السباكة هذه بشاحنة Simca صغيرة أطلقنا عليها اسم Woofwagon لأن كلابنا كانت تحب السفر فيها. في أواخر سبتمبر من عام 1979، قمنا بتحميل Ralph و Puff وممتلكاتنا في Woofwagon وانطلقنا للحاق بالعبارة التي غادرت من هيراكليون، في طريقها للقاء دوج وكريستين في إسبانيا والعثور على منزل جديد. لكن الأمور لم تسر كما خططنا.

الجزء التاسع

البرتغال 1980 - 1979

كان المطر ينهمر في 12أكتوبر - 1979عيد ميلادي الرابع والثلاثين -عندما توجهنا أنا وجيري لأول مرة إلى بلدة كويداد رودريجو الإسبانية في أحد تلك الأيام الباردة البائسة عندما يتشكل الضباب على الزجاج الأمامي باستمرار وتخترقك الرطوبة مثل المطر. سكين. مشينا عبر الشوارع المبللة حتى درج الكاتدرائية، حيث كنا قد رتبنا قبل أشهر، في حرارة الصيف الكريتي، للقاء أصدقائنا الكنديين دوج وكريستين عند الظهر. وجدناهم متجمعين في مدخل متجر مغلق في الساحة، ويبدو أنهم أكثر برودة وبؤسًا مما شعرنا به حتى، وكان المطر يتساقط على جوانب المباني ويقطر من قبعة دوج ليشكل بركة عند قدميه. كانت الشوارع مهجورة وتساءلنا عما إذا كانت إسبانيا هي المكان الذي أردنا أن نكون فيه حقًا.

كان الرحيل من جزيرة كريت مؤلمًا ومليئًا بالدراما اليونانية. لقد أمضينا اليوم السابق في تعبئة شاحنة Simcaالصغيرة التي أطلقنا عليها اسم Woofwagonإلى السطح، ولم نترك سوى حافة ضيقة خلف المقاعد الأمامية حتى يتمكن كلابنا من الاستلقاء.



في صباح يوم المغادرة، تجمع العديد من أصدقاء قريتنا ليذرفوا الدموع ويغمرونا بالجبن والخبز والزيتون والزبيب والنبيذ حتى لا نتضور جوعا في رحلتنا -ولكن ليس كلها! غادرت أسبازيا، زوجة الراعي، في وقت سابق إلى سيتيا غاضبة لأن جيري لم تعطها بعض نباتاتنا التي أرادتها، في حين أن صديقنا مانولي، غير قادر على تحمل الأمر.

ألم المغادرة، ذهب للشرب في الليلة السابقة ولم يعد. احتضنتها زوجته ماريكا، أقرب أصدقاء جيري في القرية، وبكت كما لو أنها فقدت ابنتها، لذلك كان الوقت متأخرًا من الصباح قبل أن نبتعد عن أجيا فوتيا على الطريق الترابي الذي يمتد على طول الجزء السفلي من حديقتنا ونتجه إلى الطريق الساحلي السريع. التي أدت إلى هيراكليون والعبارة إلى البر الرئيسي لليونان.

رحلة الغرب

بدت رحلتنا ملعونة منذ البداية، كما لو أن الآلهة اليونانية التي ابتسمت لنا لفترة طويلة أصبحت الآن غاضبة لأننا أدارنا ظهورنا لجزيرة كريت. لقد تسبب تعليق Woofwagon في مشاكل طوال الصيف وخططنا لإصلاحه قبل عبور أوروبا ولكن ميكانيكي Sitia الخاص بنا لم يتمكن من الحصول على قطع الغيار. كان ذلك يعني التوقف في أثينا حيث تم فرض رسوم زائدة علينا دون حل المشكلة. أجبرتنا قعقعة في النهاية الخلفية بعد ساعة على العودة. عاد Woofwagon إلى المتجر واقترح علينا ميكانيكي جديد تخفيف العبء إذا كنا نأمل في الوصول إلى إسبانيا.

لمدة يومين كنا نتجول في أثينا، في انتظار الإصلاحات وإنفاق الأموال التي لا نستطيع تحملها، بينما قمنا أنا وجيري بتعبئة الكتب وأدوات المطبخ في صناديق وإرسالها بالبريد إلى صديق في إسبانيا. اعتادت كلابنا على السلام والهدوء في حياة القرية، وكرهت المدينة وأصيب رالف بإسهال مستمر تقريبًا.

لقد غادرنا جزيرة كريت ومعنا ألفي دولار كسبتها من كتابة سيناريو فيلم لزملائي في لندن. كان ينبغي أن يكون كافياً لرحلتنا عبر أوروبا والاستقرار في إسبانيا، ولكن نصفها تقريباً قد ذهب حتى قبل أن نصل إلى مدينة باتراس الساحلية. وقبل أن يُسمح لنا بالصعود على متن العبارة المتجهة إلى إيطاليا، أُبلغنا بأننا مدينون بمبلغ 100 دولار كضريبة طريق يونانية غير مدفوعة الأجر - كا تشينج!

كانت العبارة قديمة وبطيئة واستغرقت ليلتين ويومًا لعبور البحر الأدرياتيكي. كانت مقصورتنا خانقة وصاخبة وغير مريحة وكان الطعام فظيعًا. لقد كانت طريقة حزينة لإنهاء ثلاث سنوات رائعة في اليونان. لورانس دوريل، الكاتب الإنجليزي الذي أغرتنا أعماله لأول مرة بالعيش في اليونان، كتب في خلية بروسبيرو: "في مكان ما بين كالابريا (إيطاليا) وكورفو (اليونان)، يبدأ اللون الأزرق حقًا". تراه من العبارة حيث يتغير لون البحر من اللون الأخضر البارد إلى اللون الأزرق العميق والدافئ لبحر إيجه.

عندما ذهبنا في الاتجاه المعاكس، شعرنا بالحرمان عندما تلاشت السماء الزرقاء والمياه الزرقاء في اليونان خلفنا.

كان ميناء العبارات في أنكونا مزدحمًا وقذرًا ولم تكن لدينا أي رغبة في البقاء، فتوقفنا في قرية جميلة على بعد أميال قليلة من الميناء لشراء الطعام وتدريب الكلاب قبل السير على الطريق المؤدي إلى جنوة. وفي محطة وقود في وقت لاحق من ذلك الصباح، اكتشفنا أن معظم أموالنا الإيطالية، أكثر من مائة دولار، قد سُرقت من محفظة جيري في سوق القرية -كا تشينج مرة أخرى!.

وبما أنه كان يوم سبت، كانت البنوك مغلقة ولم يبق لدينا سوى ما يكفي من المال لتغطية رسوم الطرق. قررنا القيادة مباشرة إلى الحدود الفرنسية بسرعتنا القصوى البالغة 50ميلاً في الساعة، وهو الحد الأقصى الذي يمكن أن تصل إليه عربة Woofwagon ذات الحمولة الثقيلة. في تلك الليلة، مع عدم وجود المال لتناول وجبة، انتهينا أنا وجيري والكلاب من تناول السلامي من الغداء وأمضينا ليلة بائسة بلا نوم إلى حد كبير متوقفين خارج مبنى سكني في بلدة صغيرة بين جنوة والحدود الفرنسية.

اكتشفنا مشكلتنا التالية في صباح اليوم التالي عندما حاولنا عبور الحدود. في وقت سابق من ذلك العام، تم مقايضة شاحنتنا الصغيرة Simca مقابل وظيفة سباكة كنت قد قمت بها لبعض الأصدقاء الأمريكيين. كانت مهاراتي في السباكة مطلوبة بشدة بعد تركيب حمام Agia Fotia الخاص بنا، وقمت بتركيب مياه جارية وحمام في منزل قديم اشتروه في قرية مجاورة. نظرًا لأن Woofwagon كان لديه أوراق فرنسية ولوحات ترخيص فرنسية، فقد قامت الشرطة في سيتيا بتوثيق عملية النقل رسميًا باللغة اليونانية على صفحة فارغة في الجزء الخلفي من جواز سفري. لقد كانت مطالبتنا القانونية الوحيدة بالملكية.

نظر المسؤولون الفرنسيون على الحدود إلى التسجيل الفرنسي الرسمي لـ Woofwagon. "إذن أنت السيد والسيدة سانت جون؟"
لا! لقد أوضحنا أنهم المالكين السابقين.
"أين عنوانك إذن؟"
أخرجت جواز سفري مكتوبًا باليونانية على صفحته الخلفية.
نظرًا لأنهم لم يتحدثوا اليونانية ولم يتمكنوا من فهم الأبجدية اليونانية، فقد أدى ذلك إلى إرباكهم أكثر.

"ولكن هذه ليست الأوراق المناسبة!"
اقترحنا عليهم الاتصال بالشرطة في سيتيا لتأكيد مطالبتنا.

"مستحيل!

إضافة إلى المشكلة، كانت ضريبة الطريق الفرنسية في Woofwagon على الأقل

سنة قديمة.

"هل يمكننا شراء ضريبة طريق جديدة؟"

"عدم! المالك فقط يمكنه فعل ذلك."

"لكننا أصحاب!"

"ثم يجب عليك إثبات ذلك."

أشرت مرة أخرى إلى الكتابة اليونانية الموجودة على الصفحة الخلفية، وهزوا أكتافهم مرة أخرى.

"ليس لديك الأوراق الصحيحة!"

كنا نكتشف بشكل مباشر الإحباطات الأسطورية في التعامل مع البيروقراطية الفرنسية. وعلى مدى الساعتين التاليتين،
كنا ننتقل من مكتب إلى آخر، حيث أجرى كبار المسؤولين على نحو متزايد عدة مكالمات هاتفية، ولوحوا بأيديهم في الهواء،
وأطلقوا تنهدات غالية عميقة وأخبرونا أننا نسبب لهم مشاكل كبيرة.

أخيرًا وافقوا على السماح لنا بالمرور بشرط أن نشتري جديدًا

تأمين.

"لكن لدينا تأمين بالفعل."

"التأمين الخاص بك غير صالح في فرنسا."

"ولم لا؟"

"يُدرج تسجيلك الفرنسي الشاحنة على أنها مركبة تجارية؛ أنت بحاجة إلى تأمين تجاري."

"من أين نشتري هذا التأمين؟"

"ليس في فرنسا."

"ولم لا؟"

"بما أنك لا تملك الأوراق الصحيحة التي تثبت ملكيتك للسيارة، فلا يمكنك دفع الضريبة الفرنسية. وبدون دفع الضريبة،
لا يمكنك الحصول على التأمين الفرنسي!

"فكيف يمكننا الحصول على هذا التأمين؟"

"العودة إلى إيطاليا."

لم يكن لدينا خيار سوى العودة إلى إيطاليا وتعقب شخص يرغب في أن يبيع لنا تأمينًا تجاريًا قصير الأجل يوم الأحد.

لقد كلفنا ذلك

200دولار لتغطية خمسة عشر يومًا فقط، وهو مبلغ ضخم بالنسبة لنا، يعادل العيش لمدة شهر في أجيا فوتيا. كا
تشينج!
عند عودتنا إلى الحدود، تم قبولنا على مضض في فرنسا وأوصى حرس الحدود بالقيادة إلى إسبانيا في
أسرع وقت ممكن.
نظرًا لأن السيارة لم تخضع للضريبة بشكل صحيح، يمكن للشرطة أن توقفنا في أي وقت ولكن هذه لن تكون
مشكلتهم؛ لقد كانت مجرد عادات!
بعد متاعب الحدود وليلة من النوم القليل، كنت أنا والكلاب وجيري نأمل في رحلة سلمية عبر فرنسا، لكن
القدر كان له أفكار أخرى. لقد انفجرنا إطارين في تتابع سريع على الطريق المؤدي إلى إيكس أون بروفانس. بعد العثور
على مرآب، وتفريغ السيارة حتى يمكن رفعها، وتركيب إطارات جديدة، وإعادة تعبئة Woofwagon والعودة إلى
الطريق، مرت ليلة ونهار آخر وكنا متجهين إلى إسبانيا بجزء بسيط من المال الذي كان لدينا في البداية. كنا نحبس
أنفاسنا في كل مرة تمر بنا سيارة شرطة على الطريق.

بالطبع لم يصمد حظنا وتم سحبنا على بعد أكثر من ساعة من الحدود. لم يكن الشرطي يتحدث الإنجليزية،
لكنه تمكن من التواصل مع جيري باللغة الإسبانية المكسورة التي تعلمتها في المكسيك. مثل المسؤولين الفرنسيين
السابقين، كان في حيرة من أمره بسبب تعقيدات الوضع القانوني لـ .Woofwagon اتخذت المحادثة مسارًا مألوفًا:
"بوينا تاردي، سينورا، أنت السيد والسيدة سانت جون؟"

لا! شرح جيري الأمر وأخرجت جواز سفري مكتوبًا عليه باليونانية في الخلف. نظر إليها الشرطي وهز رأسه
وحاول اتباع خط جديد من الهجوم: "لكن ليس لديك ضريبة طريق!"

اتفقنا. لقد مررنا بهذا على الحدود الإيطالية في السابق

يوم.

«لكن هذه السيارة للتصدير؛ لا يُسمح بالعودة إلى فرنسا".
نعم كنا نعرف! وقد تمت مناقشة هذا أيضًا إلى ما لا نهاية على الحدود الإيطالية.

تراجع الشرطي إلى سيارته لتلقي التعليمات.
مر الوقت. تشاجرنا بينما هز الشرطي رأسه، أو هز كتفيه، أو هز رأسه وهز كتفيه في نفس الوقت. واقترحنا
طرقًا لإثبات قضيتنا، مثل الاتصال بالمسؤولين على الحدود الإيطالية.

"هذا غير ممكن!"

عاد إلى الراديو في سيارته لمزيد من التعليمات. على الرغم من الارتباك، ظل مهذبًا بلا كلل وأقام هو
وجيري علاقة بينما كانا يكافحان لفهم بعضهما البعض. وأخيرا اعترف بالهزيمة. نظر للمرة الأخيرة إلى جواز سفري
المكتوب باليونانية، وأعاده إليّ بقوس.

وقال مبتسماً: "أنت حر في الذهاب، حاول ألا يتم إيقافك مرة أخرى قبل أن تغادر بلدي".

لم تكن لدينا أية مشكلات على الحدود الإسبانية، ولكن كان ذلك بعد الساعة العاشرة مساءً عندما وصلنا
إلى القرية الصغيرة خارج بلباو حيث انتقلت جين، وهي صديقة من المكسيك (نفس الصديقة التي قمنا بشحن
الوزن الزائد إليها من أثينا)، للزواج صديقها الباسكي. كان الوصول إلى منزلها يعني عبور جسر خرساني منخفض
فوق جدول صغير. وبمجرد عبورنا، وجدنا المنزل مظلمًا ولا يوجد فيه أحد. حاولت بحذر العودة إلى الطريق. يتحطم!
انزلقت العجلة الخلفية القريبة من حافة الجسر الصغير واصطدمت عربة Woofwagon المحملة بكثافة بإطارها.

كان المطر يهطل، كما حدث منذ عبرنا الحدود الإسبانية. لقد خرجنا لتقييم الأضرار. انحنى Woofwagon
وهو في حالة سكر من جانب الجسر. لم يكن هناك أحد في الجوار، ولم نتمكن من فعل أي شيء، لذلك أخرجنا
أكياس النوم وذهبنا إلى المرآب القريب للنوم بعيدًا عن المطر. أيقظتنا المصابيح الأمامية للسيارة بعد ساعة عندما
عادت جين وخطيبها إلى المنزل. بينما ذهب الخطيب للحصول على تعزيزات، أخذتنا جين إلى الداخل وفتحت
زجاجة شمبانيا للاحتفال بوصولنا. سرعان ما عاد الخطيب مع فريق سوكاتيرا المحلي بأكمله (نسخة الباسك من
لعبة شد الحبل) الذين كانوا يحتفلون بالنصر الأخير في حانة قريبة.

تحرك عشرة رجال باسك أقوياء ومخمورين بسرعة إلى العمل.
مع "واحد، اثنان، ثلاثة، هوب!" تمت إعادة Woofwagon بأمان إلى الجسر وتزاحم الفريق في المنزل لشرب المزيد
من الشمبانيا. كان هذا أول تعرض لنا للرياضات المميزة المشهورة في بلاد الباسك، والتي يبدو أن معظمها يتضمن
شكلاً من أشكال السحب أو التقطيع أو الرفع أو الحفر. في اليوم التالي، وقفنا تحت المطر المستمر لمشاهدة
مسابقة idi-probak المحلية (حرفيا اختبار الثيران)، وهي لعبة جر باسكية شعبية حيث تقوم فرق من الثيران
بسحب كتل ضخمة من الحجر، يصل وزن كل منها إلى خمسة

طنًا، ذهابًا وإيابًا على مسار مرصوف بالحصى يبلغ طوله حوالي ثلاثين ياردة بينما يراهن المتفرجون بحماس على النتائج. لقد بدت دائمًا واحدة من أكثر الرياضات عديمة الجدوى التي شاهدتها على الإطلاق.

قضينا يومًا آخر في شمال أسبانيا الرطب، نلنا قسطًا من النوم وتركنا معظم ممتلكاتنا في المخزن مع جين وخطيبها قبل التوجه جنوبًا في عربة Woofwagon المضيئة كثيرًا للقاء دوج وكريستين في كويداد رودريجو. لقد خططوا لقضاء الأسابيع الثلاثة القادمة لمساعدتنا في العثور على مكان جديد للعيش فيه قبل العودة إلى كندا. بعد جمعهم من المدخل في كويداد رودريجو حيث كانوا يحتمون من المطر، توجهنا بالسيارة إلى المنحدرات الشمالية ذات الغابات الكثيفة في لا سييرا دي فرانسيا إلى قرية لا ألبيركا الجبلية التي تعود للقرون الوسطى.

لا ألبيركا

أذهلتني La Alberca منذ اللحظة التي رأيت فيها لأول مرة صورًا للقرية في دليل إسباني عندما كنت لا أزال في أجيا فوتيا، وتمنيت أن تصبح موطننا الجديد. لا بد أنها واحدة من أغرب القرى في أوروبا، وهي الآن نصب تذكاري تاريخي وطني. تظل المباني المتدلية ذات الإطارات الخشبية والقش دون تغيير منذ العصور الوسطى. يمتد الطابقان الأول والثاني ليتلامسا تقريبًا عبر الشوارع الضيقة المرصوفة بالحصى. إنه يذكرني بشارع "شامبلز" الذي يعود للقرون الوسطى

تعتبر يورك، إنجلترا، باستثناء شامبلز، مكانًا للسياح، بينما ظلت لا ألبيركا قرية جبلية عاملة يبلغ عدد سكانها حوالي ألف نسمة، وتصديرها الرئيسي لحم الخنزير الجبلي الأسود الذي يتدلى من عوارض مظلمة بالدخان في الطابق الأرضي من كل منزل تقريبًا.

وظهر البناء القديم من الحجر والخشب من خلال الجص المتقشر على العديد من واجهات المنازل، التي تواجه الشوارع المرصوفة بالحصى التي تحولت إلى مجاري أنهار أثناء ذوبان الثلوج والأمطار الغزيرة في فصل الربيع. لقد كانت قرية غارقة في الأجواء، ومعزولة إلى حد كبير عن بقية إسبانيا حتى القرن العشرين وما زالت تحتفظ بالعادات والتقاليد التي اختفت منذ فترة طويلة في مكان آخر. عند وصولنا، رافقت المزامير والطبول موكبًا دينيًا كئيبًا مر عبر شارع القرون الوسطى حيث كنا نقف، وكان الكهنة والمساعدون يرتدون أردية لم تتغير كثيرًا عن القرن الرابع عشر . مع وجود عدد قليل من الزوار في وقت متأخر جدًا من العام، كان الدخول إلى Alberca La بمثابة المرور عبر طريق

يلتف الزمن في قرية تقطعت بها السبل في الوقت المناسب. وبدا القرويون في الشارع أيضًا خالدين، حيث كانوا يرتدون ملابس قاتمة عديمة الشكل والنساء مغطيات بأغطية رأس داكنة لحمايتهن من الطقس. توقف المطر لكن السحب العاصفة كانت تخيم على القرية وسقط ضباب رطب على ملابسنا مثل الندى الكثيف.

رؤيتي الرومانسية للعيش والكتابة في أحد هذه المباني نصف الخشبية الخلابة وأن أصبح جزءًا من هذه القرية التي تعود للقرون الوسطى، كما حدث في أجيا فوتيا، كانت تخضع للواقع. أثناء سيره عبر غابة البلوط الكثيفة المحيطة بالقرية، أشار جيري إلى الطحلب الذي ينمو عند قاعدة جميع الأشجار. ينمو الطحلب في مواجهة الطقس السائد؛ وفي لا ألبيركا، حلق حول كل شجرة، مما يشير إلى أن المطر جاء من جميع الاتجاهات.

جيري وضعت قدمها إلى أسفل. ربما تم نطق عبارة "على جثتي نعيش هنا". لقد اعتقدت أن لا ألبيركا هو المكان الأكثر رعبًا الذي رأته على الإطلاق، فهو رطب وخانق، حيث يتفاعل القرويون غير الودودين بشكل مريب مع كل استفسار حول منازل للإيجار. لم تنتبه إلينا سوى امرأة عجوز واحدة، ودعت إلينا للدخول إلى منزلها على أمل بيع بعض النقانق المدخنة في المنزل -وهو أحد تخصصات لا ألبيركا الأخرى. كانت الغرفة ذات العلم الحجري معتمة وقذرة، وجدرانها ملطخة بالرطوبة، وسقفها ذو عوارض منخفضة للغاية لدرجة أنني بالكاد أستطيع الوقوف. كان لحم الخنزير والنقانق معلقًا في كل مكان، وكانت رائحة الدم كثيفة لدرجة أنها كانت تشبه دخول مسلخ. يبدو أن رومانسيتي تجاه La Albercaيجب أن تفسح المجال أمام التطبيق العملي.

اشترينا بعضًا من النقانق المحلية ولكن انتهى بنا الأمر إلى رميها بعيدًا بعد أن نضجت لعدة أيام في الجزء الخلفي من السيارة حيث لم تأكلها حتى الكلاب.

تحول الضباب مرة أخرى إلى مطر بينما كنا ننزل إلى الجبل، وتحولت شوارع القرون الوسطى إلى كآبة خلفنا، وفكرت في مسرحية ليرنر آند لوي الموسيقية بريجادون، التي تدور حول قرية اسكتلندية غامضة لا يمكن رؤيتها إلا ليوم واحد كل قرن.

وعلى الرغم من أن زوجتي لم تسمح لي بالعيش في لا ألبيركا، إلا أنني لم أفقد افتتاني بالقرية أبدًا. وبعد مرور عقد من الزمن، قمت بإحضار طاقم تصوير مكون من 50شخصًا وأكثر من اثني عشر ممثلًا من جميع أنحاء أوروبا إلى مشاهد الفيلم في مسلسلي التاريخي "الخط الزمني" الذي أنتجته على قناة PBSعام 1989. أصبحت الشوارع المرصوفة بالحصى والأزقة في العصور الوسطى باريس خلال الموت الأسود في القرن الرابع عشر

سينشري يورك في زمن ويليام الفاتح، بينما ظهر المئات من القرويين "غير الودودين والمريبين" بحماس كإضافات خلال ال 11 أسبوع التصوير. ولكن هذا كان كل شيء في المستقبل.

في تلك الليلة في فندقنا في كويداد رودريجو، حان الوقت لاتخاذ قرار صعب. لقد غادرنا جزيرة كريت متوقعين الاستقرار في إسبانيا، لكن آلهة البلاد لم ترحب بنا. من المحتمل أن يكون الأمر مخيبا للآمال في أي مكان بعد جزيرة كريت ولكننا لم نر أي سبب للبقاء في إسبانيا.

كان دوج وكريستين موجودين بالفعل في البلاد لمدة أسبوع وكانا على استعداد للمضي قدمًا، لذا توجهنا في صباح اليوم التالي غربًا إلى البرتغال، على أمل الحصول على ترحيب أكثر دفئًا وجفافًا عبر الحدود.

إذا لم تكن آلهة إسبانيا تريدنا، فقد بدا أن الآلهة البرتغالية تبسط سجادة الترحيب. اخترقت الشمس الغيوم بعد وقت قصير من دخولنا البلاد وكان الجو مشمسًا وحارًا عندما وصلنا إلى لشبونة.

كان كلابنا باف ورالف ينامان في Woofwagon معظم الليالي بعد مغادرة جزيرة كريت، ولكن في اليوم التالي نزلنا من فندقنا لنكتشف أن رالف قد تقيأ بكثرة في جميع أنحاء الجزء الخلفي من الشاحنة بينما كان Puff يمضغ الصاري ويقوم بتزوير النموذج الوحيد غادر القارب من بين العشرات التي صنعتها في أجيا فوتيا. لو كنا بمفردنا، ربما كان ذلك سيحبطنا، لكن مع مشاركة دوج وكريستين في مشاكلنا، ضحكنا جميعًا بشكل هستيري.

لقد أمضينا عشرة أيام على الطريق وحان الوقت للتوقف عن السفر والعثور على منزل جديد. كانت لشبونة جميلة ولكنها باهظة الثمن لذا توجهنا جنوبًا نحو الغارف.

نفدت الأموال والأراضي في نفس الوقت تقريبًا عندما وصلنا إلى بورتيماو على الساحل الجنوبي للبرتغال. لقد باعت منطقة الغارف روحها للسياحة قبل عقد من الزمن، ولم تكن موانئ اليخوت المترامية الأطراف والفيلات السياحية والفنادق التي لا نهاية لها تحظى بجاذبية كبيرة، لذلك اتجهنا شمالاً وتوجهنا إلى الجبال الكثيفة الأشجار التي تطل على الغارف للعثور على منزل بأسعار معقولة للإيجار .

المنتجع الصحي المسكون

على الرغم من أننا عشنا في البرتغال لمدة تقل عن سبعة أشهر، إلا أنها كانت فترة مهمة في جيري وعلاقتي، وتمرين التخرج بعد السنوات التي قضيناها في اليونان. لو كانت أجيا فوتيا تدرس، لكانت البرتغال هي المباراة النهائية

الامتحان، ويختبرنا بطرق أكثر يمكن أن نتخيلها. إذا نجا زواجنا من ذلك، فإنه يمكن أن ينجو من أي شيء.

مع عدم وجود فنادق في مدينة السوق مونشيك، بقينا نحن الأربعة في منتجع صحي غريب ومهجور تقريبًا يُدعى كالداس دي مونشيك، على بعد أميال قليلة من المدينة بينما كنا نبحث عن منزل. أربعة ينابيع كبريتية منفصلة تغذي الحمامات العامة التي تم إنشاؤها لأول مرة خلال العصر الروماني حيث كانت هناك مجموعة من المباني الأنيقة التي كانت ذات يوم ولكنها متدهورة الآن والتي تعود إلى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (بعضها ذو أسقف جملونية شديدة الانحدار وزخرفة خبز الزنجبيل ورسومات توضيحية تشبه البرج من قصة هانز أندرسون الخيالية) تم وضعها بين الأبراج الشاهقة القديمة. الأشجار في أسفل الوادي. كان المنتجع الصحي يتمتع بشعبية خاصة خلال العصرين الفيكتوري والإدواردي، عندما جاء المجتمع الراقي (بما في ذلك الملوك) من جميع أنحاء أوروبا "للاستيلاء على المياه"، ولكن أيام مجده كانت منذ فترة طويلة في الماضي. لقد كانت رخيصة للغاية. تم إغلاق مبنى المستشفى المتهالك بجانب فندق السبا. كان النوادل الذين يرتدون الزي الرسمي والذين يقدمون لنا العشاء بصمت في غرفة الطعام القاتمة مثل أشباح من عصر مضى. كنا الضيوف الوحيدين.

أصبحت كالداس دي مونشيك عصرية مرة أخرى في القرن الحادي والعشرين بفيلاتها السياحية ومنتجع صحي حديث وفندق أربع نجوم، ولكن في عام 1979كان الأمر أشبه بالوقوع في صفحات رواية لدوستويفسكي. لم يكن الهواء خاليًا أبدًا من رائحة الكبريت، وكانت تراودنا أحلام غريبة كل ليلة طوال الأسبوعين اللذين قضيناهما هناك. أقسم دوج أنه رأى شبح إحدى الراهبات من دير راهبات قريب مدمر عند إحدى نوافذ المستشفى.

مع وجود المنتجع الصحي المسكون كقاعدة لنا، خرجنا بحثًا عن منزل للإيجار. مع اختفاء معظم أموالنا من جزيرة كريت، وانتهاء المخصصات الصغيرة التي قدمها والدا جيري في أمريكا في العام الجديد، كنا سنعتمد كليًا على كل ما يمكننا الحصول عليه من الكتابة والعثور على عمل محلي بمجرد استقرارنا. كانت الشقق والمنازل القليلة المتاحة إما باهظة الثمن أو غير صالحة للسكن. وبما أن شرطة السياحة في جزيرة كريت كانت معروفة بتقديم المساعدة في بعض الأحيان فيما يتعلق بالسكن، فقد جربنا مركز شرطة مونشيك بعد أسبوع من البحث غير المثمر عن منزل لمعرفة ما إذا كان لديهم أي أفكار. كان رجال الشرطة الجالسين على المكتب يتحدثون الإنجليزية قليلاً وبدوا مذهولين من سؤالنا، ومن الواضح أنهم غير معتادين على الأجانب المعدمين الذين يطلبون مثل هذا السؤال.

مساعدة. كان سؤالهم الأول، بمزيج من التمثيل الصامت واللغة الإنجليزية المكسورة، يتعلق بسياستنا.

لقد مرت خمس سنوات فقط منذ أن أطاحت ثورة غير دموية إلى حد كبير في عام 1974بأكثر من أربعين عامًا من الحكم الفاشي في عهد الدكتاتور سالازار وخلفائه. وحصلت المستعمرتان الأفريقيتان المتبقيتان في البرتغال، أنجولا وموزمبيق، على استقلالهما بعد عام واحد، وبحلول الوقت الذي وصلنا فيه كان أكثر من مليون مواطن برتغالي قد عادوا إلى ديارهم كلاجئين معوزين، مما خلق فوضى اقتصادية وسياسية. على مدى السنوات الخمس الماضية، كانت هناك انتخابات متعددة ومحاولات انقلابية وصراعات عنيفة على السلطة بين الجيش البرتغالي والملكيين والمحافظين والاشتراكيين والشيوعيين والتي بلغت ذروتها بانتصار الاشتراكيين في انتخابات عام 1980. ومع مرور أقل من عام على هذه الانتخابات، لم يكن مفاجئًا أن ترغب الشرطة في معرفة موقفنا. لم نكن نعلم أن أيًا من هذا كان آمنًا وقمنا بتقليده "في المنتصف"، وهو ما بدا أنه يرضيهم. قالوا لنا أن ننتظر حتى يستدعوا شخصًا يمكنه مساعدتنا.

التقينا لأول مرة في مركز الشرطة بروجيريو، وهو عامل بناء منازل محلي مفتول العضلات ويتحدث الإنجليزية بشكل جيد وكان يخطط لاحتكار سوق البناء للأجانب ومعظمهم من البريطانيين الذين بدأوا في بناء منازل لقضاء العطلات حول مونشيك. بمجرد أن أدرك أننا لا نملك المال، اعترف روجيريو بأنه يمتلك مزرعة قديمة على سفح الجبل فوق مونشيك والتي قال إنها بدائية بعض الشيء ولكنه سيعطيها لنا بدون إيجار إذا اتفقنا على إصلاحها. هل كنا مهتمين؟ قلت، مع عدم وجود ما نخسره، "دعونا نلقي نظرة"، واحتشدنا أنا ودوغ وكريستين وجيري في سيارة روجيريو لاند روفر وتوجهنا إلى أعلى الجبل بينما أشاد روجيريو بفضائل المنطقة.

منزل على التل

كان المنزل يقع على بعد كيلومتر واحد من طريق وعر، لا يمكن الملاحة فيه إلا بواسطة سيارات الدفع الرباعي، ويتفرع من طريق ترابي كان في حد ذاته على بعد عشر دقائق بالسيارة من أقرب طريق مرصوف بين مونشيك وفويا، وهي أعلى نقطة في الغارف. كان منزل مزرعة نموذجيًا محاطًا بجدران حجرية وسقفًا مائلًا من القرميد الأحمر، وقد تم بناؤه على جانب التل من أجل الدفء مثل مئات المنازل الأخرى المنتشرة عبر تلال الغارف. وكان يقف على أعلى سلسلة من مصاطب المزارع المهملة، التي سقط بعضها بأشجار الزيتون

بعيدًا أسفل الجبل إلى حيث غطت غابات بلوط الفلين والأوكالبتوس التلال المنخفضة التي استواءت في النهاية على سهل مسطح يؤدي إلى بورتيماو والبحر. كان المنظر مذهلًا، حيث كان ينظر جنوبًا فوق منطقة الغارف بأكملها من فارو في الشرق إلى الطرف الجنوبي الغربي للبرتغال على بعد 30 ميلًا إلى الغرب.

كان المنزل أقل لالتقاط الأنفاس. كان الجزء الأقدم عبارة عن غرفة مستقرة ومدمرة بها منصة نوم منهارة ومتعفنة وفتحات كبيرة في السقف. كان عمر الجزء الأحدث أقل من خمسين عامًا، ولكن انطلاقًا من الشجيرات التي يصل ارتفاعها إلى الخصر والشجيرات التي نمت حتى الجدران، لم يعش أحد هناك منذ سنوات عديدة.



باب خشبي مثقوب به فتحة على طراز الحديث تفتح على قاعة ضيقة بها أبواب تؤدي إلى أربع غرف. تحتوي الغرفتان الأماميتان على نافذة واحدة لكل منها مصاريع خشبية ولكن بدون زجاج. لم تكن هناك نوافذ في الخلف. الضوء الوحيد الذي يأتي من خلال الأبواب ومن الشقوق في بلاط السقف حيث كانت الغرفتين الخلفيتين مفتوحتين على السطح بدون سقف.

ولم يكن لدى المنزل كهرباء ولا مياه جارية ولا حمام.
كانت الأرضيات الداخلية أرضًا مدمرة وكان المنزل خاليًا باستثناء فرن ضخم من الطوب يعمل بالحطب في إحدى الغرف الخلفية حيث كانت الجدران وبلاط السقف مسودًا بسبب عقود من السخام. نادرًا ما كانت منازل الفلاحين البرتغاليين تحتوي على مداخن، لذلك كان الدخان الناتج عن نيران الطهي والأفران يتسرب من خلال البلاط غير المحكم، مما يجعلها تبدو من الخارج كما لو كان المنزل بأكمله

كان السقف مشتعلا. كانت رائحة المنزل عفنة ورطبة؛ كانت الأرضية الترابية مليئة بالفوهات حيث تسربت الأمطار لسنوات من خلال البلاط المكسور في السقف.

كانت هذه المزرعة التقليدية البدائية، بالإضافة إلى خمسة أفدنة من المدرجات والبساتين والغابات وأشجار الزيتون التي جاءت معها، هي التي عرضها روجيريو علينا مجانًا، ووعدنا بتوفير جميع المواد والأدوات التي نحتاجها لجعلها صالحة للسكن. . صعدنا أنا ودوغ إلى السطح ووجدناه في حالة جيدة باستثناء الأماكن التي سمح فيها المطر بالبلاط المكسور. اقترح روجيريو أخذ بلاط جيد من سقف الإسطبل ليحل محل البلاط المكسور في المنزل الرئيسي. كان يرسل شخصًا في اليوم التالي ليبين لنا ما يجب القيام به، ويحضر معه الأسمنت والرمل والمجارف وأي أدوات أخرى نحتاجها.

خارج الإسطبل، كانت المياه تجري من بئر أفقية محفورة في الجبل (يُسمى منجم في الغارف) إلى صهريج خرساني يبلغ طوله اثني عشر قدمًا وعرضه ستة أقدام وعمقه أربعة أقدام تقريبًا، وهو أخضر مليء بالطحالب ومليء بنباتات المياه الكبيرة و مستعمرة مزدهرة من الضفادع. كان هناك حجر مائل من الجرانيت موضوع على جانب الصهريج لغسل الملابس، بينما كان هناك أنبوب آخر يغذي حوضًا خرسانيًا ضحلًا بجوار الصهريج الأكبر الذي كان من الواضح أنه الحمام الخارجي. وكانت المياه تتدفق باستمرار من المنجم، وكان الفيضان يشكل جدولاً صغيراً لري بستان متضخم وشرفة كانت في السابق حديقة. وكانت الأشجار في البستان مليئة بالبرتقال والليمون والرمان الناضج. كانت هناك شجرة تين خارج الباب الأمامي. كانت الشمس مشرقة، وكانت دافئة، ولاحظ جيري أنها شعرت وكأنها جنة عدن.

أوصلنا روجيريو خارج مركز الشرطة وتصافحنا بشأن الصفقة، ثم عدنا إلى كالداس دي مونشيك للاحتفال.
فقط بعد زجاجة Vino Verde الثالثة، ظهر الواقع. عاد دوغ وكريستين إلى كندا في أقل من أسبوع، وكان لدينا القليل من المال، وكان الشتاء تقريبًا وكنا ملتزمين بتدمير منزل بدون أثاث وأقل

وسائل الراحة من منزل أجيا فوتيا لدينا في البداية. هل ارتكبنا خطأ فادحا؟

لقد أمضينا صباح اليوم التالي نحاول العثور على المنزل مرة أخرى. قال روجيريو إنه كان من الأسهل الوصول إليه من الأسفل وأظهر لنا مكان الطريق الترابي
بدأ قائلا بشكل غامض "إنها هناك" دون أن يوضح بالضبط أين "أعلى".

كان يوجد. تبدو جميع بيوت المزارع البرتغالية المهجورة من مسافة بعيدة متشابهة ويتفرع الطريق الترابي إلى العديد من المسارات الأصغر حجمًا التي يتعذر عبورها تمامًا بالنسبة لـ Woofwagon. تركنا السيارة وصعدنا إلى خط الأشجار وكانت الكلاب تلهث بسعادة بجانبنا، وتلتف حول قمة التل حتى تطابق المنظر مع ما رأيناه في اليوم السابق. استغرق الأمر خمس ساعات، لكن المنظر كان مذهلاً كما كان من قبل، وبدا المنزل مهجورًا تمامًا.

من أين أبدا؟

لقد عثرت مؤخرًا على رسائل كتبتها جيري إلى والديها خلال تلك الأيام الأولى. كما كتبت في ذلك الوقت: "لا تزال لدي أنا وليو شكوك كبيرة حول الفكرة برمتها، حيث نستيقظ في الرابعة صباحًا ونشعر بالقلق بشأن كل ما يمكن أن يحدث بشكل خاطئ. لكن في كل مرة نصعد إلى هناك يبدو الأمر أكثر احتمالا وليس جنونيا كما بدا للوهلة الأولى. باختصار نحن نحب ذلك أكثر وأكثر. لقد أمضينا اليوم هناك اليوم، وهو يوم مشمس رائع ذو سماء زرقاء، وكلما فكرت في الأمر أكثر، كلما بدا لي أن هذا هو ما أردناه دائمًا. ألم نقل إننا نريد مكانًا قديمًا لإصلاحه حيث يمكننا استخدام الطاقة البديلة، مكانًا في البلاد محاطًا بالأشجار والمساحات الخضراء؟ حسنًا، هذا يناسب كل تلك الأوصاف. إنها حالة أقسى قليلاً مما كنا نتصور. لكن بافتراض أننا نحب المكان هنا، وبافتراض أننا سنكسب أي أموال، فيمكننا حتى شراء المكان، على الرغم من أن هذا في المستقبل البعيد.

كن حذرا مما ترغب فيه!

كان دوج وكريستين بمثابة غطاء الأمان الخاص بنا في الأسبوع الأول، حيث كانا هادئين وكفؤين وتوازنًا رائعًا لحظات الشك والذعر التام لدينا؛ تمكنا معًا من الضحك والمزاح حول الكوارث الأخيرة حيث حاولنا أن نجعل المنزل صالحًا للسكن قبل رحيلهم. كان دوغ حطابًا في كولومبيا البريطانية وكان معتادًا على تخشينه، وعلمني أفضل طريقة لقطع الحطب، وإشعال النار في الفرن لتجفيف المنزل، وقطع أشجار الأوكالبتوس لبناء الأثاث الأساسي -مثل هيكل السرير. .

أدت محاولاتنا الأولية لإصلاح السقف إلى كسر بلاطات أكثر مما قمنا باستبداله، ولكن مع مرور الأيام وعدم تنفيذ روجيريو أبدًا للنصائح والأدوات والمواد الموعودة، أدركنا أننا كنا وحدنا ونحتاج إلى إيجاد الحلول الخاصة بنا. اتضح أن روجيريو كان مشهورًا بتقديم الوعود التي لم يكن لديه أي نية للوفاء بها؛ وبعد عام تم القبض عليه بتهمة أخذ أموال من أجل فيلا لم يبنيها قط.

لقد أحضرنا معنا منشارًا وأدوات أساسية أخرى من جزيرة كريت. بعد أن أرسل لنا والدا جيري هدية مالية غير متوقعة ولكنها مرحب بها من الولايات المتحدة، تمكنا من شراء مجرفة ومعول ودلاء وفوانيس زيت وغيرها من الضروريات الأساسية، بما في ذلك مرتبة حملها دوغ على طول الطريق الجبلي. رأسه لدهشة السكان المحليين من بيوت المزارع الأخرى المنتشرة عبر الجبل. بعد اليوم الأول، وجدنا أنه من الأسهل مغادرة Woofwagon على الطريق الترابي فوق المنزل والمشي لمسافة الكيلومتر الأخير أسفل التل.

المثبت العلوي

خلال الأيام القليلة التالية، قضينا كل ساعة من ساعات النهار في المنزل، نضيء طريقنا عائدين بالمصابيح الكهربائية إلى Woofwagon ونقود السيارة للنوم في المنتجع الصحي المسكون حيث نشرب كميات وفيرة من النبيذ في غرفة الطعام الكهفية والمهجورة. كما وضعنا خططًا لليوم التالي. لم يكن بإمكاننا فعل ذلك بدون دوج وكريستين. قمنا بإزالة الفرشاة من جميع أنحاء المنزل، واستبدلنا العشرات من بلاط السقف المكسور في الجزء الأحدث من المنزل، وقمنا بقطع وتكديس ما يكفي من الحطب للاستمرار لعدة أشهر، وأبقينا الفرن مشتعلًا بشكل شبه مستمر لطرد الرطوبة من الجدران والأرضيات. كان الجزء الداخلي في كثير من الأحيان مليئًا بالدخان الخانق، وكان السقف يبدو وكأنه مشتعل، لكن المنزل كان يجف ببطء.

بالنسبة للأثاث، قمت ببناء هيكل سرير من أشجار الأوكالبتوس الصغيرة التي قطعها دوج في الغابة القريبة، وكان ثقيلًا جدًا لدرجة أننا قمنا بتثبيته معًا في مكانه في الغرفة الأمامية التي اخترناها كغرفة نومنا. تم إعادة تصميم منصة النوم المنهارة من الجزء القديم من المنزل لتصبح طاولة للغرفة الأمامية الثانية ورفوف للمطبخ وغرفة المعيشة التي علقناها بحبال من السقف.

بعد ذلك، صنعت سطح المطبخ بالطوب والألواح الإضافية من منصة النوم بدائرة مقطوعة من أحد الأطراف، ووضعت فيها وعاء غسيل بلاستيكي. لقد كان حوضًا خامًا ولكنه فعال به فتحة في الأسفل تُفتح وتُغلق بسدادة نبيذ ودلو تحتها.

كان هناك موقد غاز البروبان بشعلتين للطهي، والمزيد من الدلاء والأحواض لنقل المياه من الصهريج، وراديو يعمل بالبطارية وشريط لاصق للترفيه، وكرسيان من القماش أحضرناهما معنا من كريت من أجل

يجلس. عندما كانت الشمس مشرقة، كانت الحياة جيدة. وعندما هطل المطر، كنا نسارع إلى إصلاح التسريبات الجديدة في السقف التي كانت تظهر دائمًا.

اعتقدت الكلاب أن المكان هو الجنة، على الرغم من أنه منذ اليوم الأول تقريبًا، تعلم اثنان من طيور القيق الأزرق لهما عش في البستان كيفية مضايقة الذليل العجوز رالف بلا رحمة. في جزيرة كريت، كان كلب صيد وافترض أن جميع الطيور تعتبر صيدًا عادلًا. طاردهم. ينبحون بعنف، حيث انقضوا فوق رأسه ليهبطوا في أقصى نهاية الشرفة، ثم انتظروا حتى كاد أن يصل إليهم قبل أن يطيروا عائدين أمام المنزل. عاد رالف إلى الخلف، وهو ينبح بشكل محموم أكثر من أي وقت مضى، حيث قادته الطيور من جانب إلى آخر من المنزل عدة مرات قبل أن يستقر بعيدًا عن متناوله على السطح للسخرية من جهوده. لقد كانت لعبة لم يتعبوا من لعبها طوال الوقت الذي عشناه على الجبل. وبعد أشهر كنا لا نزال نجد رالف يندفع بجنون إلى الأمام والخلف أمام المنزل بينما كان طائرا القيق الأزرق يصرخان بالشتائم فوق رأسه.

كنا نعتزم الانتقال إلى المنزل بعد عودة دوج وكريستين إلى كندا؛ 1نوفمبر ،1979ثلاثة أسابيع منذ أن وجدناهم لأول مرة يحتمون من المطر في مدخل كويداد رودريجو. بدا الأمر منذ عمر. كان الوداع مؤلمًا جدًا؛ لقد أصبحنا نعتمد على شركتهم كثيرًا. تناولنا الإفطار الأخير معًا في كالداس دي مونشيك وأوصلناهم إلى محطة القطار في بورتيماو قبل أن نعود ببطء إلى الجبل، ونشعر باليأس والخوف الشديد. كنا في بلد غريب لا نتكلم لغته، مع القليل من المال ومزرعة ريفية بالكاد صالحة للسكن. في تلك الليلة الأولى أشعلنا النار على الشرفة أمام المنزل، وجلسنا على كراسينا المصنوعة من القماش ثملنا بشدة بالنبيذ المحلي بينما كنا نشاهد الشمس وهي تغرق في البحر واستمعنا إلى الموسيقى الشعبية الأمريكية من محطة إذاعية برتغالية في كاسكايس .

وعلى مسافة بعيدة كانت أضواء بورتيماو تظهر ولكن لم تظهر أي أضواء أخرى على جبلنا؛ شعرنا بالوحدة في عالم غريب.

الأسابيع الأولى

كانت مهارات الاكتفاء الذاتي التي تعلمناها في جزيرة كريت مفيدة بشكل خاص في تلك الأسابيع الأولى. قضيت عدة أيام في استخدام الفأس لهدم الجدار الحجري الداخلي بين الغرف الأمامية والخلفية التي خططنا لدمجها في غرفة المعيشة والمطبخ. لحسن الحظ أنه لم يجلب كله

المنزل باستمرار. ثم جاء بعد ذلك وضع الأرضيات الخرسانية في القاعة وغرف المعيشة.
بعد أن وضعنا السرير الضخم في الغرفة الأمامية الأخرى، لم نتمكن من إخراجه مرة أخرى، لذا تركنا غرفة النوم بأرضية ترابية، وقمنا بتغطيتها بسجادة منسوجة من أكياس التسوق البلاستيكية الزرقاء التي أحضرناها من جزيرة كريت. كانت خطتنا هي وضع أرضية جديدة بمجرد الانتهاء من كل شيء آخر.

لقد تبين أن الحياة في البرتغال مختلفة تمامًا عما كنا نأمله ونتوقعه. في جزيرة كريت كانت هناك مساحات شاسعة من الوقت للكتابة والاجتماع بالأصدقاء والاستمتاع بحياتنا معًا. والآن لم يعد هناك وقت لأي شيء سوى العمل في المنزل. الذهاب إلى مونشيك للحصول على الطعام أو المواد يضيع نصف يوم؛ استغرق كل شيء وقتًا أطول بكثير مما كان مخططًا له. ومع تغير الطقس الجيد إلى ضباب وأمطار، استغرقت الأرضيات الخرسانية عدة أيام حتى تجف، وكذلك الحال مع الجص المستخدم في ترميم وملء الجدران المتهدمة. أثناء جلوسنا في غرفة الفرن التي يسودها الدخان للتدفئة في المساء، كل ما تحدثنا عنه هو مشاكل المنزل وكيف يمكننا توفير المال القليل المتبقي. ولكن ببطء أصبح المنزل صالحًا للسكن.

كان التحدي الأكبر هو حمل المواد الثقيلة، مثل أكياس الأسمنت بوزن 50كيلو، لمسافة الكيلومتر الأخير من المكان الذي تركنا فيه السيارة. كان دوج قد اقترح أن نبني مزلجة بدائية من الأعمدة والألواح الخشبية المتبقية من منصة النوم المنهارة في الجزء المدمر من المنزل، وهذا ما فعلته، حيث قمت بتثبيت صندوق برتقالي في الأعلى.



كانت هذه الزلاجة البدائية هي الطريقة التي كنا ننقل بها مواد البناء إلى المنزل. اشترينا الأسمنت في مونشيك وقمنا بحفر الرمال من التلال فوق المنزل حيث تم حفر منجم للمياه قبل سنوات عديدة. تناوبنا أنا وجيري على سحب الزلاجة وانتهى بنا الأمر إلى الإصابة بكدمات من حزام الحبل. استغرق اثني عشر صندوقًا من الرمال البرتقالية الكثير من السحب عندما كانت كومة الرمال على بعد عشر دقائق من طريق صخري شديد الانحدار. اتضح فيما بعد أن هذا النوع من الرمل كان خاطئًا للخرسانة وأن الأرضيات بدأت في الانهيار بعد وقت قصير من وضعها ولكنها لا تزال أفضل من التراب.

كان التحدي الكبير التالي الذي واجهنا هو النوافذ الموجودة في كل غرفة أمامية. مع عدم وجود زجاج ومصاريع مشوهة بشكل سيئ، كانت الغرف متجمدة حتى مع استمرار احتراق الفرن. النوافذ الجديدة لم تكن ضمن ميزانيتنا لذا خططنا لتغطية الفتحات بالبلاستيك لفصل الشتاء. ولكن في إحدى الأمسيات، عندما كانت العزلة تضغط علينا، تناولنا العشاء في مطعم دجاج بيري بيري على الطريق من مونشيك إلى فويا. دجاج بيري بيري هو طبق برتغالي حار حيث يتم نقع الدجاج الكامل في عجينة سميكة من الفلفل الحار والثوم والأوريجانو والسكر والليمون ويتم طهيها على مواقد ضخمة.

كان يتم تقديمه مع الأرز الطازج وإبريق من النبيذ الأحمر المحلي المبرد قليلاً، وكان رخيصًا وترياقًا رائعًا لأمسية بائسة من شهر نوفمبر بعد أيام من العمل البدني الشاق. أصبح الطقس باردًا ورطبًا، وتساقطت السحب الثقيلة على سفح الجبل لتغطي منزلنا بضباب كثيف ورطب.

وحتى في وقت متأخر من الموسم، بدا أن عدد السياح يفوق عدد السكان المحليين على الساحل، ولكن في الجبال، كان الأجانب لا يزالون نادرين بما يكفي لجذب الانتباه. كان يجلس على الطاولة المجاورة ديك، وهو فنان أمريكي في منتصف العمر وزوجته الفرنسية بيني، اللذين كانا يعيشان في لندن ولكنهما كانا يملكان فيلا واستوديو في مكان قريب حيث كانا يمضيان الصيف في ورش الرسم والفخار. تواصلنا مع الدجاج والنبيذ المحلي الخام، وأخبرناهم بخططنا. وكانا على وشك العودة إلى إنجلترا، لكنهما دعانا لتناول العشاء في منزلهما في الليلة التالية. تم استبدال النوافذ الخشبية القديمة وخططت بيني لاستخدام الإطارات القديمة للشاشة الحريرية ولكنها عرضت علينا اثنتين بدلاً من ذلك -مكتملتين بالزجاج.

لقد حملنا أنا وجيري كنوزنا إلى أسفل تلتنا بعناية كما لو كانت الألواح عبارة عن بلورات لا تقدر بثمن. لقد كانت كبيرة جدًا ولكني قمت بقطع واحدة منها وتثبيتها في مكانها في غرفة المعيشة. لا يمكن فتحه ولكن من يهتم؟ هو -هي

أغلقنا الغرفة حتى نتمكن من النظر إلى الخارج ورؤية المنظر في الأيام التي انقشع فيها الضباب.

ظلت هناك مهمة رئيسية واحدة قبل اعتبار المنزل صالحًا للسكن. كنا لا نزال بحاجة إلى الفرن للتدفئة، مما يعني أن المنزل كان إما متجمدًا أو مليئًا بالدخان في الليل. قررت أن أبني مدفأة حقيقية في غرفة المعيشة، أعمل وفقًا للتعليمات الواردة في كتاب Foxfire الذي أصبح كتابنا المقدس لتحقيق الاكتفاء الذاتي خلال السنوات التي قضيناها في جزيرة كريت. كان عمر مشروع Foxfire آنذاك أكثر من عقد من الزمن، وهو عبارة عن سلسلة من المجلات الفصلية والكتب المختارة التي قدمت نصائح مفصلة حول الحرف اليدوية في جبال الآبالاش المتنوعة مثل بناء كوخ خشبي، وذبح خنزير، والحدادة. مع فصل كامل عن بناء المدفأة والمدخنة، ونجاحي السابق مع موقد بيثاري في جزيرة كريت، كنت واثقًا من النجاح. كان جيري أكثر شكا.

كان أقرب جيراننا أسفل التل عبارة عن عائلة برتغالية شابة اشتراكية شرسة قامت بتحويل مزرعة فلاحية مدمرة وكانت تعمل على "العودة إلى الأرض" الاكتفاء الذاتي. كان دييغو قائدًا لمجتمع عائلي صغير يضم زوجته وطفله الصغير وشقيقيه مع صديقات يأتون ويذهبون على فترات غير منتظمة. مثل العديد من الاشتراكيين اليساريين المتطرفين، لم يكن لدى دييغو حس الفكاهة ووجدنا صعوبة في قضاء الوقت معه، لكن كانت لديه نصيحة عظيمة عندما يتعلق الأمر بإصلاح أسطح القرميد وبناء مدفأة. لقد قدمني أيضًا إلى أحد عمال البناء أسفل التل والذي قام بقطع رف من الجرانيت مقابل بضعة دولارات وأعطاني عددًا من الطوب الناري المستخدم.

كان وزن الرف أكثر من 150 رطلاً وكان لا بد من جره أكثر من ميل صعودًا على زلاجتي لإعادته إلى المنزل. بعد ذلك، باستخدام Foxfire باعتباره الكتاب المقدس وذكرياتي البعيدة عن المواقد الإنجليزية، قمت ببناء مدفأة من الطوب والطوب الناري والأسمنت، وإنشاء صندوق نار وحنجرة وغرفة دخان قبل وضع رف الجرانيت في الأعلى لربط كل شيء معًا. لقد اختبرناه قبل إزالة بلاط السقف لإنهاء المدخنة، وقد تم رسمه بشكل مثالي، مما أدى إلى تدفئة الغرفة مع صعود الدخان إلى المدخنة غير المكتملة (بدلاً من ملء الغرفة) للتصفية عبر البلاط. مهارة أخرى يجب إضافتها إلى سيرتي الذاتية!

في اليوم التالي، أزلت ما يكفي من البلاط لمواصلة بناء المدخنة فوق مستوى السطح، على أمل ألا يبدأ هطول المطر، في حين قام جيري بترقيع البقع الفاسدة المتبقية في الجدران وتلبيسها وتبييضها. لقد مر شهر منذ أن غادر دوج وكريستين إلى كندا ولكن المنزل أصبح صالحًا للعيش أخيرًا.



الحياة الجبلية

كان من المحبط أن ندرك أننا عملنا لفترة طويلة وبجد لإنجاز ما بدا صغيرًا جدًا في المنزل. لكنها كانت جافة على الأقل. كان لدينا مدفأة تعمل جنبًا إلى جنب مع أثاث محلي الصنع بسيط ولكنه عملي. للإضاءة كان لدينا فوانيس زيتية قديمة الطراز حتى تفاخرنا واشترينا مصباح ضغط الكيروسين. كان موقد الطهي ذو الشعلتين الخاص بنا مزودًا بخزان غاز فولاذي سعة 20 رطلاً، كنت أقوم بإعادة تعبئته كل شهر في مونشيك، وأسحبه إلى أسفل التل على زلاجتي. وكان المرحاض عبارة عن حفرة محفورة تحت أشجار الزيتون في الشرفة المجاورة؛ ولكن على الأقل لم يكن هناك أطفال قرويون يتبعونني إلى بساتين الزيتون في كل مرة كنت أحمل فيها صندوقًا خشبيًا به فتحة في الأعلى (لم أتعلم قط فن الجلوس في وضع القرفصاء).

كانت المحافظة على النظافة أسهل مما كانت عليه خلال الأشهر الأولى التي قضيناها في جزيرة كريت.
كان صهريجنا، الذي يتغذى من المنجم الذي يتدفق دائمًا، خارج الباب مباشرةً وكبيرًا بما يكفي للسباحة إذا كان الجو دافئًا ولا يمانع المرء في إزعاج مستعمرة الضفادع. عندما كان الجو باردًا، كنا نخلع ملابسنا في الداخل ونركض إلى الشرفة، ونصيح ونصرخ بينما كنا نسكب دلاء من الماء المثلج فوق بعضنا البعض من الصهريج، ونغسل الصابون ونشطفه في أسرع وقت ممكن.

قبل أن يعود بسرعة إلى الداخل ليرتدي ملابسه بجوار النار. لقد كانت حياة بدائية ومعزولة، وكنا نمضي أحيانًا أيامًا
دون أن نرى شخصًا آخر
شخص.
أصبحت أولويتنا الآن هي إيجاد طريقة لكسب لقمة العيش نظرًا لأن أموال "الاستقرار" التي حصل عليها
والدي جيري قد انتهت تقريبًا. في جزيرة كريت، جلبت معرفة جيري بعلم التنجيم أموالًا إضافية عندما ألقت أبراجًا
مفصلة ورسمت مخططات جميلة مناسبة للتأطير؛ كنا نأمل في بناء قاعدة عملاء برتغاليين من خلال Dennis Bar،
وهو مطعم في بورتيماو يحظى بشعبية لدى المغتربين وتديره امرأتان كنديتان شابتان.

في هذه الأثناء، حصل جيري على عمولات عن الأبراج من الأصدقاء الذين التقوا بهم في سيتيا والذين عادوا إلى
وطنهم في ألمانيا وسويسرا. كنت أيضًا متفائلًا بأن الأشخاص في لندن الذين كلفوني بكتابة فيلم and Sailor
Big Wheelsسيريدون نصًا آخر. لقد خططت أيضًا لإنشاء مجموعة جديدة من النماذج لبيعها كما فعلت في سيتيا
مع قوارب الصيد الكريتية الخاصة بي.

في جزيرة كريت، كانت قوارب الصيد دائمًا بائعًا جيدًا نظرًا لأن كل حانة أمام الميناء تطل على العشرات
من هذه السفن المغطاة بألوان زاهية والتي تتمايل في المرساة، وهي رمز مميز للجزيرة. لم أكن أعرف ما الذي يمكن
بيعه بشكل أفضل في البرتغال، لكنني كنت آمل أن تكون قوارب السردين المحلية تصميمًا مربحًا.

وكان من الصعب عدم مقارنة البرتغال بشكل سلبي مع جزيرة كريت؛ لم يكن لدى مونشيك أي من سحر
أجيا فوتيا. لقد حان الوقت لمغادرة جزيرة كريت، ولكننا أيضًا تغيرنا بشكل عميق بسبب السنوات التي قضيناها
هناك.
لا تزال اليونان تطارد أحلامي حتى اليوم، وهي قصة حقيقية عن القلب، حيث قامت الكاتبة والصحفية والناقدة
السينمائية البريطانية ديليس باول بعنوان كتابها عن علاقة حبها مع اليونان. قال جون فاولز، مؤلف كتاب المجوس،
إنه لم يكن مخلصًا لزوجته مع امرأة واحدة فقط وهي اليونان. بالنسبة لأولئك منا المحظوظين الذين أحبوا اليونان،
فإن سحرها لا يمكن أن يتلاشى أبدًا.

وعلى الرغم من جمال جبلنا، إلا أننا وجدنا البرتغال قاتمة وغير ودية بالمقارنة. كان لجيراننا الفلاحين
المحليين موقف مضطهد وعدائي تقريبًا تجاه الغرباء مع الخضوع على مضض لأولئك الذين يعتبرونهم متفوقين.
بعد احترام الذات لدى الفلاحين الكريتيين

الذين يعتبرون أنفسهم متساوين، إن لم يكونوا متفوقين على أي شخص آخر على قيد الحياة، كان من المزعج أن يرفع الجيران قبعاتهم لنا كما لو كنا أفضل بطريقة أو بأخرى. أخبرنا ديك وبيني، الزوجان الأمريكيان الفرنسيان اللذان قدما لنا نوافذنا، أنه من المعروف أن السكان المحليين يرفعون قبعاتهم أمام الأطفال الإنجليز في عربات الأطفال. كرهت جيري أن المرأة في المزرعة الواقعة أسفل التل كانت تتذلل بخنوع كلما جاءت لشراء البيض وهي تسأل: "هل ستفعل السيدة هذا، أم ستفعل ذلك؟"

كان من الممكن أن يكون القرويون الكريتيون متفاخرين ومتغطرسين ومجنونين، لكن كان لديهم أيضًا فخر مبرر بأنفسهم. كان هناك فقر مدقع في جميع أنحاء الريف البرتغالي، ومع ذلك كانت أشجار الزيتون والكروم تنمو دون رعاية على الجبل، لأنه، كما أوضح جارنا دييغو الذي عاد إلى الأرض، "إن تعيين شخص ما يقطف الزيتون ويحصد العنب أمر مكلف للغاية". يمكنني أن أتخيل قرويًا كريتيًا يهز رأسه غير مصدق ويسأل: "ما مشكلة عائلتك وأصدقائك وجيرانك؟"

وفي البرتغال، أصبح الفقر عادة بعد عقود عديدة من حكم الدكتاتور الفاشي سالازار الذي جمد التقدم وأبقى كل شيء، بما في ذلك الفلاحين، كما كان دائما. كان من الصعب على الأشخاص الذين تمسكوا بطرقهم الخاصة أن يفهموا حرية ما بعد الثورة، وكانت حديثة جدًا بحيث لا يمكن أن تنتشر بعيدًا خارج المدن. وهرب الشباب إلى هذه المدن، تاركين الريف لكبار السن.

خلال الأشهر الأولى لنا على الجبل، هربنا نحن أيضًا إلى المدينة (بورتيماو) مرة واحدة في الأسبوع، حيث توجد محلات السوبر ماركت الحديثة والمطاعم الجيدة. كان بإمكاننا شراء معظم ما نحتاجه بسعر أرخص بكثير في مونشيك، ولكننا كنا نتوق إلى صحبة المتحدثين الآخرين باللغة الإنجليزية، وأصبح بار Dennis Bar ملاذًا لنا، خاصة بعد أن أخذ المالكون العديد من موديلاتي كشحنة. بمجرد أن التقت جيري بمالك حانة محلي في بورتيماو والذي أراد أن يلقي عليها برجها، بدأنا في كسب المال -ولكن لم يكن ذلك كافيًا.

وقد ساعد في ذلك أن الطعام والنبيذ كان رخيصًا جدًا. اشترينا سردينًا طازجًا من السوق، أو مباشرة من القارب، ملفوفًا في ورق الجرائد مقابل ثلاثين إسكودو للكيلو (أقل من سبعين سنتًا أمريكيًا). قمنا بإعادة ملء زجاجات النبيذ الفارغة في المتاجر المحلية التي تبيع النبيذ الأحمر والأبيض من براميل ضخمة بأقل من دولار للتر (أكثر إذا أراد المرء جودة أفضل

من الخمر). اشترينا البيض والبطاطا الحلوة والخضروات الخضراء وزيت الزيتون الفاسد المذاق من المزارع المجاورة، في حين قدم سوبر ماركت مونشيك الصغير المواد الأساسية مثل الأرز والفاصوليا المجففة والسكر والشاي.

نادرًا ما نتمكن من شراء اللحوم، وبما أن السردين كان رخيصًا جدًا، فقد أصبح جزءًا رئيسيًا من نظامنا الغذائي. من المثير للدهشة عدد الطرق المختلفة التي يمكن بها طهي السردين. قمنا بقليها ملفوفة في الملح (خاصية برتغالية)، أو صنعناها على شكل فطائر أو قمنا بتقطيعها إلى برجر سمك السردين.

ذهبت الرؤوس إلى باف ورالف ممزوجة بالأرز والبطاطا الحلوة.
لقد وجدت صعوبة في القيام بأي كتابة جادة. في جزيرة كريت، كنت أكتب لعدة ساعات كل يوم، ولكن الآن تم إنفاق وقتنا وطاقتنا في مجرد البقاء على قيد الحياة. كما أنني تركت آلتي الكاتبة الكبيرة في شمال إسبانيا مع أشياء أخرى كثيرة. لقد خططنا للعودة وجمع كل شيء بمجرد أن نستقر في منزلنا الجديد ولكن لم يكن لدينا المال الكافي للرحلة. كان بإمكاني استخدام الآلة الكاتبة الصغيرة المحمولة الخاصة بجيري، لكنها كانت قديمة وغريبة الأطوار؛ تعطلت عربة النقل وكانت بعض القضبان المعدنية منحنية للغاية لدرجة أنها تشابكت عندما ضغطت على المفاتيح. كان من الصعب تأليف نثر خالد في مثل هذه الظروف.

في هذا الوقت تقريبًا التقينا روزماري ومايكل، وهما زوجان إنجليزيان مغتربان عاشا بين مونشيك وبورتيماو. كان مايكل دبلوماسيًا متقاعدًا قضى معظم حياته المهنية في البلدان الاستوائية واستقر في منطقة الغارف لأنه لم يستطع تحمل الشتاء البريطاني. وعلى الرغم من فارق السن الذي يبلغ ثلاثين عامًا، إلا أننا أصبحنا أصدقاء جيدين وكان منزلهم ملاذًا عندما شح المال. كثيرًا ما كانوا يدعوننا لتناول العشاء في الأيام التي ذهبنا فيها إلى بورتيماو. عندما كنا نجلس بجانب النار ونحتسي ويسكي الشعير الجيد بعد تناول وجبة رائعة، كان بإمكاننا أن نمزح بشأن أي تجارب ومحن نواجهها حاليًا على جبلنا.

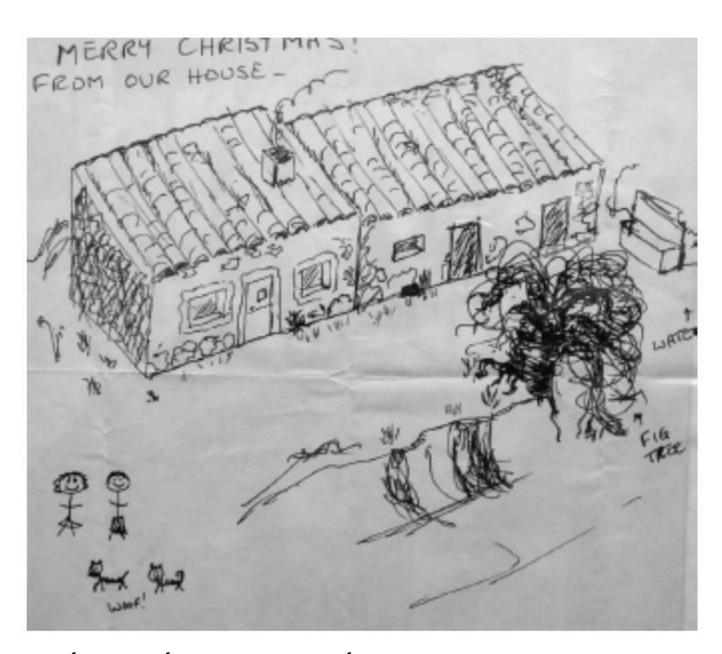
عيد الميلاد

كانت الأيام التي سبقت عيد الميلاد عام 1979 وحيدة للغاية. لقد افتقدنا عائلاتنا وأصدقائنا الكريتيين؛ كان أصدقاؤنا الجدد مايكل وروزماري في إنجلترا لقضاء العطلات مع أطفالهم.

أرسل لنا والدا جيري المزيد من الأموال كهدية لعيد الميلاد، لكنها لن تصل إلا بعد حلول العام الجديد. لم يستغرق وصول البريد من أمريكا إلى مكتب بريد مونشيك أقل من عشرة أيام، والآن أصبح كل شيء على ما يرام

تأخرت بسبب العطلة. كنا نأمل في شراء دجاجة كاملة لعشاء عيد الميلاد ولكننا لم نتمكن من تحمل تكاليفها، لذلك قمت بإعداد طبق الكاري من نقانق الكوكتيل المعلبة التي يتم تقديمها فوق الأرز مع البطاطا الحلوة على الجانب؛ لقد كانت جيدة بشكل مدهش!

كانت شجرة عيد الميلاد الخاصة بنا عبارة عن شجرة صنوبر صغيرة قامت جيري بتزيينها بزخارف مرسومة يدويًا مقطوعة وملونة بالطلاء الذي استخدمته في مخططات الأبراج. لقد قمت بتجميع الورق ولففت كل ورقة في ورق القصدير لأعلقها على الشجرة بخيط قطني. بدت غرفة معيشتنا احتفالية تقريبًا عندما جلسنا أمام المدفأة، نتناول كاري عيد الميلاد ونستمع إلى الترانيم في الراديو.



بعد الغداء، ذهبنا في نزهة طويلة، متبعين المسارات التي أخذتنا إلى ما هو أبعد من أماكن تواجدنا المعتادة إلى غابات الصنوبر التي لم نرها من قبل ولن نزورها مرة أخرى أبدًا. كان باف ورالف يتجولان حولنا، ويستكشفان كل رائحة جديدة بألسنة متدلية وابتسامات سعيدة. لقد كان يومًا بلوريًا، واضحًا ومجيدًا، حيث تشرق الشمس من سماء ذات لون أزرق داكن. كان كل شيء أكثر إشراقًا وتركيزًا بشكل حاد مما رأيته من قبل، وكان ساحل الغارف واضحًا جدًا لدرجة أنني شعرت أنني أستطيع الوصول إليه ولمسه بأطراف أصابعي.

كان الهواء معطرًا برائحة راتنج الصنوبر ودخان الخشب. نبحت الكلاب من بيوت المزارع البعيدة، وقامت كلابنا برفع آذانها واستجابت لها، وأطلقت تحيات عيد الميلاد عبر منظر طبيعي سحري حيث

بدا الوقت متجمدًا والمسافة ليس لها حقيقة. مشينا لساعات، نتحدث عن حياتنا، عن أصدقاء من الماضي وآمالنا في المستقبل.
لقد كانت مسيرة يوم عيد الميلاد بمثابة لحظة خارج الزمن، وفترة راحة من كل همومنا ومخاوفنا بشأن المستقبل. لقد أعطانا الجبل هدية ثمينة في اليوم الذي كنا في أشد الحاجة إليها.

أيام الأرز والبطاطا الحلوة

غطى ضباب كثيف جبلنا مع بزوغ فجر العام الجديد. كان يتجول لعدة أيام، وفي بعض الأحيان ينزل إلى أسفل الجبل حتى نصبح فوق السحاب وننظر إلى الأسفل على محيط أبيض حليبي.

حلقت دوامات من السحاب عبر الشرفة الموجودة أسفل المنزل مباشرة، وأرسلت محلاقًا استكشافية من الضباب لتتسرب فوق الجدار الاستنادي لتتجمع حول شجرة التين خارج بابنا. لقد كان نذيرًا للأشهر القادمة.

عندما أشرقت الشمس، كان جبلنا لا يزال جميلاً وبذلنا قصارى جهدنا لإقناع أنفسنا بأننا نحب وطننا البرتغالي.
في أحد الأيام الدافئة على غير العادة في منتصف شهر يناير، أخذنا كيسًا للنوم إلى البستان وقمنا بالتنزه تحت أشجار الليمون الزاهية بالفواكه الصفراء، لنذكر أنفسنا بأننا نعيش في جنة عدن. لكن مثل هذه الأيام كانت قليلة ومتباعدة. وسرعان ما هطلت صفائح من المطر عبر الجبل وتساقطت السحب لتغطي منزلنا بضباب رطب. كان لا هوادة فيها!

كانت غرفة النوم دائمًا معرضة للتيارات العاتية والرطبة، وكانت المصاريع الخشبية المشوهة بمثابة دفاعنا الوحيد ضد الطقس في الخارج. لقد قمت بوضع البلاستيك على إطار النافذة ولكن ذلك لم يحدث فرقًا كبيرًا؛ الأرضية الترابية (لم نتمكن مطلقًا من وضع أرضية خرسانية في غرفة النوم) متمسكة بالرطوبة والعفن الفطري الذي نما على الجانب السفلي من إطار السرير. وكانت رائحة البطانيات والملابس كريهة الرائحة، وكنت أقضي ساعات كل يوم في قطع وجمع الحطب لإبقاء النار مشتعلة في غرفة المعيشة.

لم تكن عارضاتي في Dennis Bar تُباع، وكان السائحون القادرون والراغبون في تحمل تكاليف أبراج جيري قليلين ومتباعدين في الشتاء؛ حتى المغتربين قد ذهبوا إلى الأرض. وبينما كان أندرو، صديقي في لندن الذي طاردت معه ذات يوم بقع النفط عبر بحر الشمال، يأمل في التكليف بكتابة سيناريو فيلم جديد، لم يكن هناك شيء مؤكد. حتى بعد وصول هدية عيد الميلاد البالغة 200دولار من والدي جيري أخيرًا، نحن

علمت أنه من المحتمل أن يستمر الأمر لعدة أشهر، لذلك كان المال أقل من ذلك
أبدًا.

في أواخر يناير/كانون الثاني، انزلقت على إحدى الشرفات الموجودة أسفل منزلنا وكسرت إصبع قدمي الكبير.
بدا الأمر سخيفًا، لكنه جعل المشي فوق المسارات الجبلية الوعرة أمرًا مستحيلًا، لذا كان حتى Woofwagon بعيدًا عن
متناول اليد. لمدة أسبوعين كنت أتجول في المنزل منتظرًا شفاء إصبع قدمي. لم نتمكن حتى من الذهاب إلى مايكل
وروزماري لتناول الويسكي وتناول وجبة جيدة؛ كان الجبل ملجأنا الرهباني. لكن المشقة والعزلة جعلتني وجيري أقرب
إلى بعضنا البعض. في الليل، نقرأ لبعضنا البعض بصوت عالٍ بجوار النار، ونؤجل لأطول فترة ممكنة اللحظة التي
يتعين علينا فيها مغادرة دفء غرفة المعيشة إلى غرفة نومنا الباردة والرطبة بشكل متزايد.

في صباح أحد أيام الأحد، بعد وقت قصير من توقف إصبع قدمي عن الألم، استيقظنا لنجد بقع دماء على
الأرض وكان باف بالكاد واعيًا في سلته مع وجود ثقب خشن في جانبه. كان هناك جزء كبير من الجلد مفقودًا من كتفه
وكانت جميع العضلات مكشوفة تحته. من الواضح أنه خسر معركة مع كلب أكبر بكثير بسبب كلبة تعاني من الحرارة
في مزرعة قريبة؛ كان باف دائمًا عاشقًا أكثر من كونه مقاتلًا. في ذلك الصباح ظل صامتًا وساكنًا وكنا خائفين جدًا من
أنه قد يموت.

حملناه أنا وجيري بعناية في سلته على طول الطريق المؤدي إلى Woofwagon وذهبنا للبحث عن طبيب
بيطري. كان كل شيء مغلقًا في عطلة نهاية الأسبوع، كما أن عدم قدرتنا على التحدث باللغة البرتغالية زاد من الصعوبة
التي نواجهها. وفي حالة من اليأس، جربنا مسلخًا محليًا، على أمل أن يعرفوا ما إذا كان هناك طبيب بيطري في المزرعة.
لا يبدو أن الأطباء البيطريين للحيوانات الصغيرة موجودون في

جبال الغارف في تلك الأيام. تم توجيهنا أخيرًا إلى طبيب بيطري متقاعد في بلدة تبعد أكثر من 20 ميلاً. لم يكن لديه
الأدوات المناسبة ولم يكن لديه أي عملية جراحية ولكنه قام بخياطة نفخة بدون مخدر على حجارة البلاط خارج منزله.
صرخ باف من الألم بينما كنت أنا وجيري نمسكه أرضًا.

أعطانا الطبيب البيطري حفنة من المضادات الحيوية الموجودة في المنزل لمكافحة العدوى وطلب منا إبقائه
في الداخل لمدة أسبوع وعدم السماح له بلعق جرحه. كل ليلة يقوم جيري بخياطة Puff في سترة مصنوعة من غطاء
وسادة وردي قديم. لا أعرف من كان الأكثر بؤسًا، باف لأنه

لم يتمكن من زيارتنا أو صديقته لأنه أبقانا مستيقظين طوال الليل نبكي، إما من الألم أو من العاطفة المحبطة.
بمجرد ظهور الغرز، لم يكن باف أسوأ بالنسبة لمغامرته، حيث واصل مغامراته الغرامية حتى سن الشيخوخة.

استمر الطقس باردًا ورطبًا مع امتداد شهر فبراير إلى شهر مارس. واصل بلو جايز مضايقة رالف بلا رحمة،
ولم يتعبوا أبدًا من لعبتهم. في صباح أحد الأيام، كان جبلنا مغطى بالثلوج وطارد كلا الكلبين رقاقات الثلج أعلى
وأسفل الشرفة لساعات؛ كانت هذه هي المرة الأولى التي يرون فيها الثلج.

لم يعد بإمكاننا شراء الغاز لـ Woofwagon وأصبح نظامنا الغذائي أكثر أساسية؛ البطاطا الحلوة
والخضراوات من المزارع المجاورة والأرز والفاصوليا المجففة من مونشيك. كان السردين رفاهية لا نشتريها إلا من
حين لآخر. في إحدى الأمسيات، بعد إطعام باف ورالف عشاء آخر من الأرز والبطاطا الحلوة، سمعنا تنهيدة عميقة
وصوت رنين عندما قلب رالف طبق العشاء الخاص به على الأرضية الأسمنتية بين الغرفتين الأماميتين ولعق
الفوضى باستسلام. لم تكن الحياة ممتعة لأي منا. كنا نسقي النبيذ باستخدام مصابيح الزيت القديمة في الليل،
حيث كان مصباح الضغط يستهلك الكثير من الكيروسين. تناوبنا أنا وجيري على الذهاب إلى المدينة، والسير لمدة
نصف ساعة إلى الطريق الرئيسي قبل ركوب السيارة إلى مونشيك.

كنت لا أزال آمل أن توفر صناعة النماذج سبل عيش متواضعة بمجرد حلول الربيع وعودة السياح إلى
الغارف؛ كان علينا فقط أن ننجو من فصل الشتاء القاسي. كنت أصنع بيتًا للدمى وكنت آمل أن يكون قابلاً للبيع،
إما لنفسه أو كعينة لأعمال أخرى. لقد كانت نسخة مصغرة من منزلنا، مكتملة بإسطبل وفرن ومصاريع وبلاط سقف
فردي مقطوع من لحاء الأوكالبتوس ويسمح له بالالتفاف بشكل طبيعي أثناء تجفيفه.



يوم الحساب

وبحلول نهاية شهر مارس/آذار، كان خزان ووفواجون فارغًا تقريبًا ولم يكن لدينا المال لشراء المزيد من الوقود. في الحالات القصوى، يمكننا أن نطلب المساعدة من والدتي أو والدي جيري، لكن الأمر سيستغرق أسبوعًا أو أكثر حتى تصل الرسالة إليهما، وكنا فخورين جدًا بالاعتراف بالهزيمة. من المؤكد أن مايكل وروزماري كانا سيساعداننا إذا طلبنا ذلك ولكن مرة أخرى لم يسمح لنا فخرنا بذلك. بعد مغادرتنا البرتغال، تلقينا رسالة من روزماري تقول فيها إنها لم تدرك أبدًا مدى سوء الأمور لأننا كنا دائمًا نلقي النكات ونضحك كثيرًا على مشاكلنا.

لكن الفكاهة أصبحت الآن قليلة وكنا في نهاية حبلنا، بغض النظر عن الواجهة التي نضعها للآخرين. اقترح جيري محاولة أخيرة للبحث عن عمل في بورتيماو. ربما تقوم شركة عقارية تبيع فيلات العطلات للأجانب بتكليف بعض النماذج المعمارية، بناءً على عملي في صنع بيت الدمى. ولكن إذا سافرنا إلى بورتيماو، فلن يكون لدينا الوقود للعودة. كان كل شيء أو لا شيء!

في صباح اليوم التالي حملنا بيت الدمية ونماذج أخرى إلى حيث كانت سيارة Woofwagon متوقفة. لقد حسبت أنه إذا هبطنا أسفل الجبل ولم نبدأ تشغيل المحرك إلا بعد تسوية الطريق، فقد يكون لدينا ما يكفي من الوقود للوصول إلى بورتيماو والعودة إلى منزل مايكل وروزماري. جلست خلف عجلة القيادة وأشعلت المحرك؛ أدرك أن هذه كانت رمية النرد الأخيرة لدينا. لم يكن هناك شيء آخر يمكننا القيام به. وبينما كنا ننطلق، همست: "النجدة!". إلى إله لم أكن متأكدًا من وجوده، كنت أعاني من

شعور مدهش بالتحرر في قبول عجزي. كان هناك راحة وحرية في ترك الأمر أخيرًا.

قطعنا مسافة 20كيلومترًا من الطريق الجبلي، آملين أن تصمد المكابح عند المنعطفات اللولبية، متجاهلين رائحة الاحتراق النفاذة المنبعثة من تيل المكابح المحموم. أي هدوء كنت قد حققته في وقت سابق تبدد بسرعة عندما لم تسير الأمور على ما يرام. كان أحد المغتربين الذي صنعت له نموذجًا لمحرك بخاري خارج المدينة؛ لم تكن صاحبة الحانة التي طلبت سابقًا رسم برج لجيري موجودة في الحانة الخاصة بها؛ زميل إنجليزي كان يدير شركة عقارية تبيع فيلات سياحية لن يعود إلى مكتبه إلا في وقت لاحق. وبينما كنا نسرع من مكان إلى آخر مع شعور متزايد باليأس، بدا لنا أن الوقت نفسه يتسارع، ويدفعنا نحو الكارثة.

أصبحت جيري هادئة للغاية، وأصرت على الجلوس في مقهى خارجي في الساحة الرئيسية وطلب القهوة. وقالت: "علينا أن نتوقف فقط". "الخوف لن يساعد."

كلفتنا قهوتان آخر إسكودو، لكنني وضعت بيت الدمية، ومحركًا بخاريًا خشبيًا منحوتًا وآخر قارب كريتي، على الطاولة أمامنا، على أمل جذب السياح كما فعلت في سيتيا. جاء رجل أعمال برتغالي شاب من الهيبي يعرفه جيري إلى طاولتنا. لقد التقت به قبل عدة أيام عندما اصطحبها في رحلة إلى مونشيك للحصول على الإمدادات. جلس وأمرنا بتناول كأس من البيرة، وأخذ زمام الأمور في يده ونادى مثل نباح الكرنفال على الجميع في الساحة ليأتوا لإلقاء نظرة على "بيت الدمى المذهل هذا". عندما تجمع الناس حولنا وشربنا البيرة، بدأ وضعنا أقل يأسًا؛ الكحول مضاد عظيم للاكتئاب.

على الرغم من أنه لم يعرض أحد شراء بيت الدمية (لا يزال لدي)، قام أحد المغتربين الإنجليزيين بفحص قاربي الكريتي وسألني عما إذا كنت سأصنع له نموذجًا مصغرًا مماثلًا لقارب صيد برتغالي. بالطبع سأفعل! تبع ذلك عمولة بدفع 50% مقدمًا، وهو ما يكفي لملء خزان الوقود في Woofwagon وشراء الطعام لمدة أسبوع على الأقل.

لقد انتهينا من تناول البيرة، وودعنا رجل الأعمال الهبي تقديرًا وافترقنا، وجيري لمعرفة ما إذا كانت صديقتها صاحبة الحانة قد عادت، وأنا لمعرفة ما إذا كان المطور العقاري قد عاد إلى مكتبه. كان لديه، و

وبينما لم يكن مهتمًا بالنماذج المعمارية للفلل السياحية، كان لديه ابن يبلغ من العمر ست سنوات كان يحب الشاحنات الكبيرة وعيد ميلاده قادم.

هل يمكنني أن أصنع له شاحنة؟ بالطبع أستطيع! تليها عمولة ثانية مع دفع 50٪ أخرى مقدمًا.

التقيت بجيري في الحانة حيث كان لدى المالك عرضًا لي.

لقد كانت بحاجة إلى نادل إضافي لبدء فصل الصيف في الأول من مايو. ولم يتبق سوى شهر واحد. هل كنت مهتما؟

تناولت أنا وجيري الغداء في أحد المطاعم المفضلة لدينا في بورتيماو. نحن

اشترينا ما يكفي من الطعام والأساسيات الأخرى لمدة أسبوع، بما في ذلك النبيذ من أحد أفضل البراميل في متجر النبيذ، وملأنا Woofwagon بالغاز وعادنا إلى أعلى الجبل، وما زلنا في حالة صدمة من مدى السرعة التي تحول بها حظنا.

وعندما عدنا إلى المنزل، وجدنا رسالة معلقة على الباب. طوال الوقت الذي عشناه هناك، لم يسير أحد على الطريق الذي يبلغ طوله كيلومترًا أسفل الجبل لزيارتنا. كانت الرسالة من زوجين ألمانيين التقينا بهما سابقًا في حانة دينيس؛ كانوا يمتلكون مزرعة بها عدة أفدنة من بساتين الزيتون بالقرب من مونشيك وكانوا بحاجة ماسة إلى شخص ما لحفر شرفاتهم.

عرضت المذكرة أسبوعًا من العمل لي ولجيري. هل كنا مهتمين؟

في تلك الليلة شربنا النبيذ الجيد وأكلنا السمك الطازج أمام نار الحطب المشتعلة بينما كان فانوس الضغط -المملوء مرة أخرى بالكيروسين -يطرد الظلال جنبًا إلى جنب مع مخاوفنا الأخيرة. كان لدينا عمولات وعمل فوري وما يكفي من المال لتأمين احتياجاتنا بشكل مريح حتى بدأت العمل كنادل في بورتيماو. فكرت مرة أخرى في صلاتي الهامسة طلبًا للمساعدة في وقت سابق من ذلك الصباح وأدركت أنه فقط بعد أن توقفت أنا وجيري عن النضال وقبلنا عجزنا، تدخل القدر أو العناية الإلهية أو قوة أعلى. لقد كانت تجربة روحية عميقة ظلت محكًا لهذا الأمر. يوم. عندما أمر بأوقات عصيبة، أو أعتقد أنه لا يوجد طريقة للخروج من موقف مستحيل، أتذكر الوفرة التي مُنحت لنا في وقت كان كل ما رأيناه هو الندرة. لقد كانت هبة نعمة حقيقية.

غادرنا البرتغال بعد شهر. كان بإمكاننا البقاء إذا أردنا ذلك؛ لقد نجحنا في تجاوز أسوأ ما في الشتاء وكان الصيف سيجلب لنا عملاً جديدًا وعمولات جديدة وإمكانيات جديدة. أسبوع واحد فقط

بعد رحلة بورتيماو، بينما كان لا يزال يحفر مصاطب الزيتون للألمان، كتب أندرو ليعرض عليّ تكليفًا بسيناريو فيلم جديد. كما اكتشفنا في أجيا فوتيا، فإن الأشهر الستة الأولى في أي بلد جديد هي دائمًا الأسوأ.

تحدثت أنا وجيري عن الأمر لكننا أدركنا أن البرتغال لا يمكن أن تكون وطننا أبدًا؛ كنا لا نزال نحزن على جزيرة كريت. لكن الآن يمكننا أن نخرج منتصرين بدلاً من المهزومين. لقد نجونا من كل ما ألقاه الجبل علينا وعلمنا أنه يمكننا أنا وجيري مواجهة أي شيء معًا. كما أعطتنا عزلة الشتاء الوقت والمساحة للتفكير في حياتنا وما أردنا أن نفعله بها. أدركت أنه على الرغم من أنني أحب الكتابة والعمل بيدي، إلا أن صناعة الأفلام كانت العالم الذي أردته. وهذا يعني العودة إلى الحضارة.

لقد كتبنا إلى والدي جيري، ونقترح أن ننضم إليهما في تكساس للتحقيق فيما إذا كانت أمريكا هي المكان الذي أردنا أن نكون فيه. جاء والد جيري للمساعدة في حزم كل ما تركناه في بلباو ومرافقة جيري والكلاب إلى تكساس. سأنضم إليهم لاحقًا بعد قضاء بضعة أسابيع في لندن مع أندرو وزملائه لكتابة السيناريو الجديد.

في أواخر أبريل من عام 1980، خرجنا للتو من مزرعتنا الجبلية، وأغلقنا الباب وتركنا كل شيء خلفنا (بما في ذلك الأثاث المصنوع يدويًا) حيث كان. ربما لا يزال موجودًا على الرغم من نمو السياحة في الغارف بسرعة كبيرة خلال السنوات التالية، ومن المحتمل أن يكون روجيريو قد هدم المنزل لإفساح المجال أمام الفيلات الجديدة.

عندما عدت إلى تكساس، بدأت سريعًا في إنتاج أول فيلم وثائقي أمريكي. لقد كان أبطالي دائمًا رعاة بقر مع مغني الريف وايلون جينينغز، وقد تم تمويله وإنتاجه من قبل أندرو، زميلي من لندن، وبدأ المرحلة الثالثة من رحلة حياتي التي تستمر حتى يومنا هذا.

وهكذا انتهت سنوات السفر أخيرًا. لا يزال عملي يأخذني إلى جميع أنحاء العالم، لكنه الآن مختلف، ولم يعد مفتوحًا، ودائمًا ما يجذبني المنزل والعائلة والأصدقاء إلى أمريكا. وبينما أتمنى أن أعيش سنوات عديدة أخرى وأسافر للأمام، والعديد من المغامرات في مستقبلي، إلا أنني لا أندم على أي شيء في حياتي حتى الآن (باستثناء أنني كنت أتمنى لو كنت أكثر لطفًا على طول الطريق). أنا لست المخرج الشهير الذي كنت آمله

سأكون عندما بدأت. أنا لست الكاتب البريطاني العظيم الذي اعتقدت ذات مرة أنه من نجومي. ولكن عندما أفكر في سنوات السفر تلك -كل الرحلات التي قمت بها، كل أوقات السعادة والحزن، كل الأشخاص الذين التقيت بهم وكل الصعوبات التي واجهتهم -أرى أنهم ما زالوا يعيشون في الشخص الذي أنا عليه اليوم.

لقد لعب الجميع دورهم في حياة مليئة بالحيوية. وهذه هدية النعمة التي سأظل ممتنًا لها دائمًا.

زائدة

اختر اعتمادات الأفلام والتلفزيون بعد "سنوات السفر"

حقائق معاصرة

بعد الحريق (2016) فيلم وثائقي مسرحي مدته 100 دقيقة عن صدمة المحاربات القدامى من حروب العراق وأفغانستان.

رحلات مقدسة من إنتاج بروس فايلر ، (2014) سلسلة مدتها 6 ساعات عن الحج لقناة PBS. مخرج المسلسل الوطن

والهجرة في أمريكا (2012) مسلسل مدته 3 ساعات لـ

برنامج تلفزيوني. منتج

هل يستطيع الخليج البقاء؟ (2010) عرض خاص مدته 60 دقيقة عن تسرب النفط في ديب ووتر هورايزون لصالح

ناشيونال جيوغرافيك. منتج أمريكا على مفترق الطرق مع روبرت ماكنيل 21 (2007) ساعة

سلسلة على America Post 11/9 لـ. PBS منتج المسلسل

كاوبوي (2003) 101 سلسلة واقعية مدتها 13 نصف ساعة عن مسابقات رعاة البقر في الكلية

شبكة الحياة في الهواء الطلق. منتج المسلسل

السيارات الأمريكية الكلاسيكية في كوبا (2002) عرض خاص مدته 60 دقيقة

كوبا لبرنامج تلفزيوني. منتج / كاتب / مخرج

مكوك رواد الفضاء (2000) عرض خاص مدته 60 دقيقة على متن المكوك STS101

مهمة لشبكات A&E. كاتب / منتج

النساء المحاربات، صناعة البحرية (1999) عرض خاص مدته 60 دقيقة عن المعسكر التدريبي البحري لصالح شبكات

A&E. الكاتب/ المنتج Dangerous Skies, INSIDE THE US AIRFORCE (1997) ساعتان خاصتان لشبكات A&E.

كاتب/منتج "بحار خطيرة، داخل خفر السواحل الأمريكي" (5991) 3 ساعات

سلسلة لشبكات A&E. كاتب / منتج

قوة البحر مع ليونارد نيموي (1994) سلسلة مدتها 6 ساعات لقناة PBS. مسلسل

منتج

MINIDRAGONS (1992) سلسلة مدتها 7 ساعات عن الاقتصادات الآسيوية الناشئة

برنامج تلفزيوني. منتج المسلسل

بعد الاحتباس الحراري مع جيمس بيرك (1990)عرض خاص مدته 90دقيقة عن ظاهرة الاحتباس الحراري لقناة PBS. تاريخ المنتج

قصة الصين مع مايكل وود (2016)سلسلة مدتها 6ساعات عن التاريخ الصيني لقناة BBC. وPBS منتج تنفيذي قصة الهند مع مايكل وود (2008)سلسلة مدتها 6ساعات عن التاريخ الهندي لقناة BBC. وPBS منتج تنفيذي بحثًا عن الأساطير والأبطال مع مايكل وود (2006) سلسلة مدتها 4ساعات عن الأساطير البطولية لقناة BBC. وPBS منتج تنفيذي يبحث عن شكسبير مع مايكل وود (2004)سيرة ذاتية مدتها 4ساعات عن ويليام شكسبير لقناة BBC. وPBS منتج تنفيذي بحثًا عن أيرلندا القديمة (2002)سلسلة مدتها 3ساعات عن التاريخ الأيرلندي لقناة RTE. وPBS كاتب/مخرج CONQUISTADORS مع مايكل وود (2001)مسلسل مدته 4ساعات عن الغزو الإسباني للمكسيك وبيرو لصالح BBC. وPBS المنتج التنفيذي

على خطى الإسكندر الأكبر مع ميخائيل

وود (1998)سيرة ذاتية مدتها 4ساعات عن الإسكندر الأكبر لقناة بي بي إس وبي بي سي.

المنتج التنفيذي

الإرث وأصول الحضارة مع مايكل وود (1991)سلسلة مدتها 6ساعات عن تاريخ العالم لقناة ITV. وPBS منتج تنفيذي TIMELINE مع ستيف بيل (1989)مسلسل درامي مدته 6نصف ساعة يعيد إنشاء تاريخ العالم من خلال بث الأخبار التلفزيونية. لبرامج تلفزيونية، TRT. و TVE

الكاتب / المخرج / المنتج التنفيذي

الأداء والفنون

الفنون والعقل مع ليزا كودرو (2012)ساعتان خاصتان عن علم الفن لقناة PBS. الكاتب / المنتج / المخرج

التقاط ماكبث مع تيلر (2008)عرض لمدة ساعتين وفيلم وثائقي من وراء الكواليس لعرض تيلر لمسرحية ماكبث لشكسبير لصالح مكتبة فولجر. مخرج

إحضاره إلى المنزل مع Natalie MacMaster (2008) عرض موسيقي خاص مدته 90 دقيقة لقناة PBS. المنتج FIESTA MEXICANA مع

Vikki Carr (2005) عرض موسيقي خاص مدته 90 دقيقة

لبرنامج تلفزيوني. الكاتب / المنتج / المخرج

"تانجو، روح الأرجنتين" (3002) عرض موسيقي خاص لمدة ساعتين

لبرنامج تلفزيوني. الكاتب / المنتج / المخرج

مارياتشي، روح المكسيك مع بلاسيدو دومينغو (2001) موسيقي خاص لمدة ساعتين لقناة PBS. كاتب/منتج/مخرج كيرلو ريفر، بريتن في

تكساس (1985) عرض مدته ساعتان وفيلم وثائقي من وراء الكواليس عن الأداء الأول لأوبرا كنيسة بنجامين بريتن كورلو ريفر في أمريكا

لصالح برنامج بي بي إس. الكاتب / المخرج لقد كان أبطالي دائمًا رعاة البقر مع وايلون جينينغز (1982) وهو فيلم وثائقي موسيقي مدته 60

دقيقة عن تقرير الربيع في تكساس لشبكة ناشفيل. الكاتب / المخرج الأطفال والحياة البرية

SCIENTASTIC (2014) دراما أطفال مدتها 60 دقيقة لقناة PBS. شارك

المبدع / المخرج

كن المخلوق مع كريس ومارتن كرات 26 (2005/2007) ساعة من الحياة البرية لصالح ناشيونال جيوغرافيك. المنتج التنفيذي

ZOBOOMAFOO مع كريس ومارتن كرات 65 (1999/2001) ساعة ونصف من العمل

الحياة البرية للأطفال لبرنامج تلفزيوني. مؤلف مشارك / مخرج / منتج تنفيذي

مخلوقات كرات مع كريس ومارتن كرات 50 (1996) ساعة ونصف

الحياة البرية للأطفال لبرنامج تلفزيوني. منشئ مشارك / منتج تنفيذي

عائلة بيركنز 13 (1985) نصف ساعة أطفال ارتجاليين

مسلسل درامي لقناة PBS. مخرج.